وزارة التعليـــــم العـــالي والبحـــث العلمـــي

جامعــة الإخـــوة منــتــوري – قسنطينـــة-

كليــة العلـــوم الإنسانيـــة والاجتماعيـة

قسم علم النفس وعلوم التربيـة والأرطوفونيـا

رقـم التسجيـل:.................................

الرقـم التسلسلـي: ....

التصـــورات الاجتماعيــة للعنف الرمــزي من خــلال الكتــابــات الجداريــــة

مذكـرة مكملــة لنيـل شهـادة الماجستيـر في علـم النفـس وعلـوم التربيـة

تخصـــص علـم النفس الاجتمـــاعي

إعـداد الطالبـة:

عـــامـر نـورة

إشـــــراف :

أ. الدكتور: الهـاشمي لوكيـا

لجنـة المنـاقشـة: **تاريخ المناقشة:**23-11-2005

أ. د. رواق عبلـــة	أستـاذة تعليـم عالي	جـامعـة الإخوة منتـوري قسنطينـة	رئيسا
أ.د. لـوكيـا الـهاشمـي	أستـاذ تعليـم عـالي	جـامعـة الإخوة منتـوري قسنطينة	مشرفا ومقررا
أ. د. شلبـي محمـد	أستـاذ تعليـم عالي	جـامعـة الإخوة منتـوري قسنطينة	عضـوا
أ. د. العـايب رابـح	أستـاذ محاضـر	جـامعـة الإخوة منتـوري قسنطينة	عضـوا
أ. أوقاسي لـونيس	أستـــاذ محاضـــر	جامعة الإخوة منتوري قسنطينـة	عضـوا

السنـة الجـامعيـة: 2005-2006

مقـــــدمـــة:

لقد شهد تاريخ الإنسانية الكثير من الأحداث والتغيرات، واتسم بجملة من الظواهر والآفات التي سجلت بالخط العريض في تاريخ البشرية قاطبة، كونها لازمت مسيرة حياة الشعوب والأمم، وعدلت منها أو حتى غيرتها، ولكننا لسنا بصدد ذكرها للتأسف والتحسر على ما خلفته أو غيرته، بقدر ما نحن بصدد التركيز على واحدة من أهم الظواهر التي كانت ولا زالت موجودة، وإن اختلفت في تواجدها ذاك حسب قوتها وكينونتها، وبحديثنا هذا فإنما نشير إلى ظاهرة لازمت كل ما قدمه الإنسان من إنجازات وتطورات، بل ولا زالت ترافقه إلى حد الآن ألا وهي ظاهرة " العنـــف ".

إن هذه الأخيرة لم تستثن لا حقبة تاريخية ولا منطقة جغرافية، ولا حتى حضارة معينة أو ثقافة ما، والمفارقة أنه وبالرغم من كل ما حصله الإنسان من تقدم ورقي في شتى الميادين: فكرية، ثقافية، علمية، اجتماعية، سياسية واقتصادية...؛ إلا أنه لم يستطع التخلص منها، حيث تزايدت لدرجة أصبحت مقلقة ومحيرة لكل المجتمعات المتقدمة منها والمتخلفة على حد سواء، بل وأصبح من الضروري تدخل المختصين للعمل على فهمها وتشخيصها واقتراح الحلول المناسبة للتقليل منها على الأقل.

والجزائر على غرار بقية الدول – وإن اختلفت الظروف والأسباب – كانت ولا زالت تعاني من هذه الظاهرة التي رسمت لنفسها أبعادا كثيرة، فشملت معظم المستويات، وأصابت كل شرائح المجتمع على اختلاف أشكالها وميادينها، فمن العنف السياسي إلى العنف الاقتصادي، إلى العنف الاجتماعي، وكذا العنف في الوسط الحضري، مرورا إلى العنف في المدارس والأسر وفي المؤسسات، فقد بات العنف نذير شؤم مهدد لكيان المجتمعات وبنائها، وباختلاف الأطر الاجتماعية راحت طرق أدائه تختلف وتتنوع تبعا لذلك، فبغض النظر عن العنف المادي المباشر والواضح للعيان في آثاره وأسبابه إلى نوع أخر شكل علامة استفهام للعامة من الناس والخاصة منهم، وهو العنف الرمزي، أو كما يسمى بالعنف المقنع أو الخفي، فلا إشارة لفاعليه، ولا علامة له إلا بجملة ما يخلفه من رموز تبعث هي الأخرى للمستهدف منها برسالة ما ولكنها عنيفة في محتواها.

إن العنف الرمزي أخطر بكثير من العنف المباشر وإن كان في مجمله يهدد نمط الحياة الاجتماعية، وما نقصده هنا كل التصرفات والسلوكات العنيفة الممارسة يوميا في الوسط الاجتماعي أو بالأحرى الحضري، والمنتهكة للنظام والأمن العامين من جملة المغالطات الأخلاقية والسلوكية من اعتداءات إلى جرائم بشرية وسرقات، واختلاسات، إلى سلوك آخر بات يمس بنظافة المحيط برمته من ركامات الفضلات عند العمارات والمؤسسات، إلى تلك الجدران المليئة والمزدحمة بخربشات أو كتابات أصبحت هي الأخرى تبعث على القلق وتدعو إلى الاهتمام بها.

وفي تقديمنا هذا إنما نود الإشارة إلى نمط سلوكي ربما يعد دخيلا على المجتمع الجزائري وقيمه، وإن كنا بهذا الصدد نود التركيز أكثر على ظاهرة تسمى بالكتابات الجدارية (Les Graffitis). إنها تعتبر أسلوب عنف وإن اختلفت الآراء حول ذلك (سنأتي على ذكر ذلك في الجانب الميداني)، كما أنها ملمة بكل المجتمعات على حد سواء، وعلى اعتبار أن العنف: " سلوك يؤدي إلى إيقاع الأذى بالآخرين سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة "، فإن الكتابات الجدارية تجيء كعنف رمزي مؤذي لكل أطراف المجتمع، وإن اتخذ من الجدران فضاء له فإنه يخلف آثارا متباينة على كل الأفراد سواء بالإيجاب أو بالسلب، وهذا من خلال جملة الرموز والإشارات التي يحويها في مضامينه.

إن ظاهرة الكتابات الجدارية في شتى أنحاء العالم ولاسيما في الجزائر شكلت ولم تزل علامة استفهام، لأن ما تحمله ضمن طياتها يهدد بمحو وإزالة أو بتشويه كل ما تحويه المجتمعات من قيم حضارية عريقة وأصول دينية ثابتة، ولعل هذا سر الاهتمام بها كظاهرة تستوجب البحث.

إن دراسة العنف تعتبر رائدة ضمن جملة الدراسات التي حظيت باهتمام الباحثين، على العكس من ذلك فإن موضوع الكتابات الجدارية لم ينل ولو القسط القليل في مجمل الدراسات العربية، أما الدراسات الأجنبية فهي غنية جدا بهذا الموضوع غنى تلك الظاهرة هناك وتبعا لتطورها، فقد أصبحت فنا رائجا يدعو إلى السلم والوئام عكس ما هي عليه الآن في الدول العربية أين تعيش أولى بداياتها، ولعل هذا أحد الأسباب المهمة لاختيارها كموضوع لبحثنا الذي سعينا في مجمل أهدافه إلى دراسة التصورات الاجتماعية للعنف الرمزي من خلال الكتابات الجدارية مستعينين بمحور التصورات الاجتماعية دون الاتجاهات أو الآراء تبعا لنمط الموضوع وطبيعته؛ ولقد تناولنا هذا البحث بالدراسة انطلاقا من الفصل الأول بهدف معرفة التصورات الاجتماعية من جملة التعاريف المختلفة حولها، إلى ذكر أهميتها وصفاتها مرورا إلى بنيتها ومحتواها وآليات عملها، وكذا بعض المقاربات النظرية حولها، أما فيما يخص الفصل الثاني وهو العنف الرمزي فقد ارتأينا فيه الإشارة أولا إلى العنف عموما من تعريفه وأنواعه، ثم تطرقنا إلى فحوى العنف الرمزي بالقدر المستطاع من المعلومات المتوفرة، ثم تناولنا الفصل الثالث الخاص بالكتابات الجدراية بداية من لمحة تاريخية عنها، إلى ذكر بعض مفاهيمها والإشارة إليها كظاهرة متنامية في الدول العربية ومزدهرة في الدول الغربية مع أمثلة معتبرة عنها في بعض الدول، وكمقارنة بسيطة تناولنا هذه الأخيرة في الجزائر مدعمين ذلك ببعض الصور سواء المجسدة أو الحقيقية. ولأن هدف بحثنا هو دراسة الكتابات الجدارية في المجتمع الجزائري، فقد دعمنا هذا الجانب النظري بآخر ميداني محاولين فيه إبراز التصورات الاجتماعية المتباينة للعنف الرمزي من خلال الكتابات الجدارية، معتمدين في ذلك خطة منهجية لبلوغ الهدف المنشود.

الجـــــــانـــــــب النظـــــــري

1-1/ الإشكـــاليـــة:

الثابت أن العنف لا يصدر عن عامل واحد منفرد، وأن حدوده لا تنحصر عند شخص بعينه، بل أصبح ظاهرة معقدة الدواعي والأبعاد، وبالمثل تبدو تجلياته في مظاهره العديدة التي ليست إلا تعبيرا عن أنماط من السلوك الهدام لا محالة، وقد مرت بها معظم المجتمعات فاندثرت لأجلها حضارات، وسقطت بسببها حكومات، وألحقت أضرارا مادية وبشرية بالأفراد والجماعات والمؤسسات على حد سواء. وإن كان هذا النوع من السلوكات السافرة والعلنية القابلة للمعاينة البسيطة قد حظي باهتمام الباحثين والعلماء من جميع النواحي والميادين، فإن هناك نمط آخر يرسل بخيوطه الأولى في صلب كيان المجتمعات برمتها، فيضرب بنائها ويهدم استقرارها، وما نقصد به إلا ذلك النوع من العنف الغير مباشر أو كما يسمى بـــ " العنف الرمزي " الذي اتخذ بأشكاله العديدة والخفية مواقع حساسة تشكل خلفية قوية لظواهر تظل بلا اهتمام كافي، وهي وجه آخر لا يقل أهمية عن الوجه المعلن، بل قد يكون تحليل هذا النوع ضرورة منهجية وحتمية منطقية للفهم العام لظاهرة العنف كاملة. وبحديثنا هذا إنما نود أن نركز على إحدى مظاهر العنف الرمزي التي اتخذت من الكتابات الجدارية فضاء يشهر فيه فاعلوه عنفهم ضد المجتمع وبيئته جملة لا تفصيلا، وإن اختلفت الآراء أو بالأحرى التصورات الاجتماعية حوله، إلا أنه يشكل محور نقاش فعال وآني سواء في الدول الغربية أو العربية، وإن كانت هذه الظاهرة تعتبر دخيلة على المجتمع الجزائري مثلما هو الأمر بالنسبة لبقية الدول العربية، حيث لم تلق الاهتمام الكافي واللائق بها لخطورة فحواها وأبعادها المترامية الأطراف، والمؤذية في مجموعها لكل شرائح المجتمع، عكس ما هي عليه في الدول الغربية أين كانت بدايتها تقريبا في الستينات، وبعد التطورات الهائلة التي شهدتها منذ ذلك الوقت سلكت في الوقت الحالي منحنيات أخرى، ربما تدعى بالفنية، حيث تطرح في معظمها العديد من القضايا المجتمعية، أما في الجزائر فإن الكتابات أو الرسومات الجدارية تحمل في محتواها زمرة معتبرة من الدلالات وإن كانت في مجملها وحسب اعتقادنا ذات مدلول عنيف أكثر من أي شيء.

إن الكتابات الجدارية ومهما كان الهدف منها سواء المطالبة بالحقوق المهضومة، أو أسلوب تعبير أو رفض للواقع المعاش، أو فرصة سانحة لرد الاعتبار، فإنها في مجملها أسلوب عنف يعمد فاعلوها إشهاره في وجه العامة عبر ما يكتبونه بوضوح أو بغموض مفضلين هذا الأسلوب على الظهور العلني، ومؤثرين الرموز الجدارية للتخفي على نشاط ممنوع قانونيا واجتماعيا، ومن خلالها تدان الحكومات، وتشتم الدساتير وتنتهك الأخلاقيات والمبادئ، وتهان الكرامة والكبرياء، فمن منا لا تخدش قيمه وأحاسيسه وهو يقرأ رموزا وإشارات بذيئة في مجملها باختلاف مواضيعها وأماكن تواجدها، وإن كانت تنتشر وبشكل كبير في الأحياء الفقيرة والشعبية.

رغم كل هذا الحيز الذي تشغله الكتابات الجدارية سواء من حيث الأهمية، أو مجال انتشارها ناهيك عن حساسيتها كموضوع يشغل اهتمام العامة من الناس والخاصة منهم بشكل أدق، بالإضافة إلى تأثيرها اللامتناهي على كافة أطراف المجتمع، إلا أنها كموضوع بحث قلما تم تناوله بالدراسة والتنقيب، ولعل هذا من أهم دوافع بحثنا الذي نأمل أن نوفق ولو في جزء بسيط منه.

ورغم هذا فإن موضوع الكتابات الجدارية يعد جديدا على الساحة العلمية المحلية والعربية، وإن تم تناوله من قبل فإنما من خلال تحليل مضامين تلك الرموز والإشارات من منظور نفسي تحليلي، على عكس دراستنا هذه التي تهدف إلى التطرق إليها بالبحث ولكن من منظور يتموقع ما بين علم النفس وعلم الاجتماع، على اعتبارها ظاهرة تنشأ في الوسط الاجتماعي وتمارس من طرف أفراد يشكلون جزء من ذلك المجتمع، ولأنها أسلوب أو طريقة موجهة ضد كل الأفراد، فإن لها جملة مختلفة من الآراء والمواقف حولها كظاهرة اجتماعية، لكننا سنلم بكل هذا من خلال محاولة دراستها عن طريق التصورات الاجتماعيةكأسلوب بحث يصلح لهذا النوع من الظواهر. و انطلاقا من هذا كانت إشكالية بحثنا تصب في هذا القالب وتتمحور حول التساؤل التالي:

- ما هي جملة التصورات الاجتماعية للكتابات الجدارية ؟.

2-1/صيـــاغـــة الفـــرضيـــات: وعلى اعتبار أن الفرض هو حل مؤقت في انتظار التأكد منـــه لا حقا عبر بقية مراحل البحث، فإن هذه الخطوة تشكل جوهر البحث بأكمله، لذا فإنـــه مـــن الجانـــب المنهجي تراعى الدقة في تحديدها وصياغتها. ولأن التصورات الاجتماعية للعنف الرمزي مـــن خـــلال الكتابات الجدارية موضوع متشعب وصعب المراس خصوصا من منظور التصورات، فإننا ارتأينا صياغة فرضية عامة دون الفرضيات الجزئية، وإن كان هذا تبعا لطبيعة الدراسة والهدف منها. و عليـــه فـــإن دراستنا هذه تنطلق من فرضية عامة فحواها هو:

توجد تصورات اجتماعية للعنف الرمزي المجسد في الكتابات الجدارية.

3-1/ التعريفـــات الإجرائية للمصطلحـــات المفتـــاحية في البحـــث :

ويمكننا تحديد ثلاث مصطلحات مفتاحية تشكل دعائم بحثنا وفصوله وهي:

* **التصـــورات الاجتمـــاعيـــة:** هي أنظمة تفكير حول مواضيع معينة يكون الفرد بواسطتها على اتصال بمجتمعه، تختلف عن الآراء والاتجاهات، وهي نوع من المعرفة العامية والمشتركة بين كل أفراد المجتمع، حيث أنها تكون مهيئة ومقسمة اجتماعيا بينهم، وهذا باختلاف معايير معينة (ثقافية ، أيديولوجية...)، وهي حصيلة نشاط عقلي يعتمد على إعادة بناء الواقع و إعطائه معنى خاص أو تصور خاص، كما أنها مرنة وليست ثابتة فهي تختلف من عصر لآخر ومن مجتمع لآخر تبعا لظروف المجتمع الحالية، وهي متداولة بين كل أطرافه كالتصورات الاجتماعية حول الصحة والمرض، أو حول المرض النفسي، أو الإرهاب، أو الجنون، أو مواضيع أخرى كالإعلام الآلي، أو كما هو الأمر في بحثنا حول الكتابات الجدارية، فهي دوما تتركز على هدف معين.

* **العنـــف الرمـــــزي:** نمط خاص من العنف العام يسمى أحيانا بالعنف المقنع أو المستور أو حتى العنف الخفي، وهو أسلوب موجه إلى عامة الناس خلاف العنف المادي أو المباشر الذي يكون هدفه محدد، فالعنف الرمزي يتخذ عدة أشكال وأنماط تشكل في مجملها إشارات أو رموز للمواجهة غير المباشرة، حيث يعمد فاعلوه على التخفي دون الظهور علانية.

* **الكتـــابـــات الجـــداريـــــة:** برزت حديثا في الساحة العامة، وإن كانت قديمة قدم تواجد البشرية، لكنها مستجدة بجدية الحياة ودروبها، وهي جملة الكتابات و الرسومات أو حتى النقوش المجسدة على الجدران الحجرية أو الطينية أو الإسمنتية، وهي تختلف ما بين المجتمعات العربية التي تعيش أولى بدايات ظهورها، عكس الدول الغربية التي اتخذت منحنيات فنية لها. وهي بمعنى آخر كل الخربشات المعبرة عن الآراء والأفكار المقهورة، فهي عنف رمزي موجه للعامة من المجتمع والخاصة منه كرد فعل على ما مورس عليهم.

4-1/ أهــــمــــية البحــــث:

يستمد موضوع التصورات الاجتماعية للعنف الرمزي من خلال الكتابات الجدارية أهميته العلمية بالنظر إلى الدراسات العلمية الجادة سواء على المستوى المحلى أو حتى العربي، وإن كان ما وجد منها ليس إلا محاولات بسيطة لإعادة ذكر العبارات المترامية على الجدران مع محاولة تفسيرها أو حتى ترجمتها من منظور نفسي أو تحليلي. لذا جاءت دراستنا هذه لمعرفة ما هي جملة التصورات الاجتماعية حول الكتابات الجدارية انطلاقا من فرضية العنف الرمزي.

وتستمد هذه الدارسة أهميتها بالنظر إلى الموقع الجوهري الذي تحتله التصورات الاجتماعية ضمن البحوث النفسية والاجتماعية وحتى الأنثروبولوجية، فلطالما كانت جل المواضيع يتم دراستها عن طريق الاتجاهات والآراء، وإن كانت في محتواها نفسية أو تربوية، أما موضوع التصورات الاجتماعية فهو الأوسع والأشمل لإلمامه بمعظم البحوث ولاسيما في علم النفس الاجتماعي، وإن كان حسب رأينا هو الأنسب لدراسة موضوعنا، وهذا لأننا بصدد معرفة جملة التصورات المتباينة أو المتضاربة حوله.

كما ترجع أهمية موضوعنا إلى الموقع الجوهري الذي يحتله كظاهرة يجمع عليها عامة الناس من خاصتهم، وكذا بسبب جذبها للأنظار، وهذا ما لمحناه وبشدة في أولى خطوات بحثنا، وإن كان هناك اختلاف في التصور الاجتماعي حولها فإنما مرد ذلك إلى العديد من العوامل كما سنرى من خلال الجانب النظري والميداني.

5-1/ أســــباب اختيــار البحـــث:

لن نطيل الحديث كثيرا لنلخص دوافع اختيارنا لموضوع التصورات الاجتماعية للعنف الرمزي من خلال الكتابات الجدارية في بضع نقاط وهي:

- حداثة الموضوع في علم النفس عموما وعلم النفس الاجتماعي خصوصا.
- قلة الدراسات فيه أو بالأحرى انعدامها، وهو دافع مهم للبحث والتمسك بالموضوع.
- جملة التصورات الاجتماعية المتضاربة حول الموضوع، فجاء اختيارنا ليس للفصل فيها وإنما لمعرفة محتواها أكثر.
- دوافع أخرى تتلخص في مجملها في تفاقم هذه الظاهرة وبشكل مثير ولفت انتباهنا لهذه الظاهرة من خلال المظهر الجديد الذي أصبحت عليه مدننا وشوارعنا.
- وأخيرا الرغبة الشخصية في دراسة موضوع حساس في الوسط الاجتماعي وبأسلوب بعيد نوعا ما عن الروتين النظري، وبمحاولة بسيطة للخروج إلى أرض الواقع ودراسة الموضوع بأسلوب أو طريقة تؤدي الغرض المنشود.

صعوبـــــات البحـــث:

وككل البحوث فلا شيء يجيء من العدم، وإنما بالتتبع والجهد، كذلك هو الأمر بالنسبة لموضوعنا وإن صادفتنا جملة من الصعوبات أو الحواجز، فإنما هذا سبب إضافي للتمسك بالموضوع وتكملته. وهذه الصعوبات هي:

أولا: قلة الدراسات السابقة على المستوى المحلي، فلم نستند إلى على دراسة واحدة من جامعة وهران وإن كانت بعيدة في محتواها و أسلوبها عما نبحث فيه ونبتغيه.

ثانيا: قلة المراجع باللغة العربية بالنسبة للفصلين الأول والثاني، وانعدامها بالنسبة للفصل الثالث (الكتابات الجدارية)، حيث اعتمدنا بشكل كلي على مواقع الأنترنيت.

ثالثا: صعوبات تتعلق بالجانب التطبيقي، حيث بذلنا أقصى مجهوداتنا لتطبيق تقنية جديدة على الساحة العلمية في موضوع التصورات الاجتماعية، وهي تقنية شبكة التداعيات Le réseau d'associations للباحثة " Annamaria Silvana de Rosa " التي طبقت على أحداث 11 سبتمبر 2001 بعد قصف بنايات مركز التجارة العالمية بالو.م.أ لمعرفة التصورات الاجتماعية للإرهاب، وسنرى ذلك مفصلا في الجانب الميداني. و لأنها دراسة حديثة وجد متطورة فقد اعتمدت على البرامج الآلية لمعالجة المعطيات" les logicielles " والتي لم نستطع الحصول عليها لانعدامها على مستوى الجامعات وحتى في مواقع الإنترنت، حيث تبين أنها تباع في كندا وفرنسا وبأسعار باهظة.

أمام كل هذه العراقيل لم تنقص عزيمتنا في المواصلة، رغم بعض الانتقادات التي وجهت إلينا بسبب التمسك بهذه التقنية، لكننا أكملنا على ذلك المنوال وإن كان للضرورة أحكام فلا ضرورة أكثر من هذه، لذا ارتأينا تطبيق هذه التقنية حسب إمكانياتنا، وقد استغنينا عن تلك البرامج واكتفينا بتبويب البيانات إحصائيا مع تحليلها ومعالجتها قدر الإمكان.

الجـــــانــب الميــــــدانــي

أولا: منهجيـــــة الدراســـــة:

وحتى لا نكون في قطيعة عما أوردناه فيما سبق من الجانب النظري، فإننا سنحرص في هذا الفصل على تحقيق أهداف بحثنا المرجوة انطلاقا من دراسة منهجية كسائر الدراسات المستعملة في البحوث النفسية والاجتماعية، لكننا سنحاول الخروج نوعا ما عن الروتين العادي من جملة الاستمارات والمقابلات. ولأننا بصدد دراسة موضوع التصورات الاجتماعية ولا سيما للعنف الرمزي من خلال الكتابات الجدارية، فإننا انتهجنا أسلوبا جديدا لتحقيق هدف البحث من خلال استعمال أسلوب التداعي كواحد من أهم أساليب دراسة التصورات الاجتماعية، وبالضبط فإننا وفي محاولة بسيطة منا طبقنا تقنية تسمى بـــ " شبكـــة التداعيـــات Le réseau d'Associations " رغم الصعوبات التي واجهتنا، إلا أننا حاولنا قدر المستطاع التقيد بخطواتها إلا ما تعذر علينا القيام به، وعليه فإننا سنتناول هذا الجانب عبر عدة نقاط ترمي في مجملها إلى الخروج بنتائج تفي وتؤدي الغرض المنشود من الدراسة.

I/ المنهـــج المستخدم في البحث:

وككل البحوث النفسية الاجتماعية، يأخذ تحديد المنهج المستعمل في الدراسة أهمية قصوى قصد إبراز طريقة البحث، وعليه وتبعا لطبيعة موضوعنا، وكذا لفرضيتنا العامة، فإننا تعمدنا استعمال المنهج الوصفي كأحسن منهج للبحث مع التعديل في بعض تقنياته (باستعمال شبكة التداعيات كما سبق وأن أشرنا)، مدعمين ذلك بخطوات تحليل المضمون نظرا لاستحالة اقتناء برامج معالجة المعطيات، وتبعا للمنهج المستعمل فإننا سنشرح فيما يلي طريقة البحث المستعملة، مع الإشارة أيضا إلى العينـــة، أما بالنسبة للمجال الزماني والمكاني فسنأتي على ذكرهم لاحقا بعد شرح تقنية البحث.

II/ أدوات البحـــث:

وقد تم تطبيق تقنية شبكة التداعيات كإحدى أساليب البحث في التصورات الاجتماعية، وإنما ضمن الطرق المتداعية التي تستعمل إلى جانب الطرق الاستفهامية كما رأينا في الجانب النظري في فصل التصورات، وعليه سنأتي فيما يلي إلى شرح هذه التقنية كما وردت. أما عن كيفية تطبيقها فإننا سنأتي إليها بعد ذكر العينة وطريقة اختيارها.

*** تـــقـــنيـــة شبكـــة التداعيـــات " Le réseau d'Associations "[1]:** وهذه التقنية للباحثة " Annamaria Silvana de Rosa "، وتهدف لكشف بنية ومحتويات المؤشرات القطبية والمحايدة والنمطية للمجال المعنوي (الدلالي) المتصل بالتصورات الاجتماعية. إن هذا النموذج "شبكة التداعيات " يستطيع

1/ Annamaria Silvana de Rosa : Le réseau d'Associations in Jean-claude Abric : Méthodes d'étude des représentations sociales, © éditions érès, 2003, pp. 82-92.

أن يقدم كتقنية للدراسة الحقيقية قصد استخراج بنية ومحتويات وقطبية المجال الدلالي المتداعى لإحدى التصورات. لقد كانت فرصة تقديم هذه التقنية بادئ ذي بدء مع " روزا " في1995، ثم بعدها ذهبت مع العديد من التجارب التي حضيت بالاهتمام الكبير ولا سيما في العشر سنوات الأخيرة، حيث ارتكزت على معطيات غنية مأخوذة (محصلة) من خلال العديد من أعمال ومشاريع البحث الأصلية وهي في حقيقتها مرتبطة بعدد من ميادين الدراسية، حيث هذه التقنية استعملت بالتوازي مع طرق أخري، وفي 1995 نشر هذا العمل مع مجموعة من الطرق المتداعية من طرف الباحثين في مجال التصورات الاجتماعية. وما يمكننا قوله حول هذه التقنية أنه قبل تقييمها ووضعها في مضمون أو محتوى منهجي يجب أن نلاحظ أن تقنية شبكة التداعيات تعرف فقط بعض المجالات الدلالية والتقييمية المرتبطة بالتصورات خصوصا، أو باستشارة لتصورات المواضيع المتصلة فيما بينها Moscovico 2000,)
(Rosa المتعددة المنهجيات ذات الوحيدة المقارب وهي (Seca 2001, Roussiau & Bonardi 2001
(1987 والتي تستطيع حقا أن تزيح التعقيد للأبعاد العديدة للتصورات الاجتماعية

*** شبكـــة التداعيـــات من خلال تمثيـــل و اتبـــاع الخطـــوات المنهجيـــة:**

إن شبكة التداعيات هي أداة الأكثر جاذبية للمواضيع بسبب بساطتها ووضوحها، وكذلك بالنسبة للباحثين، وبواسطة قوة ثباتها للتأقلم مع أهداف البحث، وخلال تطبيق بقية الطرق البحثية كالاستمارة مثلا أيا كان نوعها، فإننا نلمح تقييدا للفرد المفحوص، حتى وإن كانت تلك الاستمارة بأحسن البناء ومطولة،أما في هذه التقنية فالشيء مختلف، حيث تستعمل طريقة بسيطة لتجميع نفس المعلومات وإنما بوقت أقل، وكذلك بنفس إحساسات المفحوص التي لا تجرد عنه كما في الاستمارة، أما من حيث تطبيقها فمنذ انشائها لم يتلق الباحثون صعوبات حولها بتعدد المواضيع التي استعملت فيها، بل واتضح جيدا مدى الفهم السريع والجيد لها، بالإضافة إلى ملائمتها لكل الأعمار (حيث أنها استعملت حتى مع الأطفال في سن التمدرس)، وضمن أي شروط اجتماعية أو خلفيات ثقافية (لقد طبقت في كثير من البحوث العالمية)، وهكذا فإن سهولة استعمالها وفهمها مصحوبة بمرونة كبيرة في مدى تأقلمها مع أهداف البحثوث الأكثر اختلافا، حيث يمكننا تطبيقها مع أي بحث فقط مع تغيير المقطع المنبه. وفيما يلي نوضح جليا كيف تطبق هذه التقنية بمراحلها الأربعة ببساطة مع شرحها والغرض منها، وتستخدم هذه الأداة لوحدها أو إلى جانب طرق أخرى، لكننا في بحثنا هذا سنركز على هذه التقنية أكثر من غيرها حتى نحافظ على نوعية البيانات المحصل عليها. كما أن هذه الطريقة تستعمل لتحليل بيانات فردية أو جماعية، كما يمكن تطبيقها على مجموعة ولو صغيرة.

ثانيـــا:تـــطبيـــق أداة البحـــث:

انطلاقا من ترتيب خطوات بناء شبكة التداعيات، وبعد اختيارنا للمنهج المناسب والأداة المناسبة (التقنية)، وتحديدنا للعينة مع شرحها لم يكن أمامنا من خطوة سوى التوجه إلى مكان تواجد وتكاثف الكتابات والرسومات الجدارية، حيث تم التقاط مجموعة معتبرة من الصور أين تمركزت في الأحياء الشعبية والفقيرة بالإضافة إلى الأماكن العمومية (مراحيض، مواقف الحافلات، والنقل عموما، ساحات عامة) كما وجدت على جدران المدارس والثانويات والمؤسسات، وحتى تكون مجموعة الصور ملمة نوعا ما بالموضوع، تم التنقل عبر عدة نقاط من الشرق الجزائري لاقتنائها بدءا من: " سطيف، العلمة، قسنطينة بأحيائها: باب القنطرة، الشالي، جنان الزيتون، واد الحد، وكذا ضواحيها: ديدوش مراد، عين السمارة، الخروب، إلى أم البواقي وعين مليلة، وكذا شلغوم العيد، تاجنانت (ولاية ميلة) "، كما تم الاستعانة بالانترنيت، وكان العدد الإجمالي تقريبا 26صورة وقد توخينا الحذر في عدم تكرار المواضيع لأننا في أول الأمر وتسهيلا للعملية قسمنا مواضيع الصور إلى محاور: سياسية، عاطفية، عنيفة...، ولأننا اخترنا تقنية شبكة التداعيات فإننا وحسب خطواتها ارتأينا استعمال صورة مجسدة للمقطع المنبه بدلا من عبارة الكتابات الجدارية، وبعدها بدأنا مباشرة عملية بناء شبكة التداعيات حسب خطواتها.

***مرحلـــة بناء الشبكـــة على 15 حـــالة:** ومن خلال ما تقدم من شرح حول بناء شبكة التداعيات حسب الباحثة " Annamaria Silvana de Rosa "، فإننا سنطبق المراحل الأربعة السابق ذكرها علـــى عينة بحثنا المتمثلة في 15 فرد (حالة)، وإن كنا سنكتفي بعرض مخطط الحالة الأولى فقط ضمن صـــلب البحث، بينما بقية الحالات الأخرى فسيتم عرضها في الملاحق (ملحق رقم 01).

-2- التصـــورات الاجتمـــاعيـــة:

تمهيــــــد:

إن ارتباطنا ووجودنا في العالم المحيط بنا يجعلنا دائما نحتاج إلى معارف لفهمه، بحيث أنه يزخر بالمواضيع والأشخاص والوضعيات المرتبطة ببعضها البعض، ولكل عنصر أهمية قصوى في المجتمع، وهناك من تلك الوضعيات ما هو مجسد لحياتنا الشخصية أو الذاتية، وأيضا ما هو سجل لقيمنا وعاداتنا، ومهما كانت صلتنا بتلك المواضيع والوضعيات فإن الفرد بحاجة دوما إلى ذلك التواصل سواء بصورة سلبية أو ايجابية، لأنها تجسد في كينونتها جملة متفرقة من المعارف والطقوس والعادات المختلفة والمشتركة بين كل أفراد المجتمع، ولعل من بين المواضيع التي هي جزء لا يتجزأ من تلك المعارف: العائلة والمدرسة، والعلاقات الاجتماعية كالصداقة والزواج، وكذا الجانب المادي (النقود) ووضعيات كثيرة وجمة كالأطباء، المعلمين والعمال، وغيرها مما تجسد ميادين الحياة الاجتماعية المختلفة والتي تلزم الفرد بالتواصل مع محيطه الاجتماعي مهما كان نمط ذلك التواصل[1].

إن جملة المعارف التي سبق الحديث عنها لا يمكن أن تولد مع الفرد، وإنما هي نتيجة احتكاكه الدائم والمتواصل بالمجتمع الذي نشأ فيه، فهي تبنى وتتشكل عنده من خلال عدة عمليات عقلية وفكرية، والتي تدخل ضمنها عملية بناء التصورات أو يدخل ضمنها التصور كسيرورة لبناء المعارف لدى الفرد، بحيث إذا ما فتحنا نقاشا مع أقرب الناس، فإننا نقع في اختلاف وجهات النظر ولو في جزء بسيط من ذلك الموضوع، وهذا لا لشيء سوى لأن لكل فرد منا تصورات خاصة به تسمى " تصورات فردية "، ولكنها غير معزولة عن بقية تصورات أفراد المجتمع، سواء من حيث الاتفاق أو الاختلاف في مجملها، وإنما هي تجسد جملة من التصورات العامة التي يطلق عليها " التصورات الاجتماعية "، وفي هذا السياق فهي تساعد الفرد على مواجهة العالم المحيط به من خلال معالجة، وتعديل المواقف، وحل المشاكل التي يواجهها الفرد، وللإحاطة بالتصورات الاجتماعية فإننا اعتمدنا على عدة نقاط سنحاول من خلالها توضيح الخلفية التاريخية لهذا المصطلح والتعريف به مع ذكر علاقته بالعلوم الأخرى ووظائفه وصفاته... وغيرها من النقاط راجين من الله عز وجل أن نوفق ولو في جزء بسيط في الإلمام بهذا المصطلح الجد متشعب والمعقد.

1/ Pascal Moliner : les représentations sociales, © presses universitaires de Grenoble, Mai 2001, p. 7.

1-2/ لــمحـــة تاريخيـــة عـــن مفهـــوم التصـــورات:

يعد مفهوم التصور قديما قدم الفلسفة الإغريقية، ولكنه كمفهوم إجرائي يعتبر حديثا نسبيا، حداثة ظهوره في الخطاب التربوي، أين ثبتت أهميته في مختلف التطبيقات خاصة فيما يتعلق بالميادين البيداغوجية، ولاسيما أن هذه الأهمية برزت وتجسدت في أبحاث ودراسات لعلماء قدامى أمثال: " إيمانويل كانط "، " دوركيم "، وغيرهم في ميدان المفاهيم والمدركات المعرفية(1).

لقد أثار هذا المفهوم خلال الأربعين سنة الأخيرة نقاشات كثيرة في ميدان علم النفس الاجتماعي، وهو ينحو اليوم إلى أن يحتل موقعا مركزيا في العلوم الإنسانية، فمنذ انطلاق حركة البحث حوله في فرنسا على يد "سارج موسكوفيسي Serge Moscovisi " تعددت الملتقيات والمنشورات في أوروبا والولايات المتحدة وباقي دول العالم، وأصبحت تشمل كل العلوم الاجتماعية: الأنثروبولوجيا، علم الاجتماع، التاريخ...

ويعتبر " إيميل دوركيم" أول من استعمل وعرف مفهوم التصور الاجتماعي حينما قارن بين التصورات الفردية والتصورات الجماعية، وذلك في مقال مشهور له نشر في مجلة "الميتافيزيقيا والأخلاق"1898م "، بحيث يعتبر التصورات الجماعية موضوعا مستقلا للدراسة، وأكد على خصوصية التفكير الفردي. وكما أن للتصورات الفردية خصائص تميزها حيث لا يمكن اختصارها في عملية فيزيائية –كيميائية يقوم بها المخ الذي سببها، كذلك التصورات الجماعية فإنه لا يمكن اختصارها واعتبارها مجرد مجموع تصورات الأفراد الذين يشكلون ذلك المجتمع.

وظل مفهوم التصورات الجماعية عاما يشير إلى الأساطير والطقوس وأنواع التفكير التي تميز مجتمع ما، ونظرا لعموميته وتضمنه لكل أشكال التفكير الاجتماعي لم يعد من الممكن تمييز التصورات عن الذهنيات و الأيدولوجيا، فأصبح هذا المفهوم ظاهرة ولكنها غير إجرائية(2).

وبعد فترة من عدم الاستعمال، عاد مفهوم التصور الاجتماعي للوجود كأحد مباحث علم النفس الاجتماعي، وتعود الأسباب الرئيسية وراء هذا النسيان إلى هيمنة المدرسة السلوكية(3) على علم النفس لمدة طويلة في تلك الفترة، والتي لم تكن تؤمن إلا بالسلوكيات الظاهرة والقابلة للملاحظة والقياس: كالسلوكيات اللفظية والحركية، أما الاستجابات الكامنة الضمنية وكل الأنشطة المعرفية فلم تعرها أي اهتمام، ومن بين المواضيع التي درست في تلك الحقبة مفهومي " الاتجاه والرأي " فهذين المفهومين يتصلان مع مفهوم التصور الاجتماعي، لكنهما يختلفان عنه، فالرأي يمثل استجابة ظـــاهرة

1/ Revue des sciences humaines, série n° 27, 1993.

2/ Ferreol Gilles : Dictionnaire de Sociologie, 2ème édition, Armand Collin, Paris ,1995 pp. 242-249.

3/ Denise Jodelet : Les représentations Sociales, © presses universitaires de France, 3ème édition, Avril 1993, p. 38.

قابلة للملاحظة والقياس، أما الاتجاه فيستمد أصوله من علم النفس العام، وقد استعمل في البداية للتأكد من وجود علاقات بين المثيرات والاستجابات وذلك في حساب زمن رد الفعل، أما مفهوم التصور فهو أكثر تعقيدا وذلك بسبب طبيعته الكامنة، فهو عملية بناء للواقع يؤثر في آن واحد على المثير والاستجابة، فيعدل الأول و يوجه الثاني[1].

كما أشار " موسكوفيسي " إلى أن التصورات تتحدد في آن واحد بالمثير والاستجابة، وأنه: " لا توجد قطيعة (فصل) بين العالم الخارجي و العالم الداخلي للفرد أو للجماعة "[2].

كما يعود تأخر تطور مفهوم التصور الاجتماعي إلى سيطرة النموذج الماركسي الذي يؤمن بأن إنتاج الأفكار للتصورات يرتبط بالنشاط المادي للناس، كما يؤمن بأن مفهومية آليات التدرج والمراتب ما بين أدنى وأعلى البنيات يعطي الشرعية الكاملة لدراسة هذا النمط، بحيث أن التصورات هي لغة الحياة الواقعية، ولكن مع التطور الذي عرفه كل من علم النفس المعرفي وعلم الاجتماع المعرفة بدأ هذا المفهوم يأخذ مكانة له في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، والتاريخ، وعلم النفس الاجتماعي، وهذا التطور النوعي لمفهوم التصور الاجتماعي حدث في ميدان علم النفس الاجتماعي علي يد "موسكوفيسي" الذي درس تصورات الجماعات المختلفة للتحليل النفسي، ونشرت نتائج دراسته في كتابه: " التحليل النفسي، صورته وجمهوره La Psychanalyse son image et son public " عام 1961.

لقد أراد "موسكوفيسي" في دراسته الرائدة أن يفهم كيف تنتشر نظرية علمية لدى الجمهور وما هي التغيرات التي تطرأ عليها بعد مرور نصف قرن من الزمن، مع الإشارة أنه لا يوجد تصور واحد للتحليل النفسي بل تصورات، وهي تختلف في محتواها ومستوى بنائها وتوجهها العام نحو التحليل النفسي، كما تختلف أيضا حسب الانتماء الاجتماعي[3]. وبالتوالي معه، عدد كبير من الباحثين اهتموا بالتصورات الاجتماعية ودرسوا عدة ظواهر من خلالها أمثال : Laplantine , Herzlich, D. Jodelet
Jean Claude Abric, René Kaës, Bourdieu, Chombart de lauwe, Gorin, Milgram Quaglino,
وسنأتي على ذكرهم بأعمالهم وسنوات بحوثهم في عنصر آخر (التصنيف الوصفي للمواضيع التي تناولت بالدراسة التصورات الاجتماعية...).

1/ Herzlich Claudine : La représentation sociale, in Serge Moscovici : introduction à la psychologie sociale Tome 1, Larousse, paris, 1972, pp. 303-304.
2/ Denise Jodelet : les représentations sociales, 1993, op-cit, p. 39.
3/ Ferréol Gilles : Dictionnaire de sociologie, op-cit, p. 244.

2-2 / المفـــهـــوم العـــام للتـــصـــور:

لقد تم تناول هذا المفهوم من نواحي متعددة، و أعطيت له معاني كثيرة، مما جعله وسيلة عمل صعبة المراس، فبالرغم من الأبحاث التي أجريت حوله فإن مفهوم التصور الاجتماعي ظل غامضا، ومرد ذلك إلى درجة تعقيده واشتماله على كل شيء: من العلم إلى الحركات الاجتماعية، إلى الأفراد وغيرها من العمليات و السيرورات...الخ[1].

ولأن التصورات الاجتماعية مفهوم يعد قديما قدم علم النفس وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا، إلا أنه ظل في طي النسيان لسنوات طويلة، وبفضل الباحث "موسكوفيسي" أعيد التطرق إليه وبشكل جديد، وبقوة شملت العديد من الميادين، لكن يبقى سر قوة هذا المفهوم غير مقتصر على معانيه المتعددة، وإنما يتعدى إلى سيروراته، وبنائه المعقد، وأهدافه المختلفة، ومجالاته العديدة. ولكي نصل إلى فهم جيد لهذا المصطلح فإنه لا بد من التطرق أولا إلى المفهوم العام للتصورات، وبعدها نأتي إلى التصورات الاجتماعية مع ذكر مختلف التعريفات لها.

- المصطلـــح العـــام للتصـــور:

إن مفهوم التصور يعود إلى الكلمة اللاتينية " Représentare "، والتي معناها الاستحضار. ويعرفه القاموس الفلسفي على أنه: " كل ما يمكن أن يتصور من طرف الفكر "، أما المعجم النفسي فيعرفه على أنه: " استدراك صورة عقلية ضمن المحتوى الذي يأتي بهدف لوضعية وسلسلة... في العالم الذي يحيا فيه الموضوع (الفرد) "، أي هو عملية استحضار صورة موجودة في الذهن والتي هي مرتبطة بالمحيط الذي يعيش فيه ذلك الفرد. ويعود الفضل في استعمال مفهوم التصور إلى:

* " **إميل دوركيم Durkheim** " الذي أدخله لأول مرة سنة 1898، حيث استخدم عبارة التصـــور في الإطار الاجتماعي لإبراز الطابع الخاص للفكر الجماعي مقابل الفكر الفردي، فكان لابد من الانتظـــار ستون (60)سنة لكي تكون التصورات محل دراسة معمقة، وهذا بفضل الباحث "سارج موسكوفيسي ".

وبالنسبة لدوركيم فيعرف التصورات بأنها: " ظواهر تتميز عن باقي الظواهر في الطبيعة بسبب ميزاتها الخاصة... وبدون شك فإن لها أسباب، وهي بدورها أسباب...، إن إنتاج التصورات لا يكون بسبب بعض الأفكار التي تشغل انتباه الأفراد، ولكنها بقايا لحياتنا الماضية، إنها عادات مكتسبة، أحكام مسبقة، ميول تحركنا دون أن نعي، وبكلمة واحدة إنها كل ما يشكل سماتنا الأخلاقية le caractère morale "[2].

1/ Leyens Jaque–Philippe: Sommes nous des psychologues ?, Approche psychosociale des théories de la personnalité, Pierre Mardaga, Bruxelles, 1983, p. 19.
2/ E. Durkheim : Sociologie et philosophie, Paris, Edition PUF, 1967, p. 113.

وهذا يعني أن التصورات ليست فقط ما يدور في ذهن الفرد من أفكار حالية، بل هي جملة ما اكتسبه من الماضي من خبرات وأفكار مرسخة في الذهن، وهي تضم كل القيم والأفكار الخاصة بالفرد والمرتبطة بمحيطه.

ويرى "دوركيم"[1] أن التصور الجماعي لا يمكن حصره فقط في الفرد الذي هو أساس الجماعة، وإنما هو أكبر من هذا بكثير، إذ أنه يمثل أحد العناصر المهمة التي بواسطتها نثبت أهمية الجماعة على الفرد، ويتطور التصور الجماعي ليؤثر على التصور الفردي؛ أي أن التصورات الجماعية هي إحدى الوسائل التي من خلالها تؤكد سيطرة المجتمع على الفرد، إذ يقول: " أن الجماعي يشكل عددا كبيرا من الظواهر النفسية، وهي تشمل حتى ما نطلق عليه بالعلم والأيدولوجيا والأساطير، وهي لا تنفصل من حيث التمييز، بين ما هو ذو مظهر فردي عن ما هو ذو مظهر اجتماعي "[2]. وهنا يؤكد "دوركيم" قوة التصور الجماعي على التصور الفردي، لأن الجماعي يحتويه وبالتالي فهو أشمل منه.

وبالعودة إلى المعنى اللغوي إلى التصورات فإنها: " فعل استرجاع حساس لبعض الأشياء على الأقل بعض الصور، رمز، إشارة "، وهذا التعريف إنما يوحي لنا ببعض الكلمات المفتاحية التي تسمح بتقريب معنى التصورات وهي: الموضوع، الهدف، رسم، صورة، رمز، إشارة، استدراك الحدث، بحيث أن الموضوع قد يكون فرد أو جماعة اجتماعية، أما الهدف فيستطيع أن يكون شخص، شيء، حدث مادي، نفسي أو اجتماعي، ظاهرة طبيعية، فكرة نظرية...، كما يمكن أن يكون حقيقي، تخيلي أو اعتقادي لكنه دوما ضروري في عملية التصور. بينما استدراك الحدث يوحى إلى فعل استخراج الهدف من خلال المعاني (بصري، سمعي، شفهي)، أو من خلال العمليات العقلية (تفكير، تخيل، إدراك...).
أما بقية الكلمات: رسم، رمز، صورة، إشارة، فهي تصورات بهدف الإرسال و الاستقبال.

* **ســـارج موسكوفيسي Serge Moscovici**: كما سبق وأن ذكرنا في كتابه: التحليل النفسي صورته وجمهوره سنة 1961، بحيث يرى أن التصور هو: " إعادة إظهار الشيء للوعي مرة أخرى رغم غيابه في المجال المادي، وهذا ما جعله (التصور) عملية تجريدية محضة إلى جانب كونه عملية إدراكية فكرية"[3]، أي أن التصور هو عملية ذهنية تعتمد على محاولة استحضار شيء من خلال صورة، رمز، إشارة... إلى الواقع بالرغم من غيابها فيه، وعليه فإن التصور هو عملية فكرية محضة. كما يعرفه بأنه: " يعيد تقديم الكائن أو الشيء للشعور، بمعنى أن يقدمه مرة أخرى، أي يجعله حالي رغم غيابه ".

1/ Nicolas .Roussiau & Christine Bonardi : Les représentations Sociales ; état des lieux et perspectives, édition Pierre Mardaga , 2001, p. 23.
2/ Serge Moscovici : la psychologie sociale, © presse Universitaires de France, 1ère édition, Quadrige, , Octobre 2003, p. 368.
3/ Serge Moscovici: Psychologie Sociales, op-cit , p. 40.

أي يحاول أن يجعل ذلك الموضوع الغائب شيئا حاضرا من خلال فكره وعملية الإدراك. إذ يوضح " موسكوفيسي " بأن: " التصور يلعب دور الشاشة الانتقائية بحيث ينتقي ما يلائم موضوعا ته من عقل الإنسان ويستعين بالذاكرة كصورة دينامية "[1]، أي أن الفرد يقوم بالتصور لموضوع ما بواسطة التذكر، ويظهر من هذا التعريف أن التصور ليس مجرد انعكاس داخلي لواقع خارجي، وعلى هذا الأساس يمكن القول أنه ليس مجرد نسخة مطابقة لكل ما يحدث خارج عقل الإنسان، هذا الأخير ومن خلال ذاكرته يحمل مجموعة من التصورات لأشياء مختلفة ومتداخلة.

كذلك عرفه على أنه: " واقع ملموس، يدور، يتقاطع، يتبلور، دون توقف عبر الكلمة، الحركة..." [2]. أي أن الفرد لا يملك تصور واحد وإنما جملة من التصورات حول العديد من المواضيع وإن كانت تتداخل فيما بينها مثل التصورات الاجتماعية حول الإدارة الجزائرية عند طلبة الجامعة، فهي قريبة من بعضها بسبب تقارب الظروف المحيطة بهم، كما أنها متداخلة فيما بينها، وتظهر فقط من خلال بعض الرموز والإشارات التي تجسد ذلك التصور، وعرفه أيضا بأنه: " صلة بين المفاهيم والمدركات، أي بين المجرد والمحسوس[3]، والفرد عندما يتلقى مثير خارجي (فكرة، حادثة، معلومة...) يقوم بمعالجته ذهنيا، وهذه المعالجة تختلف من فرد لآخر حسب عوامل ذاتية تتعلق بشخصية الفرد مثل الخبرة، المهنة، التكوين، وعوامل ليست ذاتية مثل العائلة، المجتمع، المؤسسات...ونتيجة هذه المعالجة يتكون التصور "[4]. وهذا التعريف إنما هو امتداد لما سبق ذكره، حيث رأينا أن التصورات قد تتشابه وقد تختلف ومرد ذلك إلى اختلاف العوامل التي ينشأ فيها الفرد، من اختلاف الوسط العائلي بالإضافة إلى عوامل أخرى شخصية...، وخير مثال ندعم به هذه الفكرة هو موضوع بحثنا المتمثل في التصورات الاجتماعية حول الكتابات الجدارية التي هي موضوع واحد لكن تصوراته جد مختلفة، فإن كان البعض يعتبرها عنف رمزي، فإن البعض الآخر يعتبرها وسيلة تعبير، وإلى غير ذلك من التصورات التي سوف نلمحها في الجانب التطبيقي لبحثنا. ودوما حسب "موسكوفيسي" فإن: " التصورات تقع بين ما هو خارجي وما هو داخلي، أي بين الحقيقة الجسمية والحقيقة النفسية "[5]، على اعتبار أنها عملية ذهنية يحاول الفرد استحضارها في أرض الواقع.

* **التصور حسب قاموس نوبيـــر سلامي Nobèrt Sillamy**: " التصور ليس مجرد استرجاع صورة بسيطة للواقع فقط، بل تكوين أو بناء للنشاطات العقلية، إذن فهو بناء عقلي لنشاطنا "[6].

1/ Serge Moscovici : la psychanalyse son image et son public, édition PUF, 1972, p. 56.
2/ Serge Moscovici: la psychanalyse son image et son public, op-cit, p. 41.
3/ Serge Moscovici: Psychologie Sociales, op-cit, p. 368.
4/ Serge Moscovici : la psychanalyse son image et son public, op-cit, p. 96.
5/ http://www.iperlogo.it/gypsies/français/cours/reprès/caratter sociologique.htm
6/ Nobèrt Sillamy : Dictionnaire usuel de psychologie, L- Z, édition Bordas, Paris, 1983, p. 1029.

وهنا نشير إلى تعقيد مصطلح التصور.

* **ســـار تـــر J-P Sarter**: " التصور هو جعل الشيء حاضرا في غيابه ونحن نعلم أنه غائب، إذن فنحن نجد في الدرجة الأولى نية موجهة لشيء غائب ذو محتوى، وهذا المحتوى يجب أن تكون له علاقة مع الموضوع أو الشيء "(1)، أي أن للتصور هنا قصد مسبق موجه نحو موضوع ما من أجل استحضاره.

* **رينـــي كيس Kaës** : التصور هو: " إنتاج وسيرورة لنشاط وبناء عقلي للواقع عن طريق جهاز نفسي إنساني انطلاقا من معلومات يتلقاها بمعانيها، هذه المعاني يكتسبها الفرد من خلال تاريخه، والتي تبقى في ذاكرته، وهي بدورها تأتي من العلاقات التي يقيمها مع الأخرين، أفراد أو جماعات، هذه المعلومات تصنف في نظام معرفي شامل ومتناسق بدرجات متغيرة، وتسمح بفهم العالم أو جانب منه بشكل يمكن من خلاله التأثير عليه، التكيف معه أو الهروب منه "(2)، كما يرى أيضا أن التصور هو بناء عقلي يعتمد على مكتسبات الفرد من مجموع القيم الأخلاقية، والعلاقات الاجتماعية، وهذا البناء يصنفه الفرد حسب مواضيع معينة، وهو جزء خاص بشخصيته، ويختلف عن تصورات غيره يستخدمه كحلول في تفاعله مع محيطه.

* **جـــون بيـــاجي jean Piaget** : يرى أن التصور هو: " الميكانيزم الذهني الذي يسمح ببناء الصورة الذهنية، وهذا يخص إرجاع إلى الحاضر ما هو من الماضي كفكرة أو موضوع أو حادثة معينة، والتصور يعد الممثل الرئيسي للموضوع الذي عاد بناؤه رمزيا "(3). ودوما حسب نظرية بياجي في النمو فإنه وبخصوص التصور، يعتبره ميكانيزم ذهني لاسترجاع صورة من الماضي عن طريق رمز مهما كان ذلك الرمز، موضوع، حادث...، كما يعتبر أن التصورات ترجع إلى استمرار النمو الحس-حركي أين تكمن الوظيفة في إقامة علاقات مع العالم الخارجي. والتصورات حسبه تبقى عملية مستقلة عن كل تأثير للمحيط، كما أن المحتوى الاجتماعي للتصورات لا يمكن اعتباره إلا على أنه اكتساب متأخر.

* **والـــون Wallon** : " التصورات هي عملية إعلامية بين الفرد و العالم، فهي تؤخذ على أنها عنصر لحل التناقضات التي تميز علاقات الإنسان داخل وسطه، فالتصور الحقيقي لا يمكن الوصول إليه إلا عن طريق الرمز، كما أن دور اللغة هو تثبيت التصـــورات داخل الوعـــي، حيث يقول: " التصورات لا

1/ فدوى بوكرديم: تصور أعضاء فريق CNFPH لأدوارهم المهنية في إطار العمل بمشروع المؤسسة، أطروحة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس التربوي، جامعة منتوري، قسنطينة، 2002، ص 7.

2/ وداد بوحوش: تصورات رؤساء مؤسسات التعليم الثانوي لمشروع المؤسسة، أطروحة لنيل شهادة الماجستـــير في علـــوم التربيـــة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2002، ص 10

3/ Jean Piaget : La représentation du monde chez l'enfant, PUF, Paris, 1967, p. 8.

تستعمل الوظيفة الرمزية للغة، فهي في حد ذاتها تعتبر مستوى للغة والوظيفة الرمزية "[1]، وهنا يؤكـــد " والون " على دور اللغة في ترسيخ المفاهيم التي تحفظ لنا التصور في الذهن وكذا في عملية استحضاره ومن ثمة التعبير عنه، كما يميز في هذا المفهوم الصلة والرابطة بين ما هو اجتماعي وما هو فردي، فتطبيقات الطفل مشروطة بالحقيقة المادية، التقاليد Les mœurs ، العادات العقلية وكذلك اللغة، أي أن التصور الفردي مرتبط بمعطيات الواقع الاجتماعي، ويقصد بذلك جملة الطقوس والأنماط الفكرية السائدة في وسط ما.

* **شاتـــو Château** : " التصورات هي فضاء عقلي وهمي Illusion مرسخ عن طريق الاتجاهات، كما أن التصورات توافق أو تطابق تقديم معتمد أو مقصود "، وهنا يربط التصور بالنية الموجهة مسبقا وإن كان يقرب مفهوم التصور إلى مفهوم الاتجاه والذي هو في الحقيقة مختلف عنه.

* **ماريـــو Malrieu** : " التصورات هي عملية لها علاقة مع تغيرات اتجاه الشخصية ".

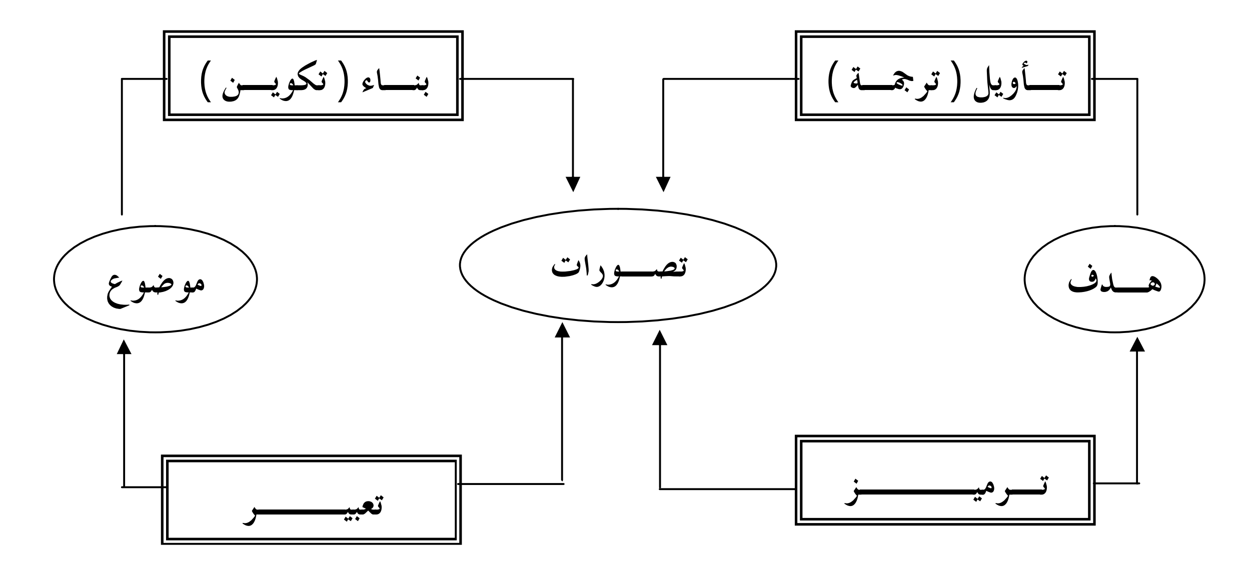
إذن ومن خلال ما سبق من المفاهيم، نخلص إلى أن التصور هو حاصل أنشطة التحليل والتصنيف لمختلف أبعاد الأشياء، حيث يبنى بشكل داخلي من طرف الأفراد في احتوائه للواقع، وبالتالي يتدخل في كل من عملية التعرف على الشيء (الموضوع) وكذا في استحضاره، وعليه يمكن إبراز ثلاث نقاط أساسية تخص التصور وهي:

- أن التصور ينطلق من معلومات يوفرها المحيط الخارجي، أي يتم الاستحضار عن طريق رمز موجـــود في الواقع.

- أن هذه المعلومات تعالج وتبنى وتنظم في العقل، أي أنه عملية ذهنية إدراكية.

- أن نتائج البناء الذهني هو ما يطلق عليه مفهوم التصور، أي حوصلة استحضار المواضيع الغائبة إلى أرض الواقع عن طريق عمليات ذهنية استدراكية انطلاقا من مؤشرات أو رموز واقعية تشكل عملية التصور وهي تختلف عن الاتجاه والاعتقاد.

1/ Marie Josée & Chombart de Lauwe : La représentation Sociale dans le domaine de l'enfance, in Denise Jodelet: les représentations sociales, 1993, op-cit, pp. 321-322.



مخطط رقم 1

حيث يوضح عملية بناء التصورات وأن لها موضوع معين يتم بناؤه ذهنيا بعيدا عن الواقع، لكنه يستحضر من خلال الترميز (إشارة، حركة، صورة...)، وله هدف معين ويتم استحضاره بمساعدة اللغة والتعبير عنه، فتخرج التصورات إلى أرض الواقع ويتم تأويلها أو ترجمتها تبعا لعوامل البيئة الثقافية والاجتماعية.

2-3/ أبعـــاد التصـــور:

استنادا إلى التعاريف التي تطرقنا إليها في الفقرة السابقة، يتضح أن هناك تفاعل بين ما هو نفسي وما هو اجتماعي، إذ الفرد لا يبني تصوره عن موضوع معين بدون الرجوع إلى ما اكتسبه في مجتمعه، انطلاقا من المعلومات التي يتلقاها عن طريق الحواس، والتي تظل محفوظة في ذاكرته مع تلك العلاقات التي يقيمها مع الآخرين، كل هذه المعلومات تبقى داخل نظام معرفي شامل ومنسجم بدرجات مختلفة تسمح للفرد بالتكيف مع المحيط، وتيسر اتصالاته داخل الجماعة. ويحدد "كايس" ثلاثة أبعاد للتصور في سياقها: النفسي والاجتماعي، والثقافي الذي تظهر وتتطور فيه(1):

البعـــد الأول: التصور هو عملية بناء للواقع من طرف الشخص، إذ يشكل جهدا في النشاط النفسي باعتباره عمل أو إجراء يرتكز على عدد من الإدراكات المتكررة في بناء جملة من المعلومات التي موضوعها الواقع، إذ يمكن اعتبار التصور شبكة لقراءة الواقع.

البعـــد الثـــاني: التصور هو نتاج ثقافي، وتعبير تاريخي ظاهر ومعبر عنه اجتماعيا كنموذج ثقافي مجسد تاريخيا، بحيث يسجل التصورات دائما في سياق تاريخي معين، وهي تابعة للوضعية الواقعة والمتميزة أساسا بطبيعة المشروع الاجتماعي، السيـــاسي، وتطور شبكـــة العلاقات الاجتماعية والأيديولوجية،

1/ R. Kaës, p110, in Denise Jodelet : les représentation sociales, 1993, op-cit, pp. 104-105.

ومختلف الطبقات المكونة للمجتمع، وكل ذلك في إطار زمني محدد. وتبعا لتلك العلاقات الاجتماعية التي ينشط بها الفرد، ولوضعية الطبقية والنشاطات الاجتماعية، فإن التصورات نجدها كذلك مرتبطة بجملة المعتقدات والطقوس والأفكار والقيم ذات المرجعية الأخلاقية والجمالية الخاصة بمختلف الفئات الاجتماعية، وهذا ما تؤكده "Mollo " بقولها: " إن كل طبقة اجتماعية تخفي تصوراتها، خاصة تلك المرتبطة بأنظمة القيم المرجعية "[1]، وكل تصور له مرجعية ثقافية واجتماعية ودينية خاصة بكل مجتمع وتضم تصورات أفراده.

البعـــد الثـــالث: التصور كعلاقة اجتماعية للفرد مع عنصر من محيطه الثقافي: بما أن كل تصور يسجل داخل نسيج معقد من العلاقات التي تربط الفرد بالمجتمع، فإن تصور هذا الفرد لأي عنصر مـــن محيطـــه الثقافي لا يكون دون توسط هذه العلاقات الاجتماعية التي تمنحه مميزات خاصة وتوجب عليـــه انتقـــاء بعض العناصر للموضوع الذي يتصوره.

ومن خلال عرض هذه الأبعاد الثلاثة، يتضح أن تصور الفرد لأي عنصر من عناصر محيطه الثقافي والاجتماعي يعتمد بشكل مباشر على العلاقة الاجتماعية، وهذا يمنحه مميزات خاصة توجب عليه انتقاء بعض عناصر الموضوع الذي يتصوره وعزل العناصر الأخرى، فالتصور ذو بعد نفسي لأنه يحوي عملية ربط ووصل بين المجرد والمحسوس أي عملية الإدراك، وذو بعد اجتماعي نتيجة تأثير مظاهر المجتمع في مظاهر الفرد، ونتاج ثقافي معبر من خلال الكائنات والأشياء والمعايير الموجودة في ثقافة المجتمع.

4-2/ بعض المفـــاهـــيم القريبـــة من مفهـــوم التصـــور:

هناك تداخل بين التصور وبعض المفاهيم النفسية والاجتماعية القريبة منه، نذكر منها: الرأي، الاعتقاد، الإدراك و الصورة...، وإذا تمعن الباحث مليا وجد أنه في هذا المجال يقوم بتنوع التخصيص للسلوكيات، وذلك تبعا لنمط الشخصية القاعدية، الذكاء، العاطفة[2]، فكثيرا ما يخلط الفرد ما بين التصور وهذه المصطلحات لأنها قريبة من حيث الفهم:

* **التصـــور و الرأي:** وهذا الأخير هو استجابة لفظية واضحة قابلة للقياس والملاحظة، إذ يرى الدكتور " عبد الرحمان عيسوي ": " أن الرأي يعتنقه الفرد لمدة محددة، وغالبا ما يعبر الرأي عن الشعور القومي السائد لدى أفراد المجتمع، وغالبا ما يعبر رأي الفرد على ما يجب أن يكون عليه الوضع وليس ما هو كائن فعلا، والآراء قابلة للتغيير مثل الاتجاهات، إلا أن ذلك يختلف، فالاتجاه يتعرض للتغيير بدرجة

1/ Mollo.S:représentation et image que se font des deux autre partenaires les enfants ,les parents ,les maîtres ,debesse (M) et mialaret (G) en traite des sciences pédagogique,T6 ,Paris,1974, p110 .

2/ Jeaun Claude Abric : L'études expérimentale des représentations sociales, in Denise Jodelet : Les représentations sociales, 1993, op-cit, p. 187.

أقل عمقا من الرأي "[1]. ومن خلال هذا التعريف يظهر أن التصور أشمل من الرأي، كون أن الرأي خاص بالفرد وهو لا يعطيه خاصية، لأنه يعتنقه لمدة محددة، كما أنه قابل للتغيير، في حين نجد أن التصور يتميز بشيء من الثبات ويحمل خصائص الجماعة؛ ومنه فإن التصور يتأثر بالآراء الشخصية على حد تعريف " موسكوفيسي " للتصور على أنه: " جمع من الآراء "[2] يفهم من خلالها التصور، وبهذا فالرأي عبارة عن أداة تمكننا من الوصول إليه.

* **التصـــور والاتجـــاه:** و يعد الاتجاه أكثر تعقيدا من الرأي، فهو يمثل مواجهة كاستجابة مسبقة التحضير المباشر للفعل، ويعرف " مصطفى سويف" الاتجاه على أنه: " حالة من الاستعداد أو التأهب العصبي والنفسي من خلال خبرة الشخص، وتكون ذات تأثير توجيهي أو ديناميكي على استجابة الفرد لجميع الموضوعات والمواقف التي تستثير هذه الاستجابة "[3]. ومنه يلاحظ أن الاتجاه يرفع الستار عن التصور الاجتماعي وذلك من خلال ما يحمله من دلالة رمزية أو ملموسة لمحيطنا، حيث يمكن القول أن التصور يمثل الدلالة العقلية لاستكشاف المحيط، في حين أن الاتجاه يظهر عبر إشارات، حركات، وضعيات...الخ.

* **التصـــور والاعتقـــاد:** و يعرف "كير لينجر kerlinger " الاعتقاد بأنه : " فرضية ثابتة أو اعتقاد متعلق بالأنظمة الاجتماعية كأهداف الحياة ووسائل تحقيقها، وأصناف السلوكات الاجتماعية ". وبهذا فالتصورات تشرح الاعتقادات وتفيدنا كطريقة تستعمل من أجل فهمها والتكيف في المجتمع. كما أن الاعتقاد يخفي مفهوم التنظيم الاجتماعي الذي ساهم "موسكوفيسي" بقدر واسع في توضيحه وتمييزه عن الاعتقاد، وذلك بإظهاره بأنه في المجال المعرفي للتصور الاجتماعي يساعد على تآلف الاعتقاد، وهذا باستدخال معلومة جديدة انطلاقا من نماذج مكونة اجتماعيا، فبفضله يستطيع الفرد أن ينسق وضعه مع فوج عمله (مجتمعه) [4].

***التصـــور والصـــورة:** وهي انعكاس حقيقي للواقع، أي تعكسه كما هو موجود فيه، أما التصـــور فهو انعكاس داخلي لواقع خارجي، وهو عملية بناء للواقع انطلاقا من المعطيات الخارجية. وبهذا يتضح الفرق بين الصورة والتصور الذي يكمن في ميكانيزم الانعكاس، فإذا كانت الصورة طبق الأصل لما هو

1/ د. عبد الرحمن عيسوي : دراسات في علم النفس الاجتماعي، دار النهضة العربية، بيروت، طـ1، 1994 ص 163.

2/ Dr Maache.Y & Chorfi M.S & Kouira.Aicha : les représentations Sociales, un concept au carrefour de la Psychologie sociale et de la sociologie, les éditions de l'Université Mentouri Constantine, 2002, p. 13.

3/ د.مصطفى سويف، 1972 ص327 في سليمان بومدين: التصورات الاجتماعية للصحة والمرض في الجزائر، رسالة دكتوراه دولة في علم الاجتماع، قسنطينة، 2004/2003 ص.31.

4/ Serge Moscovisi : La psychanalyse son image et son public, op-cit, p. 81.

موجود في الواقع، فالتصور قولبة لما هو موجود فعلا، نتيجة الخصائص البنائية والاجتماعية التي تعطي التصور دلالة خاصة[1].

***التصـــور والإدراك:** ويعرف "موسكوفيسي" الإدراك على أنه: " فعل بنائي، حيث الفرد يفسر الأحاسيس التي يتلقاها ويضعها في علاقة مع بعضها البعض، ويعطي لها معنى خاص"[2]، وهو العملية التي يقوم الفرد عن طريقها بتفسير المثيرات الحسية، حيث تقوم عمليات الإحساس بتسجيل المثيرات البيئية، بينما يضطلع الإدراك بتفسير هذه المثيرات و صياغتها في صور يمكن فهمها[3]. فالإدراك إذن هو استقبال الذهن لصور الأشياء المدركة كما يبدو لنا، وكما تنقلها الحواس، في حين أن التصور يعتبر الوسيط الذي يجمع بين النشاط الإدراكي والفكري كما يقول " دويك Dwik ": " التصورات تقود الإدراكات التي بدورها تنشئ التصورات "، ويرى" هيرزليش Herzlich " بأنه: " لا يظهر محتوى التصور كمعنى إدراكي إلا إذا ظهر على المستوى المادي "[4]، أي عن طريق التصور يمكننا إدراك المواضيع المحيطة بنا وجعلها في العالم المادي.

5-2/ مفهـــوم التصـــورات الاجتمـــاعيـــــة:

رغم أننا تطرقنا إلى عدد معتبر من التعاريف حول المفهوم العام للتصور، إلا أن هذا لا يكفي للفهم الجيد لهذا المصطلح المعقد ألا وهو " التصورات الاجتماعية "، لذلك سنسرد جملة من أهم الباحثين الذين نشطوا في ميدان التصورات الاجتماعية وكيف يعرفونها:

*** ســـارج موسكوفيـــسي Serge Moscovici:** ودوما نذكر بأن "دوركيم " هو أول من تطرق لهذا المصطلح لكن تحت مفهوم التصورات الفردية والجماعية، وأن هذا المصطلح غاب زمنا طويلا ثم استعاد أنفاسه بفضل الباحث "موسكوفيسي" الذي يعرف التصورات الاجتماعية على أنها عبارة عن: " وقائع ملموسة تقريبا،وهي تدور، تتقاطع، تتبلور دون توقف، عبر كلمة ولقاء في عالمنا اليومي "[5]، أي أننا نتعامل بها في حياتنا اليومية، في تصرفاتنا ومبادئنا، وأفكارنا لكنها تظل مختفية، فقط تظهر من خلال هذه الرموز، ويعرفها أيضا بأنها: "نظام من القيم والمفاهيم والممارسات المتعلقة بمواضيع، مظاهر، وأبعاد الوسط الاجتماعي التي لا تسمح فقط بتثبيت إطار الحياة، ولكن تشكل أيضا وسيلـــة توجيه وإدراك

1/ كنزة بوجلال:طبيعة تصور معلمي الطور الأول والثاني لظاهرة سوء المعاملة، أطروحة لنيل شهادة الماجستير علم النفس العيادي، جامعة منتوري، قسنطينة، 2001، ص 32.

2/ وداد بوحوش: 2002، سبق ذكره، ص.21

3/ آرنوف وتيج : مقدمة في علم النفس، ترجمة عادل عز الدين الآشول وآخرون، دار ماكروهيل للنشر، القاهرة، مصر.....

4/ C. Herzlich : la représentation sociale, in Serge Moscovici : psychologie Sociale, 2003, op-cit, p. 388.

5/ Dr Maache.Y & Chorfi M.S & Kouira.Aicha : les représentations Sociales, 2002, op-cit, p. 09.

للوضعيات وبناء الاستجابات..." [1]، وهي طريقة للتفسير والتفكير حول واقعنا اليومي، بحيث أن التصورات الاجتماعية حول موضوع معين هي التي توجهنا إلى سلوك ما دون غيره.

إن التصورات الاجتماعية عبارة عن: " شكل من أشكال المعرفة الخاصة بالمجتمع، إنها نظام معرفي وتنظيم نفسي كما تعتبر بمثابة جسر بين ما هو فردي وما هو اجتماعي، إذ تسمح للأفراد والجماعات بالتفاهم بواسطة الاتصال والذي يدخل في بنية ديناميكية المعرفة "[1]، وهنا يعتبر "موسكوفيسي" التصورات الاجتماعية، همزة وصل ما بين الفرد والمجتمع، وإن كان لكل مجتمع نظامه الخاص به من جملة العادات والتقاليد. إنها تشير إلى: "شكل من المعرفة الخاصة، معرفة المعنى المشترك الذي من خلاله يوضح عملية تطور منتج وظيفيا واجتماعيا، كما أنها تشير إلى معرفة اجتماعية"[3]، كذلك فإنها:" تكتسي صفة اجتماعية لأنها مهيأة وموضوعة على سيرورات التغير والتفاعل الاجتماعي لبناء وتكوين علم مشترك خاص بجماعة، إذن فهي توجه التصرفات والقرارات الفردية، وتسمح لكل طرف في المجتمع بالتحكم في المحيط الذي يعيش فيه "[4].

وعليه فإن "موسكوفيسي" يرى أن للتصورات الاجتماعية دور في تفسير الوقائع وتهيئة الفرد للاستجابة بطريقة محددة حول موضوع ما، وكذلك هي توجه سلوك الفرد وتقوده، وهي تتشكل نتيجة الاتصال الاجتماعي المتواصل، إذن يمكن أن نحدد مصطلح التصور الاجتماعي من خلال تعريفات "موسكوفيسي" انطلاقا من العناصر التالية: توفر الجانب المعرفي، توفر الجماعة المشتركة في التصور، التصورات الاجتماعية تقود وتوجه سلوك الأفراد، تهدف إلى تفسير وتشكيل الواقع، تتشكل من خلال الاتصال الاجتماعي بين الأفراد. ويشرح نمط هذه التصورات على أنها:" أنظمة من القيم، الأفكار والتطبيقات، حيث تكون الوظيفة مزدوجة، فهي في بادئ الأمر تؤسس وترتب نظام يسمح للأفراد بالتوجه والتحكم في محيطهم المادي، كما أنها تشمل الاتصال بين مختلف أعضاء الجماعة وتزويدهم برمز لتعيين وترتيب مختلف جوانب أسلوبهم وتاريخهم الفردي والجماعي "[5]، بما أنها تتشكل من جملة القيم والأفكار وتطبيقاتها، فإنها تشترك بين كل أفراد ذلك المجتمع، كما تعمل على توحيد أفكارهم، وبالتالي تسهل الاتصال بينهم.

1/ C.Herzlich : Santé et maladie ; Analyse d'une représentation sociale, Paris 1969, in Serge Moscovici : Psychologie Sociale , 2003, op-cit, p. 388.

2/ Serge Moscovici:Les représentations Sociales in le grande dictionnaire de psychologie Larousse 1992 p668.

3/ Serge Moscovisi : la psychologie sociale, 2003, op-cit, p. 360.

4/ Pascal Moliner : La dynamique des représentations sociales, 2001, p. 8.

5/ Serge Moscovici, in Gun. R. Semin : Prototypes et Représentation sociale, in Denise Jodelet : les représentations sociales, 1993, op-cit, p. 243.

***جـــودلـــت Denise Jodelet**: وتعرف التصورات الاجتماعية على أنها: " طريقة استعمال لتفسير الحقيقة، للسيطرة على محيطنا وقيادتنا في المجتمع "[1]، أي بها نفسر الوقائع ونحكم على الأشياء.
وفي تعريف آخر ترى، أن التصورات أو فعل التصور هو: " عملية عقلية وفكرية تحدث عندما ينشغل الإنسان بشيء، هذا الشيء يمكن أن يكون شخص، شيء جامد، حدث، فكرة، نظرية...، ويمكن لهذا الشيء أن يكون مجسد أو خيالي، وهي أيضا شكل معرف، مبنى اجتماعيا ومشترك، لها وجهة وغاية تطبيقية وتهدف إلى بناء حقيقة مشتركة خاصة بمجموعة اجتماعية "[2]، وهذا يعني أن الهدف قد يكون مادي أو معنوي، والتصور هو عملية فكرية تهدف لبناء الواقع. وقد أوردت "جودليت"جملة من التعاريف حول مفهوم التصورات الاجتماعية حيث عرفتها:
" هي شكل من المعرفة السارية والمألوفة والتي تشير إلى معنى ومفهوم مشترك "، وهي تتحدد وتتميز بالصفات والخصائص التالية: (انظر إلى المخطط رقم 2).
- إنها مهيأة ومقسمة اجتماعيا، وهي مركبة من تجاربنا ومن المعرفة، كما أنها نمط تفكير تنتقل وتستقبل من خلال العادات والتربية والاتصال الاجتماعي، أي لها صفة اجتماعية وهي مكونة من مجموع التصورات الفردية، ومن المعارف والعادات والتقاليد، وتستقبل من طرف الأفراد، وتنتقل من جيل إلى آخر مع حدوث تغيرات ضعيفة تخص العوامل الطائفية وليست النواة المركزية.
- لها هدف، وهو تطبيق النظام، والتحكم واستخدام المحيط، وتوجيه التصرفات والمسالك والإتصال.
- تشارك في بناء واقع مشترك (جماعي) بجملة اجتماعية أو ثقافية معطاة، وبناء عليها يغير الفرد من تصرفه تجاه موضوع ما، فيتشبث برأيه أو يلغيه، وهي تختلف عن الأحكام المسبقة، بمعنى أن التصورات الاجتماعية هي ظواهر معقدة دائما نشطة وفعالة داخل الحياة الاجتماعية، معقدة لأنها تتداخل مع المواضيع الأخرى كالاتجاه والصورة والاعتقاد...، ونشطة لأنها تنتقل من جيل إلى جيل مع تغيرات بسيطة، وكل هذا في الحياة الاجتماعية للفرد. إن التصورات الاجتماعية هي دائما تصورات لشيء ما (موضوع)، ولشخص ما (الفاعل)، ولمميزات الفاعل والموضوع تأثير عليها، كالتصورات الاجتماعية حول الأطباء والمهندسين والرؤساء والقادة، وكذا حول الموت والجنون والجنة والتعليم ...
كما ترى "جود ليت" بأن مفهوم التصورات يكتسي بعدا اجتماعيا، وهي: " أنظمة تفسير تسير علاقاتنا مع العالم ومع الآخرين، كما توجه وتنظم سلوكاتنا واتصالاتنا الاجتماعية ".

1/ Dr Maache. Y & Dr CHorfi. M.S. & Dr Kouira. A, 2002 , op-cit, p. 9.
2/ Denise Jodelet : Les représentations sociales, 1993, op-cit p. 37.

إن التصورات الاجتماعية هي: " ظواهر معرفية تعبر عن الانتماء الاجتماعي للأفراد من خلال استدماجهم لممارسات وخبرات ونماذج سلوكية وفكرية "، على اعتبارها جزء من تراثهم الاجتماعي والثقافي وتعود إليه بوجه أو بآخر.

هي بمعنى آخر شكل من أشكال المعرفة التي تختلف عن المعرفة العلمية، وتسمى عادة بالمعرفة العامية، أو المعرفة الساذجة، التي نجدها كعنصر نشيط في صلب العلاقات الاجتماعية، لأنها تنشأ بعفوية وبطرق تدريبية، كما أنها تظهر بسبب مثير (رمز)، وبشكل عفوي وساذج وليس عن عمد. هذا الشكل من أشكال المعرفة يتضمن عناصر معرفية وإخبارية، وإيديولوجية، ومعيارية، ومعتقدات وقيم، واتجاهات وآراء، وصور...، فبالنسبة إلى "جود ليت" فإن مفهوم التصورات الاجتماعية يرتكز على عمليتين أساسيتين هما: عملية معرفية، وعملية اجتماعية، أي أن الإنتاج الاجتماعي للتصور، أو ما يسميه كل من "Berger et luckeman" بعملية البناء الاجتماعي للحقيقة la construction sociale de la réalité[1]

وهذا يعني أن التصور الاجتماعي، إنما هو إعداد لبناء سيكولوجي واجتماعي وهذا حسب اتجاهين:

الاتـــجاه الأول: ينطوي على المحيط البيئي، باعتبار الشخص في تفاعل أو أمام منبه اجتماعي، والتصور يظهر كحالة لمعرفة اجتماعية، كما يتناوله علم النفس الاجتماعي، زيادة على هذا وبما أن الإنسان اجتماعي بطبعه، فإنه يدمج في إعداداته المختلفة أفكار وقيم وأنماط من المجموعة التي ينتمي إليها والأيدولوجيا الشائعة.

الاتـــجاه الثـــاني: يركز على الجوانب الذاتية للفعالية التصورية، ويعتبر الإنسان كمنتج للمعنى، يعبر من خلال تصوره عن تجربته في المحيط الاجتماعي[2]، وحسب "Jodelet " فإن الهيئة العلمية أجمعت بالموافقة على تعريف التصورات الاجتماعية كما يلي: " هي شكل من المعرفة المهيأة والمقسمة اجتماعيا، لها رؤية تطبيقية وسارية لبناء حقيقة مشتركة وبجملة اجتماعية "[3].

* **أبـــريـــك Jean Claud Abric**: التصورات الاجتماعية هي: " حصيلة لنشاط عقلي يقوم بواسطته فرد أو جماعة بإعادة بناء الواقع الذي يواجههم وإعطائه معنى خاص "[4]، أي إعادة تشكيل أفكار أخرى عن العالم بشكل من الخصوصية لكل فرد، كما أنها نتاج وسيرورة لعملية ذهنية، التي من خلالها الفرد أو الجماعة تعيد بناء الواقع، وهي مستقطبة لدلالات خاصة.

1/ Denise Jodelet : les représentations sociales, 1993, op-cit, p. 36.

2/ أ.محفوظ بوشلوخ:مداخلة بالملتقى الوطني حول العنف والمجتمع، CNFPH ، مطبعة الضمان الاجتماعي، قسنطينة، ديسمبر 2001.

3/ http://www.Iperlogo.it/gypsies/francais/cours/repres/caractter sociologique.htm

4/ Abric.J.C:coopération, compétition et représentations sociales, causes et delval, 1988, p.64.

وكذلك يعتبر التصورات نتاج عمل ذهني حول موضوع معين، وتظهر بسبب الترميز لها، وعليه فإن التصورات هي عبارة عن مجموعة من الآراء، الاتجاهات، والمعتقدات، والمعلومات التي ترجع إلى موضوع ما أو وضعية معينة، فهي محددة في نفس الوقت عن طريق الفاعل نفسه (تاريخه، حياته) وعن طريق النظام الاجتماعي والإيديولوجي الذي يسير عليه، وأيضا طبيعة الصلات والروابط التي تكون بين الفاعل والنظام الاجتماعي.

لا يوجد تعريف واحد، لكن الذي يهمنا هو الطبيعة الحقة للعوامل التي تشكل التصورات، ومن ذاك اتفق أغلبية الباحثين والكتاب على أن التصورات الاجتماعية هي مختلف الاعتقادات، الآراء، الاتجاهات المنظمة حول دلالة مركزية.

* **Willem doise & A. Palmonari**: والذي اقترح تعريف نفسي- اجتماعي للتصورات الاجتماعية، حيث عرفها كما يلي : " هي مبادىء عمومية للتكفل بوضعية مرتبطة بإدراج خاص ضمن مجموعة من المراتب الاجتماعية، منظمة بسيرورات رمزية متداخلة مع المراتب "[1]، أي أنها جملة من المبادىء المشتركة بين أفراد المجتمع تبرز من خلال رموز في أرض الواقع وهي متدرجة ما بين طبقات المجتمع .

* **فيشـــــر Fisher** : يعرف التصورات على أنها :" بناء اجتماعي لمعارف عادية تهيئ من خلال القيم والمعتقدات، ويتقاسمها أفراد جماعة معينة، وتدور حول مواضيع مختلفة (أفراد، أحداث...)، تـــؤدي إلى توحيد نظرتهم للأحداث، كما تظهر أثناء التفاعلات الاجتماعية"[2]، وهذا ما يعطيها صفة الاجتماعية لأنها مشتركة بين كل الأفراد، وبسبب احتوائها على كل العادات السائدة في المجتمع فإنها توحد نظرتهم و بالتالي تصورهم.

* **كلوديـــن Claudine Herzlich**: هذا الكاتب يحدد التصورات الاجتماعية كسيرورة لبناء الواقع، حيث يقول: " التصورات التي تهمنا أولا من خلال دورها في بناء الحقيقة الاجتماعية "[3]، أي أنها بناء عقلي مصمم غير قابل للفصل عن النشاط الرمزي للموضوع، وهي نفسها متضمنة في المجال الاجتماعي[4]. لقد تعدى مصطلح التصورات الاجتماعية الإطار الفعلي المعرفي، حيث يقول "هارزليش": " ليست فقط مصفاة تأويلية (تفسيرية)، وهي ليست تطبيق سهل لشبكة كما يقوم بها بقوة الملاحظة الفعلية ".

1/ W. Doise & A. Palmonari : L'étude des représentations sociales, Neuchâtel, Delachaux et Niestlé, 1986, http://www.serpsy.org/socio/livet2.html

2/ Ficher Gustave- Nicolas : Les concepts fondamentaux de la psychologie sociale, Dunod, montréal, 1993, p. 118.

3/ C. Herzlich : Santé et maladie ; Analyse d'une représentation sociale, Paris, Mouton, 1969, p.24.

4/ C. Herzlich : La représentation sociale, in S. Moscovisi, (éd), introduction à la psychologie sociale (vol. 1), Paris, larousse, 1972, p. 306.

* **مــالريــو Malrieu**: ويرى أن التصورات الاجتماعية هي عملية لها علاقة مع متغيرات اتجاه الشخصية، كما يعرفها بأنها: "شبكة من العلاقات المؤسسة عن طريق الفاعل اجتماعيا، تقع بين عناصر ووضعيات التي تهتم بحياة الفرد "[1].

* **M.J.Chambart** : يعتبر أن التصورات الاجتماعية تقع بين ما هو نفسي وما هو اجتماعي، فهي في نفس الوقت ميكانيزم نفسي بصفته تعبير للتفكير الإنساني، وميكانيزم اجتماعي بصفته إنتاج ثقافي، وهنا تسمح التصورات بالاتصال بين الأفراد وبصفة خاصة بين الأجيال[2].

* **Guimelli. Merahihi & Pénochet** : ويعتبران التصورات الاجتماعية :" المنتوج والسيرورة لنشاط ذهني بواسطته الفرد أو المجموعة تشكل الحقيقة (الواقع) وتواجهها، وتعطيها دلالات خاصة ومتميزة ".

* **Di Giacomo**: يقول أن" التصورات الاجتماعية تشكل نماذج تفسيرية تصنف العلاقات بين مختلف الأشياء في البيئة "، ولتوضيح ذلك يضرب المثال التالي: ماذا تعرف عن الفيزياء النووية ؟ وما هي البيوكيمياء ؟ وما هو علم اجتماع المعرفة، أو ما هي الأيثولوجيا ؟، ولعل كل واحد منا يملك خبرة ذاتية عن هاته المفاهيم، ولكنه لا يملك تعريفا دقيقا وكاملا عنها، إنه إلمام بسيط بالموضوع، وهو ما يسمى بالتصور الاجتماعي، كقول أحدهم: إن الأيثولوجيا هي التحليل النفسي للحيوانات، ولكن ما هو التحليل النفسي [3] ؟

* **Jean Blaise Crise**: وبالنسبة إليه فإن التصورات هي: "شكل من المعرفة الخاصة، لا ترجع على معرفة علمية خاطئة أو غير صحيحة، فهي توظف محتواها داخل مجالات عديدة، فهي تعمل على طريقة الترجمة، الاقتباس، التشابه، وهي تنتج احتمال من أجل مقاومة، فهي متناقضة مع المعرفة وعدم المعرفة في علاقتها مع التطبيق "[4].

* **فرانسوا لابلونتــين François Laplantine** : يرى أن مفهوم التصور لا ينتمي إلى ميدان تخصصي معين، فكثير من التخصصات في العلوم الإنسانية تناولته وأعطته معاني مختلفة، ولكن مهما كان الجانب الذي يتم التركيز عليه، فإنه لا يجب أن نتجاهل أن مفهوم التصورات يتضمن العناصر التالية:

- يقع التصور في نقطة الاتصال ما بين ما هو فردي وما هو اجتماعي .

1/ Malrieu.PH : Langage et représentation, La genése de la parole, Symposium de L'association de psychologie scientifique de langage Française, Paris, PUF, 1977, in Denise Jodelet : Les représentations sociales,1993, op-cit, p.324.

2/ Marie Josée & Chombart de Lauwe : La représentation Sociale dans le domaine de l'enfance, in Denise Jodelet: les représentations sociales, 1993, op-cit, pp. 324-326.

3/ Leyens Jaque–Philippe: Sommes nous des psychologues ?, 1983, op-cit, p. 19.

4/ Jean Blaise Grise : Logique Naturelle et représentations sociales, in Denise Jodelet : Les représentations sociales,1993, op-cit, p.162.

- يقع التصور ضمن ثلاثة ميادين بحث وهي:الحقل المعرفي le champ de la connaissance، لأن التصور هو قبل كل شيء معرفة، ثم الحقل القيمي Le champ de la valeur، لأن التصور ليس معرفة فقط عند صاحبها بحيث لا يحكم عليها من حيث صحتها فحسب، بل هي معرفة جيدة أو سيئة، أي أنها تقييم، ثم يأتي الحقل العملي Le champ de l'action، فالتصور لا يمكن اختصاره في مجرد مظاهر معرفية أو تقييمية، إذ هو تعبير وبناء للواقع الاجتماعي في آن واحد، والتصورات ليست فقط وسيلة للمعرفة، بل إنها أدوات للعمل[1].

وبناء على ما سبق، يقترح " لابلونتين " التعريف التالي: " التصورات الاجتماعية هي التقاء الخبرة الفردية بالنماذج الاجتماعية حول طريقة تناول الواقع، إنها معرفة يبنيها أفراد مجتمع معين حول جزئية من وجودهم أو حول وجودهم برمته، إنها تفسير اجتماعي للأحداث بحيث يصبح بالنسبة للأفراد المنتمين لذلك المجتمع الحقيقة ذاتها "[2].

وعلى ضوء ما سلف ذكره من تعاريف مختلفة للتصورات الاجتماعية، فإن هذه الأخيرة يمكن اعتبارها جملة من المعارف الاجتماعية والآراء والاتجاهات والخبرات التي يصدرها أفراد مجتمع معين حول موضوع أو حادثة، إنها وسائل توجيه ونظام للتفاعلات الاجتماعية بين الأفراد، تسهل الاتصال بينهم وتساهم في تفسير مختلف عناصر بيئتهم. إن عملية بناء الواقع تتم دائما بشكل جماعي، فمنذ نعومة أظافرنا تلعب المدرسة والعائلة والمسجد ووسائل الإعلام دورا أساسيا في غرس وترسيخ مبادئها ضمن طرائق تفكيرنا، كما تقترح علينا نظرتها نحو الأشياء التي تحيط بنا، وبعدها تعمل الجماعات والنوادي والجمعيات التي ننتمي إليها على تبادل الأفكار والقيم والنماذج، وكلها تساهم في تعديل إدراكنا للبيئة، لذلك يمكن القول أن معارفنا ومعتقداتنا وقيمنا هي التي تسمح لنا بأن نتقاسم مع الآخرين نظرة مشتركة للأشياء[3].

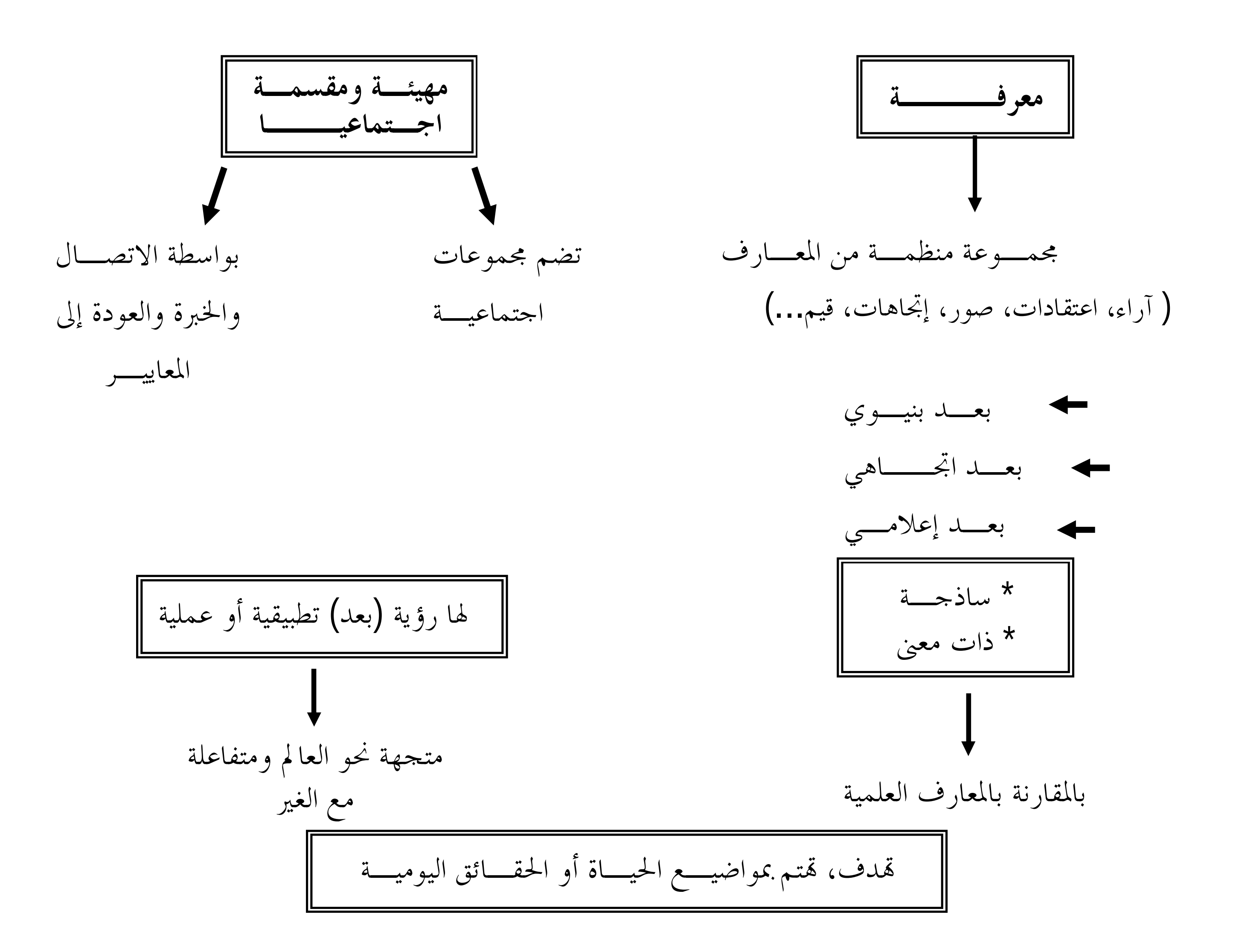
فالتصورات الاجتماعية حسب "جودليت " يتم بناؤها وتقاسمها اجتماعيا، لذلك نجد أن لها نظرة عملية وهي التحكم في البيئة وتوجيه السلوكات والاتصالات،كما تساهم في بناء واقع مشترك لأي جماعة ثقافية أو اجتماعية[4].

1/ سليمان بومدين: التصورات الاجتماعية للصحة والمرض في الجزائر، 2003، سبق ذكره، ص 16.

2/ Laplantine François : Anthropologie des systèmes des représentations de la maladie, in Denise Jodelet : les représentations sociales, 4ème édition, PUF, Paris, 1994, p. 278.

3/ سليمان بومدين: التصورات الاجتماعية للصحة والمرض في الجزائر، 2003، سبق ذكره، ص 17.

4/ Petard. J.P & al : Psychologie sociale, bréal, Paris, 1999, p. 161.



مخطط رقـــم 2

يوضح تعريف "جودليت " للتصورات الاجتماعية، وهو مخطط مجسد، وملخص لكل ما سبق تقديمه من جملة التعاريف للمفهوم العام للتصور وكذا التصورات الاجتماعية، ونستنتج أنه يمكننا الاستمرار في سرد التعاريف المختلفة لهذا المفهوم، لكننا لن نتمكن أبدا من الإلمام بها، ولا يمكننا حصرها جميعا وهذا لا لسبب إلا لأنه مفهوم غني جدا، وكذا لاتصاله بأكثر من موضوع، وعليه فإننا نستنتج علاقة التصورات وتدخلها في عدة ميادين وسنأتي على ذكر ذلك لاحقا.

6-2/ أنـــواع التصـــورات و أهميتـــها [1]:

استنادا لما سبق ذكره من العناصر يمكننا وبإيجاز التطرق لبعض أنواع التصورات الأكثر شيوعا وهي:

* **التصـــورات الفرديـــة:** وقد سبق الحديث عنها في اللمحة التاريخية، وكيف أن " دوركيم" تحدث عنها، وحسب "J.Clenet" فالتصورات الفردية هي: " أي موضوع يمكن استنباطه إلى وضعية معاشة مما يعطيها معنى "، وأبعد من هذا فهي قائمة على خبرات فردية محايدة، أي تخص ذلك الفرد ونمط معاشه".

1/ http://www.serpay.org/socio/livet2.htm1

* **التصـــورات الجماعيـــة**: وهو المصطلح الذي اهتم به علم الاجتماع، وتدل على تصورات موزعة من طرف مجموعة اجتماعية لمصطلح ضمني مهم. وهو مفهوم مستعمل بشكل كبير في الأنثروبولوجيا ويعطي الأسبقية للتصورات الاجتماعية عن بقية العلوم الإنسانية.

* **التصـــورات الاجتماعيـــة**: وهو مفهوم جد حديث برز في أعمال "موسكوفيسي" والذي اهتم بهذه التصورات كتفاعل بين الأفراد أو الجماعات، وهذا المصطلح يشير أكثر إلى التصورات التي تدرس ضمن ديناميالها وتهيؤها وحركتها إذن، في محتواها. وهذه التصورات الاجتماعية تدخل ضمنها التصورات الفردية والجماعية. (وقد تم تناول ذلك فيما سبق).

2-7/ أهميـــة التصورات الاجتماعيـــة وعلاقتـــها ببقيـــة العلـــوم:

تلعب التصورات دورا هاما في العلوم الإنسانية والاجتماعية، بحيث أن هذا المصطلح لقي الإصغاء والأهمية عند أغلب العلوم الإنسانية وبالخصوص عند:

- علم النفس المعرفي: الذي يحاول فهم الميكانيزمات العقلية (الفكرية) التي تخلق التصورات.
- علوم التربية: التي تحلل تأثيرها على التعليم والتعلم وكل ما يخص المنظومة التربوية.
- علم الاجتماع: الذي تطرق وعالج هذا المفهوم انطلاقا من دراسة الاديولوجيات.
- التاريخ: الذي اهتم بالذهنيات: (ثقافة، تفكير، ثم اتجاهات، سلوكات وتصرفات جماعية لا شعورية).
- الجغرافيا: التي اهتمت بالأصل الاجتماعي لهذه التصورات.
- الانثروبولوجيا، وعلوم اللغة والاتصال والإعلام و نماذج أخرى حسابية كالإحصاء...

وعليه يتضح لنا جليا أهمية التصورات الاجتماعية انطلاقا من أهمية هذه العلوم التي هي على علاقة وثيقة بالتصورات، وهذا إن بين شيئا فإنما يبين قيمة التصورات في مجال البحث النفسي والاجتماعي.

2-8/ صفـــات (خصائـــص) التصـــورات الاجتمـــاعيـــة:

وحتى تكون هناك تصورات اجتماعية محضة وحقة، ومجسدة لكل التصورات الفردية داخل المجتمع، فإنها لا بد أن تتصف بجملة من الصفات، وسنحاول ذكر البعض منها:

أ- **هـــي دومـــا تصـــورات لهـــدف مـــا**[1]: بحيث لا توجد تصورات بدون هدف، مهما كانت طبيعتها مختلفة، لكنها دائما مهمة جدا، وبدون هدف لا توجد تصورات اجتماعية، وهذا الهدف يمكن أن يكون طبيعة مجردة مثل: الجنون والإعلام، أو ممكن أن يكون فئـــة من الأشخاص مثـــل: الأساتذة،

1/ Serge Moscovisi : Psychologie Sociale, 2003, op-cit, p. 368.

الصحفيون...، والموضوع يكون دائما في اتصال مع الفاعل (أو الشخص). فالتصور هو السيرورة التي من خلالها يؤسس علاقاته، كما أنه يكون هناك تفاعل بين الموضوع والفاعل، وكل واحد منهما يؤثر في الآخر. وفي كتاب "هارزليش Herzlich " الذي يحمل عنوان: "La santé et la maladie "، يقول "موسكوفيسي" : " لا يوجد فصل بين العالم الداخلي والعالم الخارجي للفرد (أو للجماعة)، فالفاعل والموضوع ليسا بالضرورة مختلفان، كما أن تقديم الشيء هو إعطاء المثير والرد أو الإجابة، وهذا ليس رد فعل ولكن إلى أبعد من ذلك فهو مصدره ". وفي دراسة التصورات إنما نهتم بدراسة ظاهرة التفاعل بين الفاعل والهدف " الموضوع و الهدف".

ب- لــها صفــة (معنى) تمثيليــة صوريــة l'aspect imageant(figuratif) : وهي أهم صفة للتصورات، حيث تكون متلازمة للمعنى الدلالي لأي بنية تصورية، وكما يقول "موسكوفيسي":" تبدو ازدواجية، ولها وجهين منفصلين مثل وجه وظهر الورقة ؛ وجهة تمثيلية وأخرى رمزية، ونكتب: التصورات = تمثيل (صورة) / المعنى[1]، بحيث أن لكل صورة معنى ولكل معنى صورة (تمثيل)"، أي أن "موسكوفيسي" يرى بأن التصورات تظهر بوجهين متلازمين، ولكن منفصلين، ويشبه ذلك بوجهي ورقة، فالصورة والمعنى كلاهما يشكلان التصور الاجتماعي ولاغنى عنهما.

ج- لــها معـــنى رمــزي ودلالي Elle à un caractère symbolique et signifiant [2]: إن مفهوم التصورات الاجتماعية هو نفسه متضمن في علم النفس الاجتماعي، وهذا بسبب تقصير النماذج الكلاسيكية، وبمساهمة النموذج السلوكي الذي يأخذ بعين الاعتبار علاقاتنا وتفاعلاتنا التي لها دلالات مع العالم حسب "فرانك" 1974، و"موسكوفيسي" في نقده لمفهوم الصورة، الآراء، والاتجاهات سنة 1969 وضح جيدا كيف يمكن لسلوكات الأفراد أن تتغير، وذلك حسب العلاقة ما بين الموضوع والهدف، ولأن التصور إنما هو إعادة استذكار أو تقديم شيء غائب إلى الوعي، فإنما ذلك يكون من خلال احتفاظ الموضوع برموز تعبر عن كثير من المواضيع خصوصا المجردة، وبواسطة الاستذكار إنما يحاول إعطاءها المعنى والدلالة التي تفي بشرحها (بياجي 1968).

د- لهـــا صفة بنـــائية (ذهنـــية) Elle à un caractère constructif : وما نستطيع قوله، أن هناك دوما جانبا من النشاط البنائي، وإعادة البناء في عملية التصورات ومسبقا على ميدان الاستقبال والإدراك، حيث يقول "بياجي" : "الموضوع ليـــس سهلا ليمثل على سلســـلة من الأجـــزاء المستقلة

1/ Serge Moscovici : psychologie sociale, 2003, op-cit, p369.

2/ Serge Moscovici : psychologie sociale, 2003, op-cit, p. 370.

والمنفصلة، وهو يقوم بتعديلها مسبقا بواسطة القانون، وتحدث اتزان جسمي وآلي، إنه العامل والفاعل في هذه البنية..."[1]. هذه الصفة للتصورات الاجتماعية إنما تحدث عندما يستدخل الفرد موضوعا خارجيا على المستوى الذاتي، فإنه يقوم بربطه مع مواضيع متواجدة من قبل في الدائرة الفكرية، فينتزع منه بعض الخصائص ويضيف له أخرى، وهذا ما يميز التصور عن باقي العمليات النفسية، فهو لا يعتبره مجرد تكرار أو إعادة إنتاج سلبي للموضوع، بل عملية تركيب وبناء ذهني، ويقول "Abric": " كل حقيقة هي تقديم، بمعنى موضوعة من قبل الفرد أو الجماعة، تكونت داخل نظامه المعرفي، وأدمجت في نظام من القيم، وتخضع للتاريخ والبيئة الاجتماعية والأيديولوجيا المحيطة به "[2].

ه- لها صفة الاستقلالية والإبداعية: التصور ليس إنتاجا بسيطا، لكنه ترتيب يستلزم في الاتصال جزءا مستقلا للإبداع الفردي أو الجماعي[3]، إن المجازات المسرحية والسياسية تسمح بتحديد جوانب أساسية للتصور الاجتماعي، وهذه الجوانب هي: مبدع، مستقل، فالتصور المسرحي يقدم بالصوت والصورة للعامة أفعال وكلمات تعيد تقديم بعض الأشياء غير المرئية: الموت، القدر، الحب...، وفي التصور السياسي المنتخب الممثل يأخذ المكان الذي يمثله، يتحدث باسمه، ويقرر له، من هنا يستغل مقارنة بما يتصور فهو يمتلك قوة مبدعة.

إن التصورات الاجتماعية لها تأثير على سلوكات واتجاهات وتصرفات الأفراد، وقد ثبت ذلك في دراسات "هارزليش" في تصورات الصحة والمرض.

و- لها صفة اجتماعية: فالتصور يتحدد تبعا لبيئة المجتمع الذي يتطور فيه: " عندما نتوضع في مستوى اجتماعي حصر لتحليل فعل الذات الذي يصور الموضوع، يظهر أن التصور يستوجب دائما بعض الأشياء الاجتماعية "[4]. و لأن الفرد في مجتمعه يتفاعل مع غيره، فإن هذه التصورات تكتسي طابعا اجتماعيا بالإضافة إلى الطابع النفسي الذي يمثل آرائه ووجهة نظره الخاصة، ويعبر عن انفعالاته وتفكيره. وفي هذا الصدد فإن التصور هو عملية بنائية وإنتاج اجتماعي، حيث يتم بناؤه (التصور) خلال التفاعل والاتصال الاجتماعي، فالنشاط المعرفي للفرد يعطي له طابع اجتماعي، وهذا التطبيع الذي يضمن التنظيم الاجتماعي للمعرفة[5].

وهكذا، ومن خلال ما سبق عرضه، فإن للتصورات الاجتماعية خمسة صفات تكسبها قيمة ووزنا في العلوم الإنسانية والاجتماعية، وعليه فإننا وباختصار نعيد ذكرها كالتالي: (6)

1/ Serge Moscovici : psychologie sociale, 2003, op-cit, p. 370.
2/ J. C. Abric : pratique sociales et représentations, PUF, 1994, 2ème édition, 1997, p. 23.
3/ Serge Moscovici : psychologie sociale, 2003, op-cit, p. 363.
4/ Serge Moscovici : psychologie sociale, 2003, op-cit, p. 363.
5/ W. Doise : Les représentations sociales, un label de qualité, in connexion n° 51, 1988.
6/ Serge Moscovici : psychologie sociale, 2003, op-cit p. 371.

- هي دوما تصورات لهدف معين ولا توجد تصورات بدون هدف.

- تتصف التصورات بصفة صورية أو تمثيلية، فالمعنى والصورة يشكلان التصور الاجتماعي.

- لها معنى رمزي أو دلالي، فرغم غيابها في الواقع ووجودها في الماضي إلا إنها تبرز في كل سلوكاتنا من خلال جملة القيـــم الاجتماعية والأخلاقية المكتسبة من علاقة الفرد بمحيطه.

- لها صفة البنـــائية الذهنيـــة:فهـــي نشاط ذهني كما عبر عن ذلك "بياجي".

- لها صفـــة الاستقلاليـــة والإبداعيـــة.

- لها صفة اجتماعية.

2-9/ وظـــائـــف التـــصـــورات الاجتـــمـــاعيـــــة:

ونظرا لأهمية دراسة التصورات الاجتماعية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، فإننا سنركز في هذا الجزء على الوظائف التي من الممكن أن تؤديها التصورات، وهذا إنما يثبت قدرتها على التحكم في المحيط وتسيير التصرفات، وعلى العموم فإن التصورات الاجتماعية لها عدة وظائف رئيسية نذكر منها[1]:

أ- وظيفـــة معرفيـــة Fonction de savoir: تسمح بشرح الواقع وتفسيره، وحسب "موسكوفيسي" فإنها تساعد الأفراد على اكتساب المعارف وإدماجها في إطار مفهوم منسجم ومنسق مع نشاطهم المعرفي وقيمهم التي يؤمنون بها، كما أنها تقوم بتسهيل عملية الاتصال الاجتماعي بحيث تحدد الإطار المرجعي المشترك الذي يسمح بعملية التبادل بين أفراد المجتمع.

ب- وظيفـــة الهـــويـــة Fonction identitaire: تقوم التصورات بتحديد الهوية الاجتماعية، وتسمح بالحفاظ على خصوصيات الجماعات، كما أنها تساعد الأفراد على تمركزهم في الحقل الاجتماعي، وهكذا فإن التصورات الجماعية تقدم بطريقة ايجابية سلوكات تلك الجماعة التي ينتمي إليها الفرد ومميزاتها من أجل الحفاظ على صورة إيجابية لهذه الجماعة.

إن التصورات الاجتماعية تسهم في عملية المقارنة والتصنيف الاجتماعيين، مثلا الشخص المعارض لرياضة "صراع الثيران" يرى في أمثاله أناسا لطفاء، بينما يرى في مؤيديها أفراد دمويـــين. وتقول "جودليت": " التصورات هي توزيع فكرة، لغة، وهي أيضا تأكيد لموقع اجتماعي مع هوية "[2]، أي أن الفرد يربط كل تصور بهوية أشخاص لهم صلة به مهما كان ذلك الموضوع، مثلا كالتصور الاجتماعي لمهنة التدريس عند الطلبة، فهو مرتبط بهوية الأستاذ الذي يقدم الدروس، حيث يعطيه هؤلاء هوية الشخص الوقور الذي يرتدي بذلة كلاسيكية، ويكون متقدما في السن، وبالإضافة إلى هذه الهوية

1/ Petard . J. P:et AL : psychologie sociale,op-cit, pp . 166 - 167.

2/ Denise. Jodelet : Les Représentations Sociale, 1993, op-cit, p. 372.

فإن هذا التصور يضم جملة الأطراف الأخرى كالمدرسة، ووسائل التدريس (الكراس، القلم، السبورة ...).

ج- **وظيفــــة التوجيـــه Fonction d'orientation:** حيث توجه التصورات الاجتماعية السلوك والممارسات على ثلاث مستويات على الأقل:

- تدخل مباشرة في تعريف الغاية من الموقع، فهي التي تحدد نمط العلاقات المناسبة للفرد، فنحن نفضل مصاحبة الذين يشاطروننا نفس التصورات حول قضايا محيطنا مثلا.
- تنتج التصورات نظاما للتوقعات، فنحن نختار ونفسر كل المعلومات المتعلقة بموضوع معين حتى نجعلها مماثلة لتصوراتنا.
- إن تصوراتنا تؤثر على السلوك الذي نقوم به وحتى قبل القيام به أحيانا، فاتجاهاتنا وقوالبنا تؤثر على التفاعل الذي سيحدث بيننا وبين الآخرين، أي أن النتائج تحسم أحيانا قبل القيام بالفعل، فالتصورات تشكل أنظمة لفك رموز الواقع، ووظيفتها توجيه انطباعاتنا وتقسيماتنا وسلوكاتنا.
- تقرر التصورات السلوكات والممارسات التي نقوم بها، إذ تحدد لنا ما هو مسموح به وما هو غير مسموح في موقف ما، وتلعب بالتالي دور المعايير.

د- **وظيفــــة التـــبريـــر Fonction de justification** [(1)]: إن التصورات الاجتماعية تبرر المواقف والسلوكات التي يقوم بها الفرد، فهي تسمح له بالتبرير القبلي، أي قبل أن يشرع في أي عمل، أو التبرير البعدي، أي بعد قيامه بسلوك أو فعل ما، فهي إذن تسمح بشرح المواقف في وضعيات مختلفة، وهذه الوظيفة في غاية الأهمية، لأنها تسمح للفرد بتقوية التمايز الاجتماعي بتبريره، وعليه يمكن باختصار ذكر أهم وظائف التصورات الاجتماعية في النقاط التالية:

- توجيه التصرفات والمراتب الاجتماعية.
- تبرير التصرفات والمراتب الاجتماعية.
- تسهيل الاتصال الاجتماعي.
- تأويل الحقائق اليومية وفهم الظواهر الجديدة والغريبة.
- إنشاء وحفظ الهوية النفسو-اجتماعية (جانب ايجابي).

إن هذه الوظائف الخاصة بالتصورات الاجتماعية إنما تسمح بتمييزها عن بقية الميادين الأخرى، وتمكن من الحفاظ عليها وتأويلها بالشكل الملائم.

1/ كنزة بوجلال:2001، سبق ذكره، ص35.

10-2/ محتـــوى التصـــورات الاجتـــماعيـــة:

من الصعب جدا البت في العناصر المكونة للتصورات الاجتماعية، وهذه الصعوبة مستقاة من صعوبة تحديد العناصر المكونة للآراء والمعتقدات والأشياء، وهذا كما سبق وأن اعترف بذلك "J.P.Codol"، وكذلك بسبب ما تحدث عنه "موسكوفيسي" حينما عرف التصورات على أنها :" عالم من الآراء Univers d'opinion، ليضيف " Kaës " مصطلح المعتقدات التي يقصد بها " التنظيم المستمر للمدركات والمعارف المتعلقة بأحد مظاهر عالم الفرد ". وعليه فإنه مهما تكن الطبيعة الدقيقة للعناصر المكونة للتصورات الاجتماعية، فإن هذه الأخيرة يتم تحليلها وفقا للعناصر الثلاثة التالية كما اقترحها "موسكوفيسي"[1].

أ- المعـــلومـــات Les informations:

إن دور المعلومات بكل أصنافها يشكل فرضية قوية جدا عند "موسكوفيسي"[2] 1961، بحيث يرى أن المعلومات بكامل أنواعها تلعب دورا مهما في تهيئة التصورات الاجتماعية، وكذلك في تقييمها[3] على اعتبار أن المعلومات هي جملة من الأفكار المكتسبة حول موضوع اجتماعي معين كما وكيفا، وقد تكون هذه المعلومات في شكل قوالب جاهزة، أو عادية (أصلية) [4]، بحيث أن دراسة التصورات الاجتماعية للتحليل النفسي توضح جيدا كيف أن اختلاف التقارير المعلوماتية وكيف نكون تصورات مختلفة حتى ولو كانت نقاط الانطلاق مشتركة وتسمح للعوامل الاجتماعية بالبروز بشكل مختلف. وإذا ما تحدثنا عن المعلومات فجدير بالذكر أن نتطرق إلى كيفية تناقل هذه المعلومات، وعليه ذكر"موسكوفيسي" أن المعلومات والاتصال بأبعاده الاجتماعية المختلفة، إنما تؤثر على الدينامكية الاجتماعية، وتؤثر على دينامية التصورات الاجتماعية، وهذه المعلومات تنتقل عن طريق وسائل الإعلام والاتصال، بأبعاده الثلاث ألا وهي:

- الاتصال اليومي ما بين الأفراد: ولأن التصورات إنما هي معارف مهيأة وموزعة ومقسمة في المجتمع وهذا بجملة من العلاقات ما بين الأفراد بفعل التفاعل الاجتماعي، أي أن الاحتكاك بـــين الأفـــراد يسمح بنقل المعلومات وتداولها، وبالتالي نقل وعمل التصورات الاجتماعية.

1/ Herzlich. claudine: La représentation sociale in S. Moscovici : introduction à la psychologie sociale, op-cit, p. 308.

2/ Nicolas Rousseau & Christine Bonardi : les représentations sociales ; état des lieux et perspectives, édition pierre Mardaga, éditeur Sprimont, Belgique, 2001, p. 181.

3/ Nicolas Rousseau et Christine Bonardi : les représentations sociales ; état des lieux et perspectives, 2001, op-cit, p. 179.

4/ W. Doise & A. Palmonari : Un nouveau champ d’études caractéristique des représentations sociales, Neuchâte, Paris, Delachaux et Niéstlé, 1986, p. 20.

- الاتصال الإعلامي: والذي تتكفل به وسائل الإعلام والاتصال، وهي وسيلة جد هامة لديمومة التصورات، وقد ذكر "موسكوفيسي" أن: " الجهد الأساسي للمتكلم في عملية الانتشار La diffusion، هو جد مهم، وأن الانتشار هو نمط لعلم مشترك وموزع، وهي عملية ضرورية لنقل التصورات "، وقد ذكر أيضا عدة نقاط تساهم في هذه العملية، وركز على مفهومي الانتشار والدعاية " La propagation & la propagande ".

- الاتصال مابين الجماعات[1]: وتحدث عنه "روكات Rouquette" (1994-1996)، حيث أنه يشغل مكانة مهمة في سيرورة وانتقال التصورات، وتعتبر كإشارة متزامنة مع مختلف الجماعات، وهي تعرف به، والتصورات الاجتماعية هنا تكسب قيمة تجادلية وتدور حول نفسها حسب نقطة التكيف، وحسب الهدف والعوامل المساعدة في تشكيلها، وهذه الأصناف الثلاث للاتصال إنما هي سبل لعمل وسيرورة التصورات الاجتماعية.

ب- حقـــل التصـــور Le champ de représentation:

يعبر أولا عن فكرة تنظيم المحتوى، إذ يوجد هناك حقل للتصور كلما وجدت وحدة هرمية للعناصر، كما يعبر عن غنى هذا المحتوى، وهذا يعني أنه يجب توفر حد أدنى من المعلومات القابلة للتنظيم، فحقل التصور مثله مثل مستوى المعلومات، يختلف من جماعة لأخرى، وحتى داخل الجماعة نفسها وفقا لمعايير خاصة، فبالنسبة لأصحاب المهن الحرة مثلا فإن حقل تصور التحليل النفسي يتضمن بعض المظاهر المشتركة، كتصوره الممارسة التحليلية وصورة المحلل النفسي، وتقييم العناصر المتسببة في اتساع نطاق التحليل النفسي، وبالمقابل نجد تباينا داخل نفس الجماعة تبعا لمعايير أيديولوجية حول قضية علاقة التحليل النفسي بالمشكلات الاجتماعية والعمل السياسي، ففي حين يرى اليساريون أن لا تداخل بين التحليل النفسي والمشكلات الاجتماعية، يرى بالمقابل اليمينيون والوسطيون أن المشكلات النفسية والاجتماعية والسياسية تنتمي إلى نفس المجال، ونستنتج من ذلك أن العوامل الأيديولوجية في مثل هذه الحالة لها دورا أساسيا في بنية حقل التصور.

ج- الموقـــف أو الاتـــجاه L'attitude [2]:

يعبر عن التوجه الايجابي أو السلبي حيال موضوع التصور، ويبدو أن بعد الاتجاه أسبق في الوجود من العنصرين السابقين، أي بعدي المعلومة وحقل التصور، فالاتجاه يتواجد حتى في ظل معلومات ضئيلة،

1/ Rouquette. M. L : Sur la connaissance des masses, Grenoble : presses, Universitaires de Grenoble, 1994, p. 185.

2/ سليمان بومدين : التصورات الاجتماعية للصحة والمرض في الجزائر، 2003، سبق ذكره، ص 20.

وحقل تصور قليل التنظيم، فطبقة العمال وبعض أفراد الطبقة الوسطى كان لهم اتجاها واضحا حيال التحليل النفسي في دراسة "موسكوفيسي" رغم تواضع معلوماتهم حول هذه المسألة.إن هذا التحليل ثلاثي الأبعاد، يسمح لنا من جهة بتحديد محتوى التصورات والعلاقة بين أبعادها المختلفة، ومن جهة أخرى بإجراء دراسات مقارنة حول التباين بين مختلف الجماعات والتميز بينهم وفقا لتصوراتهم الاجتماعية.

ومما سبق يتضح لنا أن المعلومة، حقل التصور، الاتجاه، كلهم يشكلون الأرضية الخصبة للتصور، فمهما كانت المعلومة ضعيفة، فإن هناك حقل لها، ومهما كان الحقل ضعيف فإن له توجه نحو التصور، ومثال ذلك موضوع بحثنا، فحقل التصور للكتابات الجدارية عند النساء الماكثات في البيت هو محدود رغم ضعف معلوماتهن، لكن لهن اتجاه ما نحو هذا الموضوع بأي شكل من الأشكال.

2-11/ مقاربـــات نظريـــة حـــول بـــروز مفهـــوم التصـــورات:

مع أننا تطرقنا فيما سبق إلى لمحة تاريخية عن نشأة مفهوم التصورات الاجتماعية، إلا أننا سندعم ذلك بجملة من المقاربات النظرية لتوضيح الرؤية أكثر حول بروز هذا المفهوم إلى الساحة العلمية وبشكل مثير وملفت للانتباه، وعليه فإن هناك عدة مقاربات نظرية تناولت هذا المصطلح وسعت جاهدة لتوضيح وجهة نظرها حياله ومن أهمها:

أ- المقـــاربـــــة المبدئيـــــة L'approche Initiale:

إن مصطلح التصورات هو مصطلح قديم جدا، استخدم في الأصل من طرف الفلاسفة للبحث عن سبل وشروط المعرفة، وحسب " إ.كانط " (1804- 1724) الذي يرى بأن:" أهداف معرفتنا ليست إلا تصورات ومعرفة لحقيقة نهائية ومستحيلة، فإن معارفنا هي منتوج لفئات ذهنية، المجال الثلاثي الأبعاد، تواجد وكينونة التلاحق (التواصل) الخطي للوقت – المنطق الشكلي- هذه الفئات لا تدل بالضرورة على البنيوية أو على عرض للحقيقة نفسها". (J.C Ruano - Borbalan 1993)[1]، حيث يشير "كانط" وكما شرح ذلك " Borbalan " إلى تحليل شروط المعرفة التي هي إطارات ذهنية (عقلية) حين نحبسها ولكي نعرف لابد أن نأخذ بعين الاعتبار الازدواجية أو الثنائية التالية :الهدف الدراسي / الموضوع المدروس، في شتى نطاقات الأبعاد. أي أن تعميم فكرة من أجل التعرف لابد من الاهتمام في نفس الوقت بهدف الدراسة والفرد المدروس.[2]. لقد أرجع "موسكوفيسي" إلى كل من "G. Simmel" (1918- 1858) و"M. Weber" (1920- 1864) أصل ومنبع فكرة التصورات في مجال علم

1/ Dr Maache. Y & Dr Chorfi. M.S. & Dr Kouira. A, 2002 , op-cit, p.3.
2/ Les approches des représentations sociales ,Internet.

الاجتماع[1]. وكذلك أسندت إلى "دوركيم" (1858- 1917) أبوية مفهوم التصورات، وهي حسبه: " طبقة واسعة من الأشكال الذهنية أو العقلية (علوم، ديانات، طقوس، فضاء، وقت...) للآراء وعلوم بدون تمييز. إن هذا المفهوم متكافئ مع هذه الفكرة أو هذا الأسلوب، صفاته المعرفية ليست دقيقة ".

إنه يفرق ما بين التصورات الجماعية والفردية، حيث يعتبر أن قوة التصورات الجماعية هي المسيطرة، كما أنها تستمد قوتها من التصورات الفردية. لقد استعمل "Durkheim " هذا المصطلح من أجل تحليل ميادين اجتماعية مختلفة على اعتبار أنها :" الفرضية التي تمكننا من شرح الظواهر انطلاقا من التصورات والأحداث التي تخولها "، وفي مقال مشهور له نشر في مجلة الميتافيزيقيا والأخلاق عام 1898، قارن ما بين التصورات الفردية والجماعية، واعتبر أن هذه الأخيرة موضوعا مستقلا للدراسة، وأكد على خصوصية التفكير الجماعي بالنسبة للتفكير الفردي، وعند هذا السوسيولوجي، الأنظمة الأولى للتصورات هي أن الإنسان والعالم لهم أساسيات وأصول دينية، والمجتمع هو الحقيقة الثرية، لها صفاتها الخاصة، لا يمكن إيجادها، أو حتى لا نجدها تحت نفس الشكل في بقية الكون، وعليه التصورات تشرح إذن كل شيء بما فيه المحتوى، حيث تكون فردية محضة، ويمكن أيضا تأكيد بالتقدم حيث الأولى تضيف شيئا ما إلى الثانية (الفردية والجماعية).

وبعد "Durkheim" يأتي " Lucien Lévry Bruhl " (1857-1939)، الذي طبق هذا المفهوم في دراسة الاختلافات ما بين المجتمعات البدائية والمجتمعات المتطورة لأجل استخراج أهمية الاختلاف في التصورات للقوانين الطبيعية (قوانين الروحانية أو الصوفية عند المجتمعات البدائية، والقوانين المنطقية عند المجتمعات المتطورة) التي يتولد عنها تصورات مختلفة للوقائع تنتج أنماط حياة مختلفة.

وعند " Moscovici "، فإن تحليلات "Lévry Bruhl " بدأت باستخراج البنيات الفكرية والوجدانية للتصورات على العموم . ويضيف: "... من خلال الطرح النفسي والشكل الذهني الذي يلصقها Lévry Bruhl، يأخذ بعين الاعتبار التماسك بين المشاعر والوقائع، وأحداث الحياة العقلية الجماعية "، مع العلم أن هذه الرؤى اهتم بها فيما بعد من طرف النفسانيين. ويضيف هذا الباحث:" إن الأفراد يفاجئون بنظام التصورات المسيطرة على المجتمع، وفي إطارها التي تفكر وتشرح جيدا مشاعرهم، وهذه التصورات تختلف حسب المجتمع الذي ولدوا فيه وتواجدوا فيه، حيثما كانوا، فكل نمط ذهني (عقلي) هو مرموز ومتعلق بنمط المجتمع، حيث المؤسسات والتطبيقات الخاصة به "[2]، أي أن التصورات تختلف باختلاف المجتمعات ونمط الحياة فيها وكيفية بنائها. ولعل " Lévry Bruhl " هنا إنما يوحي بأهمية

1/ Les approches des représentations sociales ,Internet.

2/ Denise Jodelet : Les représentations sociales ,1993, op-cit, p.67.

التصورات الجماعية وسيطرتها على التصورات الفردية، حيث يقول: "يجب إذن التخلي في البداية عن جمع العمليات الذهنية في نمط وحيد مهما كانت المجتمعات المعنية، وشرح كل التصورات الجماعية بواسطة ميكانيزم نفسي منطقي دوما هو نفسه، وإذا كان صحيحا بأنه توجد مجتمعات إنسانية تفرق ما بينها بسبب بنيتها، مثل الحيوانات اللافقارية المختلفة عن الحيوانات الفقارية، فإن دراسة المقارنة لمختلف أنماط الذهنيات الجماعية ليست على الأقل ضرورية لعلم الإنسان، حيث التشريح وعلم النفس المقارن ليسا كما في البيولوجيا "[1].

ب- المقـــاربة النفـــسانيـــة L'approche Psychique: ويعتبر "موسكوفيسي" أن "بياجي J. Piaget" هو أول من تعمق في دراسة الميكانيزمات النفسية والاجتماعية الضرورية، والتي هي أصل ومنبع للتصورات وتحركها. إنه يدخل القطيعة مع "دوركيم"، ويستنتج أنه إذا ما كانت التصورات الجماعية موازنة مع التصورات الفردية (أي تطور) للطفل فإنه بالنمو يكتسب استقلالية في تصوراته الخاصة، والتي تتحرك من خلال توظيف مراتب متعاقبة يمر بها الطفل خلال نموه النفسي والمعرفي وحتى الاجتماعي، ويتقابل مع المجتمع، بحيث يستخدم الخضوع في مرحلة الطفولة والتعاون في مرحلة الرشد، وبهذا فإن "Durkheim " يفترض حدوث تجانس للتصورات المنقولة (المحّولة) نحو الأجيال، وهذا طبعا في قالب اجتماعي محض[2]. وحيث أن "دوركيم" يقدم لنا الطفل على أنه: " لا يعرف أي مجتمع سوى مجتمع الراشدين (الذي يكونه الراشدون) ونقصد به المدرسة، حتى أنه (دور كيم) أهمل كليا تواجد مجتمعات عفوية للأطفال ولأحداث متعلقة بالاحترام المتبادل".

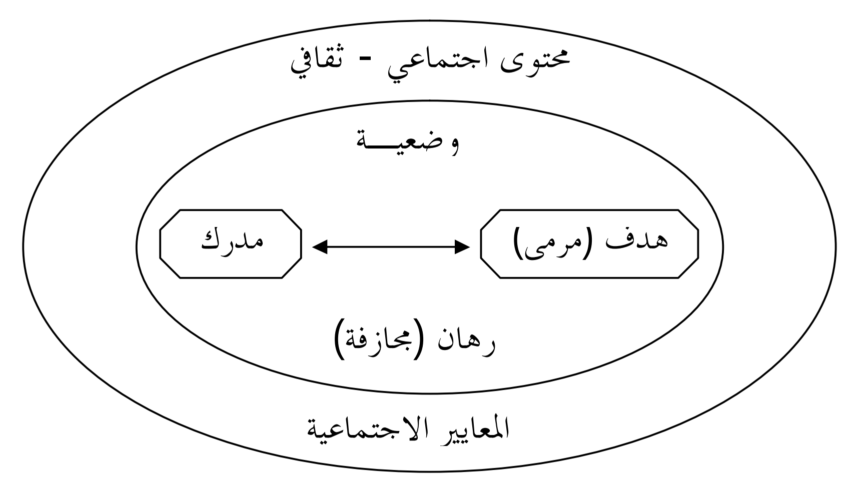
لقد أسند "موسكوفيسي " إلى "فرويد S .Freud" (1856 -1939) تحليل لمنشأ التصورات الفردية عند الطفل، وهذا بالمواجهة مع فعل (بحث واسكشاف الطفل) التصورات الفردية المسبقة، والتصورات الجماعية (الآتية من طرف الأولياء) وتأثيرها على الشعور واللاشعور، لقد استخلص من دراسة " Freud " أنها: " أنها تظهر بواسطة بعض السيرورات المجهولة حتى الآن، التصورات تمر وتحدث في حياة الكل وضمن حياة كل فرد من مستوى شعوري (واعي) إلى مستوى لا شعوري ". ومقارنة مع الدراسات التي قام بها بقية الكتاب يستنتج "موسكوفيسي": " أن التباعد بين العناصر الجماعية والعوامل الفردية تأخذ على الأقل أكبر نظرة من أجل النهاية إلى الأبعد "، وهذا الذي قاده سنة 1961 إلى تحديد دراسة التصورات واعتبارها " ظاهرة ملموسة ".

1/ Lévy Bruhl : Les fonctions Mentales dans les sociétés inférieures, Paris PUF, in Denise Jodelet : les représentations sociales, 1993, op-cit, p.67.

2/ J.Piaget : Le jugement morale chez l'enfant, ALcan ,p.412, in Denise Jodelet : les représentations sociales ,1993, op-cit, p. 73.

ج- **مقـــاربـــة علـــم النفـــس الاجـــتمـــاعي:** إن مفهوم التصورات قد عرف منذ أربعين سنة العودة التي كانت مرتبطة بتغير اجتماعي، ولكن كذلك مع تعديلات نموذجية في فرنسا، ومع المختص النفس- اجتماعي " Serge Moscovici " سنة 1961، مفهوم التصورات الاجتماعية هيئ بشكل حقيقي في إصداره " la psychanalyse son image et son public "، حيث أراد أن يبرز نظرية علمية جديدة مجسدة ضمن ثقافة معطاة ومنقولة في وسط هذه السيرورة. ومثلما هي كذلك متغيرة وغير ثابتة بتغير نظرة الناس وبمرور الوقت وحسب الظروف المعاشة. لقد أراد "موسكوفيسي" في دراسته الضخمة للتصورات أن يفهم كيف تنتشر نظرية علمية لدى الجمهور، وما هي التغيرات التي تطرأ عليها، وأشار أنه لا يوجد تصور واحد للتحليل النفسي، وإنما تصورات عدة، تختلف في المحتوى ومستوى البناء والتوجه العام للتحليل النفسي وحسب الانتماء الاجتماعي. ويقول: " إن الثورة حدثت بواسطة الاتصالات، انتشار المعارف العلمية والتقنية، حولت أنماط التفكير وخلقت محتويات ومضامين جديدة "، ويضيف: " هي المصطلح أو العلم الذي لا يترك امتياز للفرد أو امتياز محدود ومفاجىء من خلال مسيرتها كلها كمجموعة تحول، والتي توجب تغير المحتوى والبنية، البنية الجديدة تجسد تصورات بمعنى جدي للكلمة، وفي نفس الوقت مجردة ومصورة مذكورة وملموسة ". هذه العودة للبحث صاحبت تغيرات نموذجية، فالتصورات الجماعية حسب " دوركيم " تعني الأهمية للمصطلح والمحتوى، وهي ربح أو خسارة للتصورات الاجتماعية، وهذا يعني ولادة للتفاعل الفردي والجماعي، فيقول: " نعترف بأن التصورات هي في نفس الوقت مولدة ومولودة (منتجة)، وبإزالة هذا الجانب المسبق الإحصائي الذي كان في النظرية الكلاسيكية، إنها ليست أساسيات وإنما تفاعلات قائمة ". هذه المقارنة الجديدة تسمح بمعرفة التغيرات الاجتماعية و الفردية: " وهذا لا يعني فهم التقاليد فقط، وإنما الابتكار أيضا، كما أنها لا تعني حياة اجتماعية قد سبقت وكانت، وإنما حياة اجتماعية في طريقها إلى الذهاب". وأضاف "موسكوفيسي" آخر المفاهيم التي اتصفت بها التصورات اليوم، حيث قال بأنها: " منتجة من طرف أشخاص مختصين، وهذا الذي يعطيها صفة بعض الاستقلالية، نحن نعلم بأنه توجد بعض الفئات من المجتمع من الأشخاص الذين يحاولون صنع الأحداث، وهذا الذي يمكن من انتشار المعارف العلمية: أطباء، علاجيين، عمال اجتماعين، منشطون ثقافيين، مختصون في الإعلام والاتصال والتسويق السياسي...، والأخذ بعين الاعتبار الانتماء إلى صناع الطقوس والحضارات الأكثر قدما، معارفهم المعمولة مرمّزة ومنقولة، وتعتبر كمرجعية بالنظر إلى ما سبق من بعض الأوليات ".

ولعل الكل يجمع على أن بناء وتشكيل مفهوم التصورات حسب "موسكوفيسي"، إنما يرجع على علم النفس الاجتماعي وأنه ذو أصل فرنسي محض.



مخـــطط رقم 03

د- مقـــاربـــة علم النفـــس الجيـــني (علم النفس للنمو المعرفي 1980-1996) [1]: لقد نشر "جون بيــــاجي" سنة 1946 في كتابه أن: " تكوين الرمز عند الطفل هو التقليد، اللعب، الحلم، والصورة والتصورات "، مبرزا قدرة التصورات التي تقدم كسيرورة لتقليد واستعمال الصور الذهنية، فالطفل منذ الشهر 18 يملك القدرة على الترميز التي تبدو في اللعب بفضل سيرورتي: التقليد، التمثيل. كذلك حسب هذا الكاتب، التصورات هي: نظام لقواعد بمستوى، حيث العضو يحتفظ بصفات محيطه، وهذا يعني إدراك واسع لجميع السيرورات المعرفية التي تحل محل تصورات الميلاد ". ويقول أيضا : " إن الطفل واقعي لأنه يفترض أن التفكير متصل بهدفه حيث الأسماء مرتبطة بأشياء مسماة، وحيث الأحلام هي خارجية "، أي أن الطفل يتعامل مع معطيات محيطه الملموسة والمجسدة ولا وجود للتفكير الخيالي، إنه يجعل من التصور الذهني الهدف الذي يسعى ليبقى رمزي. وهذا المفهوم للنشاط الذهني له إبداعه واستقلاليته...الخ، حيث أن "بياجي" يغير في نظريته المتقدمة للنمو المعرفي، وعليه من أجل التطويق والتحكم في هذه التصورات وضع أو صاغ مشكلتين رئيسيتين هما:

- الأولى: مرتبطة بمفهوم الحقيقة، ويطرح عدة تساؤلات منها: ما هو نموذج التفكير الطفلي (عند الطفل)؟ أي تفكيره، هل هو مصبوغ (متصف) بالحقيقة ؟، وبمصطلح آخر هل يفصل بين عالمه الفعلي وعالمه الداخلي الذاتي ؟، أي كيف يفكر الطفل ؟، هل يربط جملة أفكاره وإدراكاته الداخلية الكامنة فيه بمقتضيات المحيط أو لا ؟.

1/ J.Piaget : La représentation du monde chez l’enfant, Paris, édition PUF, 1972, p. 107, in Denise Jodelet : les représentations sociales, 1993, op-cit, p. 72.

- الثانيـــة: متعلقة بفكرة السببية الطفلية، كيف يفسر الطفل ظواهر العالم الخارجي ؟.

ولأن التصورات صعبة التطويق، توصل "بياجي" إلى اقتراح تقنية خاصة ومتميزة، لقد حذر من طريقة الاختبار والتي هي حسبه غير قادرة على السماح بتحليل شامل، حيث يقول : " الاختبار غير مجدي لعدة نقاط ووجهات نظر...، إنه يخاطر بترك (المرور على) أسئلة مهمة، فوائد عفوية لمطالب بدائية..."؛ إذا ما هي الطريقة المثالية حسب "بياجي" لدراسة التصورات عند الطفل ؟

لقد اقترح طريقته العيادية مع استخدام وسائل مهمة كالملاحظة المباشرة، التي تسمح بدارسة تساؤلات عفوية عند الطفل، وتوصل إلى تطويق فوائد الأطفال بأعمار مختلفة، والمشاكل المطروحة. وأثناء تطبيق هذه الطريقة ظهرت عدة عقبات من نوع: عدم القدرة على تفهم واستيعاب الواقعي الوهمي، لعب الاعتقاد عند الطفل؛ ومن أجل كل هذا، فإن "بياجي" يعلمنا باقتراح طريقة أخرى أكثر فعالية لدراسة التصورات. هذه الطريقة كما يقول: " تجمع وسائل الاختبار والملاحظة المحضة، إنه إذا اختبار عيادي يجب وضع السؤال الثاني: هل الطفل يدرك الحقيقة الخارجية لنفسه ؟ ".

وإذا كان منطق الطفل لا يأتي بالشدة ولا بالموضوعية، فهذا بسبب الأنانية الفطرية التي تتعارض مع تنشئته الاجتماعية، لكن ما هي هذه التنشئة التي تبدو ذات أهمية في نظرية بياجي ؟.

إنها محددة بدينامية للتقارير المتداخلة بالطفل مع الأشياء، وكيف يمكن للطفل أن يفصل نفسه لتكوين تصورات موضوعية عن الحقيقة ؟. ومن أجل ذلك اعتمد "بياجي" ثلاث مراحل:

- الأولى تمثل عاملا جد عفويا، الطفل يعتقد بأن تفكيره مع فمه، وأن هوية التفكير في الصوت، التفكير مسقط مع الأشياء المادية والكلمات التي تخرج الأشياء.

- الثانيـــة ملاحظة بواسطة تدخل الراشد، الطفل يأخذ ما يفكر به مع رأسه أي له صوت في رأسه.

- الثالثـــة ملاحظة بواسطة تدمير الماديات للتفكير، إنه يستخرج مفهوم المادة الفيزيائية. وكذلك حسب "بياجي"، التصورات هي: "ميكانيزم جد مهم بحيث يستعمله الطفل خلال نموه المعرفي، إنه يسمح له بترجمة (تأويل) الأحداث للوسط الخارجي انطلاقا من أفعاله وخبراته الداخلية، إنها مجهزة بمعلومات من أجل تعديل التنشئة ". كما وضع أيضا أصوله على اتصالية النمو الحس-حركي، حيث الوظيفة المبدئية تعقد العلاقات مع العالم الخارجي، إنها إذن خلاصة استبطان مخططات الحس-حركية، يبدو في محتوى التقليد الذي هو وسيلة مهمة تسمح بالمرور منها إلى الرمزية.

الصورة الذهنية تتكون بواسطة التصورات التي تحمل الميلاد في تلك التي سماها بياجي" بالتقليد المؤخر ". أن التصورات المصممة من طرفه هي سيرورة مستقلة عن تأثير الوسط (هذا ما هو مهم حتى في النظرية البنائية التي تعطي الأولوية للموضوع من طرف تقارير المحيط)، بحيث أن المفهوم الاجتماعي للتصورات

لا يبنى إلا متأخرا، هذا الذي جلب انتقادات كثيرة لا سيما عند: " Brunery & Vygotshy " اللذان يؤكدان أن السيرورة المعرفية للتصورات متصلة، والاستيعاب الثقافي للأهداف والقيم اللازمة مع الوظائف الاجتماعية. وعند "Wallon"، التصورات هي سيرورة للوساطة ما بين الموضوع والعالم، إنها تبدد التعارض الذي تتصف به علاقات الطفل مع وسطه، وعلى عكس "بياجي"، فإن " والون " يؤكد الأهمية المركزية للدور العاطفي في النمو المعرفي. إنه يغير الأمكنة التي تتواجد ما بين شخصية الطفل التي تعطي الأصل في الانفعالات والدوافع الحركية والنمو المعرفي. بينما يرى "بياجي" أن التصورات تأخذ الأصل في التقليد وهي تكتمل مع اللغة، إنها لا تكون باستعمال في المواجهة الرمزية للغة، إن لها بعض مستويات اللغة والوظيفة الرمزية.

ه- **مقـــاربة علـــم النفس المعـــرفي:** ويميز فيها بين معنيين للتعبير عن التصورات: واحد يعني سيرورة التأويل (ترجمة)، والآخر يطبق لإنتاج هذه السيرورة (معارف أو معتقدات)، وأكثر من ذلك توجد أشكال كثيرة من التصورات، حيث يقول " بياجي ": " الصور الذهنية، المفاهيم، والتصورات متصلة بالحدث، الصور الذهنية تأخذ بعين الاعتبار العوامل الوصفية (صفات) للاستقبال المرئي: الشكل واللون وحجم الأهداف، وكذلك توجههم في الفضاء، التصورات المفهومية (المعنوية) إنما هي جد متصلة باللغة، بمصطلحات كذلك مختلفة كالسياسية، الاتصال، الحزن، تغير من هذه المقاربة حتى إذا كان من الممكن فصل (عزل) التصورات الصورية عن هذه الكلمات، إن التصورات متصلة بقيام معني بالعلم الذي نحن نقدمه للموضوع بطريقة، كالقيام بنشاط وهذا يطبق على معطيات كذلك مختلفة كما في وصفة المطبخ، أو هي أيضا الطريقة لخوض تجربة علمية، هذا العلم يأتي على الأفعال التي نحن نحاول تحقيقها أولا [(1)]".

12-2/ التصنيف الوصفي للمواضيع التي تناولت بالدراسة التصورات الاجتمـــاعية:

هناك برتيبات كثيرة أثبتت أنه هناك عدة تخصصات مرتبطة ببعضها البعض، والتي تناولت بالدراسة التصورات الاجتماعية، وهذه التخصصات إنما تحصي جملة المواضيع المدروسة المحتفظة في الأذهان، وهناك العديد من المساعي لترتيب جملة المواضيع للتصورات والتي هي على الأقل تعكس ترتيب حقيقي وترقيم بسيط تثبت كلها المكانة الجيدة التي تحتلها التصورات في قائمة البحوث، وتثبت شمولية هذا المفهوم وامتيازه على بقية الطرق العلميـــة، وعليه سنحـــاول حسب Christine Bonardi & Nicolas Roussiau ذكر بعض هذه التصنيفات[(2)]:

1/ Dr Maâche. Y & Dr Chorfi. M.S & Dr Kouira. Aicha : La représentation sociale, 2002, op-cit, p. 6.

2/ Christine Bonardi & Nicolas Roussiau : Les représentations sociales ; état des lieux et perspectives, édition Pièrre. Mardaga, Belgique, 2001, p. 23.

أ- **موسكوفيسي:** إن جملة البحوث الملاحظة في ميدان التصورات تجمع على أنه هو من قام بترتيبها، انطلاقا من بروز وتصاعد التصورات إلى مستوى أحد المجتمعات، والمهم هو بروز نظريات علمية أكثر دقة وملائمة، هذا التنظير من خلال المعنى المشترك وكذا بروز أحداث اعتيادية.

- في الملائمة (تخصيص) العلمية نجد أن أفضل مكانة تحتلها تصورات التحليل النفسي لموسكوفيسي عام 1961، والتي ترجع إلى انتشار اجتماعي لنظريات علمية، هذه الأعراف إنما سميت بالتعميم العلمي Vulgarisation Scientifique برزت في أبحاث: (Barbichon 1972, Ackerman & zigouris 1966, Barbichon & Moscovisi 1965 ...).

- المرور بالتغيرات الاجتماعية والتقنية، هو فرصة لتحديد وتقييم التصورات مع الوقت والتقارير ما بين التصورات والتطبيقات الاجتماعية، وهذا ما اشتهر لاسيما في أعمال: المرض العقلي (Jodelet 1989)، الجســـم (Jodelet 1976)، الجماعات والعلاج النفسي (Kaës 1976)، الصحة والمرض (Herzlich 1969).

- المحيط والفضاء الفيزيائي (المادي)، الاجتماعي والثقافي، هي كذلك حاملة للتصورات تبدو ظاهرة أكثر من السابقة بالوظائف اليومية، إننا نحصي الأعمال على الصورة لمدينة باريس (Milgran & Jodelet 1976)، الثقافة (kaës 1968)، العلاقات بين الجماعات (Quaglino 1979)، الطرق التربوية (Gorin 1980)، أو الطفل (Chombart de Lauwe 1963-1979).

- يمكن كذلك إكمال هذه الترقيمة بواسطة أبحاث، خاصة المقامة على طريقة المقاربة التجريبية[1] واستخراج أهداف ومواضيع اجتماعية كثيرة وأكثر تمييزا من تلك السابقة، وعلى سبيل المثال نذكر: أثر التصورات على السلوك في وضعيات تناقسية (Faucheux et Moscovici 1968)، تصورات الذات والجماعة والالتزام " شغل " (Codol 1974)، حلول المشاكل (Abric 1976)، أو تصورات الجماعة (Codol et Flament 1971).

ب- **جـــودليت Jodelet**: في سنة 1948، عندما فصلت في الميدان بستة (6) رؤى، كل واحدة تشكل حقل التصورات الخاصة:

- **الرؤيـــة الأولى:** مرتبطة بالنشاط المعرفي المحض، وبواسطتها يمكن للفرد أن ينشأ تصوراته، بحيث أنه هناك بعدين يؤديان إلى التصورات الاجتماعية: أحدهما مضموني، بحيث أن الفرد في وضعية تفاعل اجتماعي أو مقابل منبه اجتماعي، حيث تبدو التصورات كحالة للمعرفة الاجتماعية وبالضبط تناولها

1/ Christine Bonardi & Nicolas Roussiau : Les représentations sociales ; état des lieux et perspectives, 2001, op-cit, p. 24.

علم النفس الاجتماعي؛ والثاني إنتمائي، حيث الموضوع أو الفرد، هو موضوع اجتماعي ويجب أن يستدعى لتكوين الأفكار، القيم، والنماذج التي يستوحيها من جماعته التي ينتسب إليها، أو من الإيديولوجيات السارية في المجتمع. الدراسات التجريبية للتصورات في ترتيبها للتصرفات، تضم في الأغلبية هذه الرؤية أو المقاربة (J. P. Abric 1971-1972-1982 a et b ; E. Apfelbaum, 1967 ; J. P. Codol, 1969-1970 a et b ; C. Flament, 1971-1979..ext)[1].

- **الرؤيـــة الثانيـــة :** ونقصد بها العمل الفردي لإنتاج المعنى الذي سوف يبرز في خلق التصـــورات، إنتاج لن يكون أفضل إذا لم يستوعب بمقاييس اجتماعية (نظام التشفير أو الرموز، قيم، مبتغـــى ...)، التي هي أصل التصورات المبنية اجتماعيا (Kaës 1968, Herzlich 1969, Chombart de Lauwe 1976-1979 .

- **الرؤيـــة الثالثـــة:** حينما توظف التصورات كخطاب في الاتصال الذي يكسبها خاصيتها الاجتماعية، الكل كما في الالتحام الجماعي للأفراد المتصلين ببعضهم (Lipiansky 1979, Windisch 1982).

- **الرؤيـــة الرابعـــة:** تعتبر أن تطبيقات الأفراد عامل اجتماعي يساعد على اتخاذ موقف إيديولوجي، حيث التصورات الناجمة تعكس المعايير المؤسساتية (Jodelet 1984, p. 366)، كما نجد مثل هذه الحالة في أبحاث (Gilly 1980 & Plon 1972).

- **الرؤيـــة الخامســـة:** إن دينامية العلاقات ما بين الأفواج توضح هذه التصورات، حيث هذه الأخيرة هي التي تعبأ في تفاعلات مخصصة لتبرير العلاقات الاجتماعية المؤكدة، ونجدها في (J. P. Giacomo 1980 & W. Doise 1972-1979).

الرؤيـــة السادســـة: حيث المجال الاجتماعي يثقل على الفرد بالوزن، إنتاج مخططات للتفكير الثابت اجتماعيا (Jodelet 1984 p. 366) ، وله نظرة بنيوية بواسطة الإيديولوجيات المسيطرة، وذلك ثنائية (إعادة) التماثل للمراتب الاجتماعية. كل هذه المكانيزمات حسب جودليت، وجدت إشعاعا في أعمال كل من: (Boltanski 1971, Bourdieu 1980, Maître 1975, Robert, Faugeron 1978)، وفي الحقيقة نود القول بأن هذا التفكيك والتفصيل للعوامل الفردية والاجتماعية تجاوز الميدان الخاص بالتصورات الاجتماعية، وليس في النهاية متطلب، وأكثر من ذلك يوجد في أبحاث مذكورة، متموقع ما بين الديناميات الفردية، الجمعية، أو الجماعية. وإذا كانت "جودليت" قد اقترحـــت وأضافـــت هذا

1/ Serge Moscovisi : psychologie sociale, 2003, op-cit, p. 371.

التفصيل للرؤيات وماالحقها من التقسيم الجديد للأبحاث في دائرة تطبيق التصورات الاجتماعية، فهذا جيد، لأن هذه الأخيرة تدخل في حقل التصورات الاجتماعية، وتعتبر ناطقة جيدة لتلك الاعتبارات، حيث يمكننا تعديلها، مثل: الحسابات المتصلة بالتربية (Gilly 1980)، ومن إعلام التصورات إلى صفات الطفولة (CHombart de Lauwe 1979)، أو أعمال (Deschamps et Doise 1975)، وكذا الإعلام الجماعي (Kaës 1976) إلى النفسي والجسمي (Herzlich 1969, Farr 1981, Jodelet 1982)، أو إلى المحيط (P. E. Barjonet 1980, D. Jodelet 1982, S. Milgram & D. Jodelet 1976, Pailhous 1979) [1].

ج- **ولكــر Walker & Augoustinos**: في سنة 1995 لم يقبلوا في بيانهم (قائمتهم) أن دراسات التفكير كصفات لتقاليد التصورات، هذا الذي غير في النهاية فكرة أنماط التصورات المدروسة بأنماط منهجية مطبقة.

- إن عمل (Herzlich 1969) على موضوع الصحة والمرض يشع بالأعمال التي تجسد عمق التاريخ، والتي تقوم على منهجيات نوعية.

- أما أعمال (De Rosa 1987) التي كانت على الاضطرابات أو الاختلالات الذهنية كمثال لوسائل أكثر هدفية (استمارة، مفارقات دلالية...).

- بينما أبحاث (Hewstone, Jaspars & Lalljee1982) على تصورات مابين الجماعات و(Di Giacomo1980) على المفردات المستعملة من طرف الطلبة سوف تشع وتوضح إذا ما كانت الفئات المختلفة للأشخاص تمتلك تصورات مختلفة.

- وفي الأخير تأتي دراسة للتصورات في المخابر مع خبرة (Abric 1984) المتصلة بوضعيات معاشة.

د-**Wagner:** في 1994 أيد كذلك سابقيه، وساعد بترتيبه على المجتمع، حيث اقترح ثــلاث مجــالات للتصورات:

- الأول: يضم العلم، التقنيات، والنظريات، وذكر في أبحاث (Mugny & Carugati 1985) ، و(Deconchy 1990) في الطب، أما في التحليل النفسي فذكر عند (S. Moscovici 1961).

- الثــاني: يضم الأهداف الثقافية، برز في أبحاث المرض العقلي (Jodelet 1989)، المرض والصحة (Herzlich 1969)، الطفولة (CHombart de Lauwe 1979)، الدور الاجتماعي للمرأة (Aebischer 1985)، وأيضا الجنسية المثلية (Furnham et Taylor 1990).

1/ Christine Bonardi & Nicolas Roussiau : Les représentations sociales ; état des lieux et perspectives, 2001, op-cit, p. 25.

- الثالث: مجال البنية الاجتماعية والأحداث السياسية المقدمة من طرف المعلمين (Gilly 1980)، العمل (Salmaso & Pombeni 1986)، السلطة (Galli & Nigro 1992) [1].

ه- **مولنـــر Moliner 1993-1996**: ويعتبر كبحث للتناسق وتعدد الحسابات الغيرية، وهذا التناسق يكون في وجهات مشتركة ما بين الأهداف، ووضع " المجال الشكيلي Polymorphe "[2] لهدف اجتماعي وقيمه المرهونة، إن الهدف الدراسي هو تحديد إذا ما كانت كل الأهداف المدروسة هي فعلا مسببة للتصورات، أو أن كل الأهداف يمكن أن تقدم مادام ظهورها متصل ببعض التفاصيل الخاصة، وقد ذكر ثلاث أنماط للأهداف وهي:

- أهداف اجتماعية مؤسسة (عضوية) على التنظيم الاجتماعي (نمط الفوج Codol1972)، تطبيقات (Guimelli 1989)، الصيد (Fourgeror 1978)، العدالة (Robert)، التجديد (تكنولوجيا جديدة- أنترنت)، أو كذلك إنحرافات (تسممات).

- أهداف متصلة بأصناف كالأفراد، لكن رجعية مقارنة بمحيطها اليومي: عنصر بيولوجي ونفسي (اختلاف الجنس، الذكاء)، الصحة والمرض (Herzlich 1969)، المحيط أو إطار الحياة (Morin 1984)، الوقت (Ramos 1987)، النقود أو المال (Vergés 1992).

- أهداف متصلة بإصدارات إنسانية: التحليل النفســـي (Moscovici 1961)، الثقافـــة (Kaës1968, Larrue 1978)، إقتصاد (Vergès 1989).

ونعود إلى مساعي تلك الترتيبات التي تضع أولا تنوع الأهداف للتصورات المستكشفة، والتي توضح جملة ما تحمله البحوث المحضرة في ميدان التصورات. إن التحقيقات واختلافاتها تشهد لمحاولات كثيرة، بحيث أنه ليس فقط الهدف هو الذي يحدد ويعرف بالتصورات، وإنما بقية عناصرها كالسيرورات والميكانيزمات، والظواهر، والمحتويات المنظمة التي تعرف مسبقا بهدف التصورات.

وأخيرا وبمحاولة الترتيب هذه، نلاحظ أنه يوجد وبقوة الهدف الاجتماعي المهم وبشكل نهائي، والذي أطلقت عليه "جودليت " تسمية " الطاقة الاجتماعية ".

إن هدف التصورات هو حاليا معطى برهان اجتماعي أكثر أو أقل أهمية لمجموعة ما أو للفرد، حيث نوعية الرهان الاجتماعي تتدخل في إنعاشه أو محوه، إنه يخرج بعدد كبير من الأحداث والأشياء المتوافقة مع فترة معطاة أكثر أو أقل طولا، هذه الملائمة تغذي التكويـــن والتقويم في الـــمجال

1/ Christine Bonardi & Nicolas Roussiau : Les représentations sociales ; état des lieux et perspectives, 2001, op-cit, p. 25.

2/ (:الشكيلي، متعدد الأشكال: Polymophe)، سهيل إدريس :المنهل، قاموس فرنسي/عربي، دار الآداب للنشر والتوزيع، بـــيروت، لبنان، طـــ33، 2004، ص 939 .

النفسو- معرفي للتصورات المختلفة، كذلك عن التحليل النفسي (Moscovici 1961)، وعن الإشعاعيـــة (Galli et Nigro 1987)، والكمبيوتر (Sansales &.Degrada Ercolani. Areni 1987)، البحـــث (Courtial et Kerneur1996)، أوكذلك الأنترنت (Roussiau et Bonardi1999)، وكل ما يمكن قوله كما أشار (Codol1984)، أن هدف التصورات ليس فقط بطبيعتها، وإنما بالوقت والثقافة والمجموعة المعطاة[1].

13-2/ آليـــات عمـــل التصـــورات الاجـــتماعيـــــــة:

تحتل التصورات الاجتماعية موقعا استراتيجيا في علم النفس الاجتماعي، وهذا للأسباب التالية :

- تلعب التصورات الاجتماعية دورا هاما في عملية التفاعل الاجتماعي، لأنها تشكل جزءا من النظام المعرفي والتواصلي للأفراد.
- تعمل التصورات الاجتماعية على إقامة وإبقاء العلاقات الاجتماعية.
- تعتبر التصورات الاجتماعية حلقة وصل بين الفرد وبيئته الاجتماعية، وسنركز في هذا الجزء على عملية تشكل التصورات وبنائها، وهذا من خلال التحليل النفسي والاجتماعي، لأنها ليست دائمة ولا ثابتة، وإنما متغيرة ومرنة تبعا لظروف المجتمع الماضية والحالية والمستقبلية، ولمعرفة كيفية بناء وعمل التصورات الاجتماعية فإننا سنستند إلى ما ذكره "موسكوفيسي" حينما حاول دراسة كيف يتم التعديل في نظرية علمية مثل التحليل النفسي حتى تدخل المجتمع ويتم استهلاكها من قبل مختلف الجماعات الاجتماعية، وبهذه الدراسة أوضح هذا الباحث أن عملية التصور تتضمن " نشاطا تحويليا " للمعرفة، وهذا من خلال سيرورتان رئيسيتان وهما: التوضيع l'objectivation، والترسيخ L'ancrage، وكلاهما يبين كيف تبنى وتعمل التصورات الاجتماعية على أساس أن السيرورة الأولى تهدف إلى الانتقال من العوامل النظرية المجردة إلى الصور الملموسة، أما الثانية فتهدف إلى دمج وتقديم نظام تفكيري متواجد مسبقا. وعليه فإن "موسكوفيسي" يبين كيف أن المجتمع يحول الهدف والمعلومة والحدث إلى تصورات، ومن جهة أخرى الطريقة التي تؤثر بها هذه التصورات على المجتمع[2].

ومن خلال هاتين السيرورتين: التوضيع، والترسيخ، نحاول تهيئة وتوظيف التصورات الاجتماعية بحيث يوضحان الاعتماد المتبادل ما بين النشاط السيكولوجي وظروفه الاجتماعية، وأكد مختلف الباحثين أهمية هاتين السيرورتين لمعرفة عمل وبناء التصورات الاجتماعية مثل:

R. Kaës 1968 , C. Herzlich 1972 , P. Roqueplo 1974 , M. Gilly 1980 , U. Windish 1982 .

1/ Christine Bonardi & Nicolas Roussiau : Les représentations sociales ; état des lieux et perspectives, 2001, op-cit, p. 27.

2/ Denise Jodelet : la psychologie sociale , in Serge Moscovisi : psychologie sociale , 2003, op-cit, p.373.

أ- **التــوضيــع l'Objectivation**[1]: و يعرف "موسكوفيسي" التوضيع على أنه: " الإزاحة التدريجية للمعاني الزائدة عن طريق تجسيدها...، وهي كذلك الانتقال إلى مستوى الملاحظة التي لا هي مستنتجة ولا مرمزة ". إن هذه السيرورة (التو ضيع) تهتم ببناء المعارف المتعلقة بهدف التصورات، أي أنها تقوم على صفات للتفكير الاجتماعي، وهي تعني تجسيد ما هو مجرد[2].

إن التصورات تصبح قابلة للتبدل ما بين الإدراك والمعنى، بحيث تأخذ من الصور مفاهيم مجردة وتعطي تركيبة مادية للأفكار، وتجسيدات لمخططات معنوية. وتعتبر " D. Jodelet " التوضيع عملية تصويرية وبنائية Opération Imageante et Structurante، وهذه الطريقة في العمل تسهل حسب وجهة نظر" جيليون Ghiglione " التواصل، وهو أمر بالغ الأهمية من أجل ربط النسيج الاجتماعي، كما تسهل التواصل عن طريق تفكيك المفاهيم العلمية، وكأن العامة من الناس لا يقبلون بسهولة الرابط بين معارفهم الخاصة والأنماط الأخرى من المعرفة.

وحسب "موسكوفيسي "فإن عملية التوضيع تشتمل حركتين هما: الأولى، والتي تذهب من النظرية إلى الصورة، أما الثانية، فتذهب من الصورة إلى البناء الاجتماعي، ودوما حسب هذا الباحث فإن التصورات الاجتماعية للصحة والمرض مثلا لها علاقة مباشرة بالمعلومات المنتشرة في المجتمع حول هذين الموضوعين، فهذه المعومات يتم انتقاؤها وفقا لنظام القيم والمعايير الثقافية السائدة (مستوى الفهم، المحرمات...الخ)، فلا يحتفظ إلا بما هو مساير للقيم الاجتماعية والدينية، إذ يتم فصل المعلومات العلمية عن إطارها الأصلي الذي تنتمي إليه لتصبح ملكا للعامة من الناس وكأنها جزء من عالمهم الخاص.

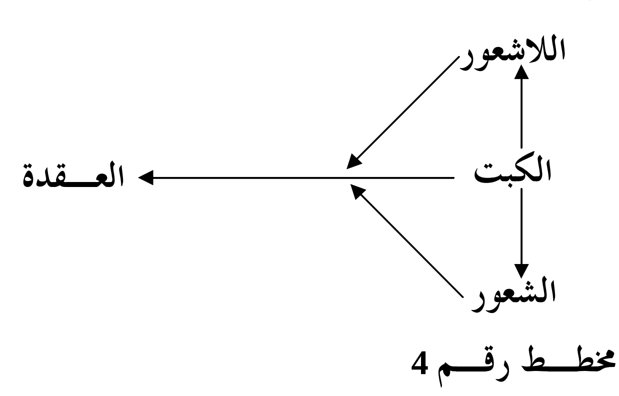
إن سيرورة التوضيع تسمح للأشخاص بالتحكم ودمج الظواهر أو المعارف المعقدة، وهي تظم ثلاث مراحل:

- **المرحلــة الأولى:** تظم ميكانيزمين هما الانتقاء والإزاحة عن الإطار الأصلي لعناصر النظرية Sélection et Decontesctualisation[3]: إن مختلف مكونات الموضوع الجديد يتم فصلها عن إطارها الأصلي وانتقاؤها، فالمعلومات المتداولة حول الموضوع يتم فرزها وفقا لمعايير ثقافية (إذ أن أفراد المجتمع الواحد لا تتوفر لهم بالتساوي فرص الاستعلام حول التحليل النفسي، فمثلا فرص الأطباء والمثقفين تفوق بكثير فرص العمال في هذا المجال)، كما يتم فرزها وفقا لمحكات معيارية، إذ لا يحتفــظ إلا بما

1/ Pascal Moliner : La dynamique des représentations sociales, 2001, op-cit, p. 18.
2/ D. Jodelet : les processus de formation des représentations rendent compte de leur structuration , 1994, op-cit, p. 56.
3/ Denise Jodelet : la psychologie sociale , in Serge Moscovisi : psychologie sociale , 2003 , op-cit, p. 374.

يوافق النظام القيمي للجماعة، فالطابوهات المتعلقة بالقضايا الجنسية أدت إلى إغفال بعض عناصر النظرية التحليلية كالليبيدو رغم أهميته فيها. و باختصار فإنه يتم فصل المفاهيم بعد انتقائها عن إطارها الذي تنتمي إليه ليتم استهلاكها (تملكها) من طرف الناس، فيدخلونها في عالمهم الخاص، وبالتالي يتحكمون فيها.

- **المرحلـــة الثـــانية: المخـــطط الشكــــلي Le schéma Figuratif** : وبعد الميكانزمين السابقين يأتي المخطط الشكلي، وهو مرحلة تكوين النواة الأساسية للتصورات، بحيث تشكل تنسيق يؤدي من جهة إلى تكاثف عناصر المعلومات، ومن جهة أخرى إلى عزل المفاهيم الأكثر تصارعا؛ إن العوامل المختلفة والمستوحاة تأخذ تنظيمها ودمجها بتهيئة مستخرجة، مصورة، ومرتبة، وهذا ما يسمح بالتماس حقيقة مجردة. ذكر (هارزليش 1972) أن المخطط الشكلي للتحليل النفسي من طرف "موسكوفيسي" 1960 مشكل من بعض المفاهيم البسيطة كما في المخطط رقم 4، ومن خلال تلك التنظيمات النفسية والمقترحة كهدف سهل استخراجه، ويتكون من جزئين: الداخلي والخارجي/ الخفي والظاهر، وهذه مدلولات لمصطلحات الشعور واللاشعور، أي أن نظرية التحليل النفسي كما يقول "موسكوفيسي" قد تم اختصارها إلى مجرد عناصر مادية لها علاقات ملموسة، فالشعور الذي يشير إلى الإرادة والظهور يتعارض مـــع اللاشعور الذي يشـــير إلى اللاإرادة والخفـــاء، وهذا التعارض يتم تكثيفـــه في عمليـــة الكبـــت Le refoulement، والتي تترتب عنها العقد النفسية(1).



مخطـــط رقـــم 4

وهكذا أصبحت الديناميات النفسية عقدا تشبه التشوهات الجسدية الملموسة، وأصبح المحلل النفساني بإمكانه إزالة تلك العقد كما يزيل الجراح والأورام.

- **المرحلـــة الثـــالثـــة:** وهي مرحلة عوامل النواة الشكلية، عندما يدخل مخطط شكلي لموضوع ما في المجتمع وينتشر بداخله فإنه يصبح (التصور) من البديهيات، فهو ليس مجرد نسخـــة عن الموضـــوع، بل

1/ Serge Moscovisi : psychologie sociale, 2003, op-cit, p. 347.

نظرية قائمة بذاتها. إن عوامل النواة الشكلية تصبح عوامل للوقائع بواسطة سيرورة التطبيع، وبهذا الانتقال نحصل على اختيار للظواهر المعقدة حيث الوظيفة تكون مدججة بالعوامل المستخرجة للنظرية القاعدية، والموضوع (الفرد) يستقبل حسب ما يعتقد حول نفسه وبشكل لاشعوري، لأن الكبت موجود مسبقا ومكثف لإنتاج العقد.

هذا التحول من صورة بسيطة للموضوع إلى حقيقة له يجعل منها موجها لادراكاتنا، أحكامنا، وسلوكياتنا، فالمصطلحات مثل الكبت والعقد النفسية تصبح مصطلحات مجسدة في الواقع وتدخل حتى في اللغة المتداولة بين الناس كقولهم مثلا: " إن فلان خجول لأنه يعاني من عقدة الخجل "، رغم أن "فرويد" لم يشر مطلقا إلى هذه العقدة، وهكذا تستخدم هذه العبارات التجسيدية في تصنيف الأفراد والسلوكيات. ولقد أشارت" Herzlich " إلى نفس الظاهرة السابقة عند دراستها للتصورات الاجتماعية للصحة والمرض، والتي تبنى عادة بعيدا عن المعرفة الطبية، إذ وجدت مخططا شكليا ذا قطبين به الأزواج المتعارضة التالية: الفرد / الصحة، والمجتمع / المرض. وتتدخل هذه النواة الشكلية في تنظيم التصورات الاجتماعية حول منشأ الأمراض والسلوكيات المفضية إلى المرض، وتستطرد "هرزليش" بقولها إن مختلف الهجومات التي يتسبب فيها أسلوب الحياة كمصدر من مصادر المرض يتم اختصارها في معنى واحد، وهو معوقات المجتمع وأثرها على الفرد السليم، كما يتم جمع المضار كلها في كلمة " تسمم intoxication " والتي تدرك بعد ذلك كحقيقة ملموسة[1].

بينما " أبريك" و"موسكوفيسي" كانا لهما رأيان مختلفان، حيث أن "أبريك" (1976- 1994) استرجع جزء من التحليل النفسي لموسكوفيسي حول النواة الشكلية، وطور نظرية النواة المركزية، وسوف نذكر أهم العناصر ومن بينها : أن " موسكوفيسي" يعتبر أن للنواة المركزية دور وراثي؛ أما " أبريك" فيعتبر أن العوامل المركزية تنظم وتعطي دلالات للتصورات، وكذلك نفس الشيء بالتوالي ومع هذه الطريقة يمكن أن يستوعب محتوى التصورات، وعليه نستنتج اتجاهين: إما أنها تعالج حقل بنيوي كما يرى " موسكوفيسي" أو تعالج كنواة بنيوية للتصورات كما يرى "أبريك"، ولكن لابد من تكامل هذان الاتجاهين من أجل بحث منهجي ثري ومختلف[2]. ويبدو أن المراحل السالف ذكرها حول منشأ سيرورة التوضيع قابلة للتعميم على كل التصورات، فقد أشار "روكبلو Roqueplo " أن عملية التبسيط العلمي " La vulgarisation scientifique " تتبع كعملية نفس مراحل التوضيع، والشيء نفسه

1/ Serge Moscovisi : psychologie sociale, 2003, op-cit, p. 369.
2/ Serge Moscovisi : psychologie sociale, 2003, op-cit, p. 370.

يمكن أن نقوله عن التفكير الاجتماعي الذي يميل إلى تبسيط الظواهر على هذه الشاكلة، وهو قريب مما اسماه" بياجيه Piaget " التفكير المتمركز اجتماعيا La pensée socio- centrique.

ونستخلص من مجمل العناصر السابقة التي تدخل في عملية التوضيع، أنها عبارة عن معلومات منتقاة مرتبة ومستقلة تساهم في عملية البناء الاجتماعي للواقع، ومنه يستخرج كل فرد تصوره للأحداث والأشياء دون أن يكون في تفرده هذا متعارضا مع الواقع الاجتماعي.

بعد هذه العملية التصويرية والبنائية التي أدت إلى بناء النواة الشكلية، ننتقل إلى الآلية الثانية في عملية بناء التصورات الاجتماعية وهي:

ب- الترسيخ :L'ancrage ومن أكثر التعاريف تداولا لهذه العملية، ما أشارت إلى أنها تعني إدراج عناصر جديدة في تفكير قائم. إن سيرورة الترسيخ تشير إلى النماذج المدمجة في التصورات ضمن المجال الاجتماعي والتحولات التي تحدث فيه، وأيضا إلى الطريقة التي يجد بها الموضوع الجديد مكانا له في النظام الفكري السابق للأفراد، أو بعبارة أخرى كيف يدمج موضوعا جديدا، أو غير معروف من قبل ؟[1]، وكيف يخدم الترسيخ التصورات الاجتماعية ؟.

- بواسطة الترسيخ تشكل التصورات نظام المعاني: وهذا يعني أنه في حالة التحليل النفسي مثلا، توجد شبكة من المعاني التي هي صفتها، لكنها نتجت عن نظام قيمي راسخ في المجتمع ومختلف الجماعات، كذلك "موسكوفيسي " كتب كيف أن التحليل النفسي يفرض بعض المعايير الاجتماعية أو المسارات الفكرية (فلسفية كانت، أو دينية...)، هذه الرؤية ترجع إلى معاني خاصة وتعتبر كحدث اجتماعي. إن التحليل النفسي موجود ومقدر ومعترف به عند الجماعات - لكن درجة تموقعه تختلف- ويتموقع التطبيق التحليلي في الإدراك السياسي (الوعي) أو العلمي، بحيث يميل أو ينسب إلى مستعملين آخرين، مثال الأشخاص الأغنياء في بداية الأمر، ثم المثقفين، وهكذا دواليك، فهي متعلقة بالتأكيد بنظام للقيم والأفكار الملتحمة مع تلك الجماعة[2]. وأشار "موسكوفيسي" أن الموضوع الجديد يفسر في كل مرة وفقا لفلسفة الحركة الفكرية والإيديولوجية السائدة في تلك الفترة وفي ذلك المجتمع، فتصورات الكاثوليك والشيوعيين[3] متباينة، لأن كل منهما يعيد بناء الموضوع انطلاقا من مواقف إيديولوجية خاصة به، وكذلك نفس الشيء بالنسبة لنظرية التحليل النفسي، حيث وصل الأمر إلى الحديث عن تحليل فرنسي، وآخر نمساوي...، وبالتالي ما كان شائعا لم يعد علما، ولكن صفة تنعت بها بعض

1/ Serge Moscovisi :psychologie sociale ,2003,op-cit,p. 377.

2/ Denise Jodelet : représentations sociales : phénomène,concept et théorie ,in S.Moscovisi :psychologie sociale,paris, 2003,op-cit,p. 372.

3/ Petard.J.P et al : psychologie sociale,1999,op-cit,p. 161.

الجماعات (كالأغنيـــاء، المثقفـــين، النساء...)، وهذه الصفة تعبر عن علاقات تصادمية أحيانا بين تلك الجماعات (كالصراع الطبقي، الجنسي: أمريكي، فرنسي...)، وهكذا أصبح للمفهوم الواحد شبكة من المعاني Réseau de signification [1].

- بواسطة الترسيخ تصبح التصورات نظام للتأويل: إن عملية إدماج موضوع جديد في نظام قيمي قائم لا تحدث دائما بدون صرا عات أو اصطدامات، لأن الجديد يزعج أحيانا النظام القائم، لذلك شرعت بعض الجماعات بالتهديد عند ظهور التحليل النفسي، لأنه يهدد بقلب القيم والأطر المعيارية المعتادة، وبالتواصل مع سيرورة التوضيع فإن الترسيخ يضفي قيمة ووظيفة للتصورات وهدفها، وحسب " D. Jodelet " فإنه يمكن اعتبار الترسيخ مساو لما أسمته باستعمال المعرفة L'instrument alisation du savoir، ففي التحليل النفسي وحسب "موسكوفيسي" فإن العلم تحول إلى معرفة تقدم منفعة للجميع، ثم تتحول أيضا إلى نظام تأويلي وتفسيري (أساسه هو المخطط الشكلي)، ويعتبر كأداة لمعرفة أنفسنا والآخرين في محيطنا[2] وتفسير سلوكهم، فذلك يرى في احمرار وجه فلان عقدة الخجل، وآخر يرى أن عدوانية مرؤوسيه تعود لكونه يمثل صورة الأب بالنسبة لهم...الخ، أي أن هذا النظام التأويلي (عن طريق الترسيخ) يكون وسيط ما بين الأفراد ومحيطهم، وينتج من ذلك اقتراح فهارس أو نماذج تصنف تلك السلوكات وترتب الأحداث. وهكذا يظهر لنا جليا كيف أن العلم قد أصبح له ميادين عدة، واستعمالات بموجبها أصبح لدينا نظام تفسيري Système d'interprétation لتصنيف السلوكات.

- الترسيخ يدرج التصورات ضمن أنظمة تفكير متقدمة مسبقا: ونعني بهذا التقرير المتواجد ما بين التصورات المسبقة وما بين الموضوع الجديد، واللذان يتقابلان أو يتواجهان، وهذا التقرير يجسد منبع يعطي (يمنح) التصورات صفات تعريفية، مثلما عرفت عند "موسكوفيسي" بالأطوار المعرفية La polyphasie cognitive، ومن وجهة نظر أخرى فإن صفة الإنشاء في التصورات والاستحداث يسمح بتشكيل مساعدة جادة لدمج الموضوع الجديد، نفس الشيء بالنسبة للتحليل النفسي ونظرية التصورات الاجتماعية، لأنها متعارضة مع أنظمة تفكيرية أخرى، وإطارات تأويلية تفضل التحويل، كما لاحظت "جودليت 1984" حينما قارنت عند بعض الأشخاص نظرية التحليل النفسي بالاعتراف (في التحولات)، ثم شّوه التحليل النفسي بعد إدخاله في التفكير السائد. ومن وجهة نظر أخرى فإن إدماج الموضوع الجديد الذي يتزامن مع الترسيخ يمنح نقاط خاصة لتغليب الأطر التفكيرية القديمة. وعليه فإن الترسيخ يعتبر ميكانيزم للتقريب ما بين العناصر المستحدثة والعناصر المعروفة مسبقـــا، ثم بعدها توضع نماذج لترتيب السلوكـــات، حيث

1/ Serge Moscovisi : psychologie sociale, 2003, op-cit, p. 372.
2/ Serge Moscovisi : psychologie sociale ,2003, op-cit, p. 379.

تقول "جودليت": " إن نظام التصورات الاجتماعية يحدث الأطر والمراجع التي من خلالها يمكن للترسيخ أن يرتب في المألوف ويشرح بطريقة مألوفة "، أي يصبح الموضوع الجديد مألوفا ومعتادا عليه [1].

2-14/ بنيـــــة الـــتصـــورات الاجتـــمـــاعيـــــة:

خلال الثمانينات 1980[2]، ساد انشغال عظيم للباحثين في العلوم الاجتماعية، حيث كان منصبا حول دراسة بنية وتكوين التصورات الاجتماعية، والتي جلبت اهتماما كبيرا بسبب ما تحتويه من غموض حول العناصر المكونة لها. لأن تلك العناصر هي ضرورية لتكوين وحفظ التصورات، هذا من جهة، ومن جهة أخرى لأن هذه التصورات إنما تمنح للأفراد استقلالية في وضعيا تهم المختلفة، بحيث يجب النظر للتصورات على أساس أنها أنظمة معرفية هرمية مبنية في قاعدتها على بعدين أساسين: الأول مركزي والثاني محيطي L'une centrale et l'autre périphérique [3]، وعليه فإن تحديد ما يكون صلب التصورات هو إذن مهم جدا، بحيث أن كلا البعدين يعرف بالآخر، " Moliner . F. C. 1994 ".

أ- مركزيـــة التصـــورات، نـــواة أو منطقـــة أو نظـــام ؟[4]: من المصطلحات التي كانت جد شائعة هي تلك التي كانت أكثر قدما وتكرارا والمسماة بالنواة المركزي (Abric1987, Flament1989 & Moliner1989)، لكنها بقية تدور حول منطقة مركزية، ثم جاء بعدها مصطلح النظام المركزي (Abric1994)، إن هذه التسميات ليست حيادية لأنها عبرت عن تجسيدات معرفية، واجتماعية- معرفية للعوامل التي تميزت كمركزيات في التصورات، والتي كانت منطبقة مع تلك التسميات، وحينما سميت بهذا النظام وحدت عدة عوامل نموذجية متفاعلة فيما بينها ومع محيطها. وكذلك فإن: " تحليل النظام يسمح في إطار نموذج تفسيري وبدائي مكيف، أن يكتب ويحتفظ بوظيفته انطلاقا من وصف شامل لمعطيات العوامل وتفاعلها البنيوي..."[5]. و حسب " Guimelli " 1994، فإن مركز التصورات يحتوي على بعد وظيفي، بحيث يبن دوما أن هذا المركز هو الشيء الأحسن والأفضل للتصورات. كما أن هدف الدراسة لدينامية التصورات تسمح بالتنبؤ بوظائفها والتحولات الممكن أن تطرأ عليها، ولأن الثبات محتم في هذا النظام، فإن أحسن تسمية تكون "النواة المركزية"، بحيث أن هذا المصطلح يمثل تقييدا

1/ Serge Moscovisi : psychologie sociale, 2003, op-cit, p. 376.

2/ Christine Bonardi & Nicolas Roussiau : Les représentations sociales ; état des lieux et perspectives, 2001, op-cit, p.119.

3/ (محيطي: Périphèrique) أي متعلق بمحيط خارجي لواقع بعيد عن المركز، د. سهيل إدريس: المنهل، قاموس فرنسي/عربي، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، طـ 33، 2004، ص896.

4/ Christine Bonardi & Nicolas Roussiau : Les représentations sociales ; état des lieux et perspectives, 2001, op-cit, p. 119.

5/ Gervet .J : Système théoriegénérale des …, in le grande dictionnaire de la psychologie, paris, Larousse, 1991,p. 772 .

وثباتا لبقية المصطلحات السابقة، ويعتبر أفضل مصطلح لدراسة بنية وديناميةة التصورات [1].

-النـــواة المـــركزيـــة Le noyau centrale: لقد أكدت الكثير من الدراسات التجريبية صحة افتراض " أبريك " من أن كل تصور ينتظم حول نواة مركزية، يكون عادة عدد عناصرها قليل. وحسب هذا الباحث فإن التصور هو: "مجموعة منظمة حول النواة المركزية مكونة من عناصر تعطي معنى وتوضيح لهذه التصورات، فالنواة المركزية هي العنصر الأساسي للتصورات، فهي تسمح بدراسة مقارنة للتصورات الاجتماعية"[2]. أي أن النواة المركزية لها علاقة من جهة بطبيعة هدف التصورات، ومن جهة أخرى بعلاقة ما بين الموضوع (الفرد) المتدخل أو المقابل لهذا الهدف[3]، رغم أن عدد من الكتاب وافقوا على ديمومة وثبات المركزية واعتبروها: "...أنظمة لقيم ومعايير اجتماعية، التي تؤلف المحيط الإيديولوجي للزمن الحالي وللمجموعة..."[4].

- وظـــائـــف و دور النـــواة الـــمركزيـــة [5]: إن من أهم وظائف النواة المركزية، أنهـــا تســـمح بإعطاء معنى وترابط للتصورات، وعلى العموم هناك وظيفتين أساسيتين للنواة المركزية وهما :

* الوظيفـــة الإنتـــاجيـــة (المولدة) La Fonction génératrice: ويعرفها " أبريك " بأنها : " العنصر الذي بواسطته تنشأ أو تتحول به معاني العناصر الأخرى المكونة للتصورات "[6]. أي أن بقية العناصر المكونة للتصور إنما تنشأ وتتحول بواسطة هذه الوظيفة للنواة المركزية. و هناك أمثلة كثيرة توضح لنا وبشكل جلي أن هذه الوظيفة إنما هي إنتاجية (إنشائية)، وأبرز مثال لأبريك حينما عرض على جملة من الأفراد محاولة تذكر بعض الكلمات المتداعية حول الحرفيّين أو الصنّاع وشرط أربعة شروط تجريبية ...

* الوظيفـــة التنظيـــميـــة La fonction organisatrice : وهي التي تحدد طبيعة الارتباط بين عناصر التصورات، وتحافظ على معناها، وعليه فإن هاتان الوظيفتان إنما تشكلان جملة العناصر المكونة للتصورات، وهي الأكثر ثباتا و ارتباطا. وبالتوالي مع "أبريك" فإن عددا من الباحثين أمثال " Moliner & Bonardi & Aissani" أثبتوا وتحققوا من صدق وموضوعية هذه الوظائف للنواة المركزية. بالإضافة إلى هذا فإنها تسمح بالمقارنة بين التصورات، فإذا ما كانت مختلفة فإنما هذا دليل على اختلاف جوهري

1/ Christine Bonardi & Nicolas Roussiau : Les représentations sociales ; état des lieux et perspectives, 2001, op-cit, p.120.

2/ سليمان بومدين :التصورات الاجتماعية للصحة والمرض في الجزائر، 2003، ص31 .

3/ J.C.Abric : l'étude expérimentale des représentations sociales, paris © presses universitaire de France,1989, p.197 .

4/ J.C.Abric : pratique sociale et représentations, paris © presses universitaire de France,1994, p. 23.

5/ Christine Bonardi & Nicolas Roussiau : Les représentations sociales ; état des lieux et perspectives, 2001, op-cit, p.122.

6/ J.C.Abric : pratique sociale et représentations, 1994, op-cit , p.22.

في النواة المركزية. إن لهاته الأخيرة بعدين هما: بعد كمي وبعد كيفي، بمعنى أن المركزية لا تعرف بالظهور المكثف لذلك العنصر، بل بمدى تسلسل وترابط العنصر بالنواة، وهذا ما يعطي المعنى الحقيقي للتصور. ولقد أكد كل من " Rouquette et Guimelli " في 1992، أن هذا الظهور والتكرار المكثف لعنصر ليس معيارا نحدد به المركزية، وكلاهما (الباحثان) يعتبران أن التواجد الكمي والكيفي لعنصر هو الذي يحدد مركزيته أو محيطيته. إن النواة المركزية تتكون من عنصر أو مجموعة من العناصر يشكلون وضعية منظمة داخل بيئة التصور، لذا فإن هذه العناصر لها دور في إعطاء معنى معين، والنواة المركزية يمكن تحديدها من خلال طبيعة موضوع التصور، وكذا من خلال العلاقة التي تربط الفرد بهذا الموضوع، وأيضا من خلال القيم والمعايير الاجتماعية (كما سبق ذكر ذلك) التي تشكل الوسط الإيديولوجي لهذا الموضوع، وعليه فإن النواة المركزية تحتوي على بعدين[1]:

* بعـــد وظيفـــي: و يمكن أن نجده في الوضعيات التي تأخذ الطابع العملي، حيث نجد أن النواة المركزية تتدخل بصورة واضحة لإنجاز نشاط أو عمل معين، وهي تمثل العنصر المهم والأكثر تفصيلا، و هو ذو فعالية في إنجاز هذا النشاط.

* بعـــد معيـــاري: يتعلق بكل الوضعيات التي تتدخل فيها الأبعاد الاجتماعية، العاطفية، والإيديولوجية، حيث يكوّن هذا النوع من الوضعيات بعض المعايير والمواقف والملاحظة في موضوع مركز التصورات.

ب- الـــنظـــام الـــمحيـــطي Le système périphérique [2]: إن النظام المحيطي هو النظام المكمل والضروري للنواة المركزية، كما أنها لا تقل أهمية عنها وتمتاز هذه العناصر بكونها ذات نمط تسلسلي حيث تكون هذه العناصر المحيطية أكثر أو أقل قربا من العناصر المركزية القريبة من النواة، لهذا فإن لها الدور المهم في إعطاء الجانب المادي لمعنى التصور، وكذا في توضيح هذا المعنى .

إن العوامل المحيطية على علاقة أو اتصال مباشر بالنواة المركزية، وهي تحدد محتوى التصورات، حيث تمثل الجزء الأكثر فهما ووضوحا والأكثر حيوية وتجسيدا، والعوامل المحيطية تجسد معلومات متكررة ومترجمة لأحكام شكلية يقترحها الموضوع ومحيطه. وهناك ثلاث وظائف رئيسية للنظام المحيطي[3]:

*وظيفـــة التحســـيس (التجسيد) la fonction de concrétisation: إن النظام المحيطي يجســـد النظـــام المركزي في شكل سلوكيات ومواقف، لأنه أكثر حساسية لخصوصيات الظرف والموقف الآني، كما

1/ J.C.Abric : pratique sociale et représentations,1994, op-cit, p.23.
2/ J.C.Abric :pratique sociale et représentations,1994, op-cit , pp. 24-25.
3/ Petard.J.P et al : psychologie sociale,1999, op-cit,p. 174.

يشكل هذا النظام الواسطة interface (التقاء) بين الواقع الملموس والنواة المركزية، فهو في غالب الأحيان الوجه الظاهر من التصورات، بحيث يمكننا الوصول إليه من خلال ملاحظة الأفراد أو مقابلتهم.

*وظيفـــة التكيـــف مع التغـــير la fonction d'adaptation du changement : ونظرا لمرونتها، فإن العناصر المحيطية تؤدي وظيفة تكييف التصورات الاجتماعية مع المعوقات وتغيرات المواقف الملموسة التي تواجهها الجماعة، فإذا ظهرت هناك عناصر جديدة مثلا أو معلومات تعيد النظر في النواة المركزية للتصور، فإن النظام المحيطي يكون الأول في إدماج هذه العناصر الجديدة، ليسمح للتصورات بالتكيف مع الحفاظ على معناها المركزي، وعليه يمكن القول أن هذا النظام يلعب دور الواقية pare-choc للتصورات الاجتماعية.

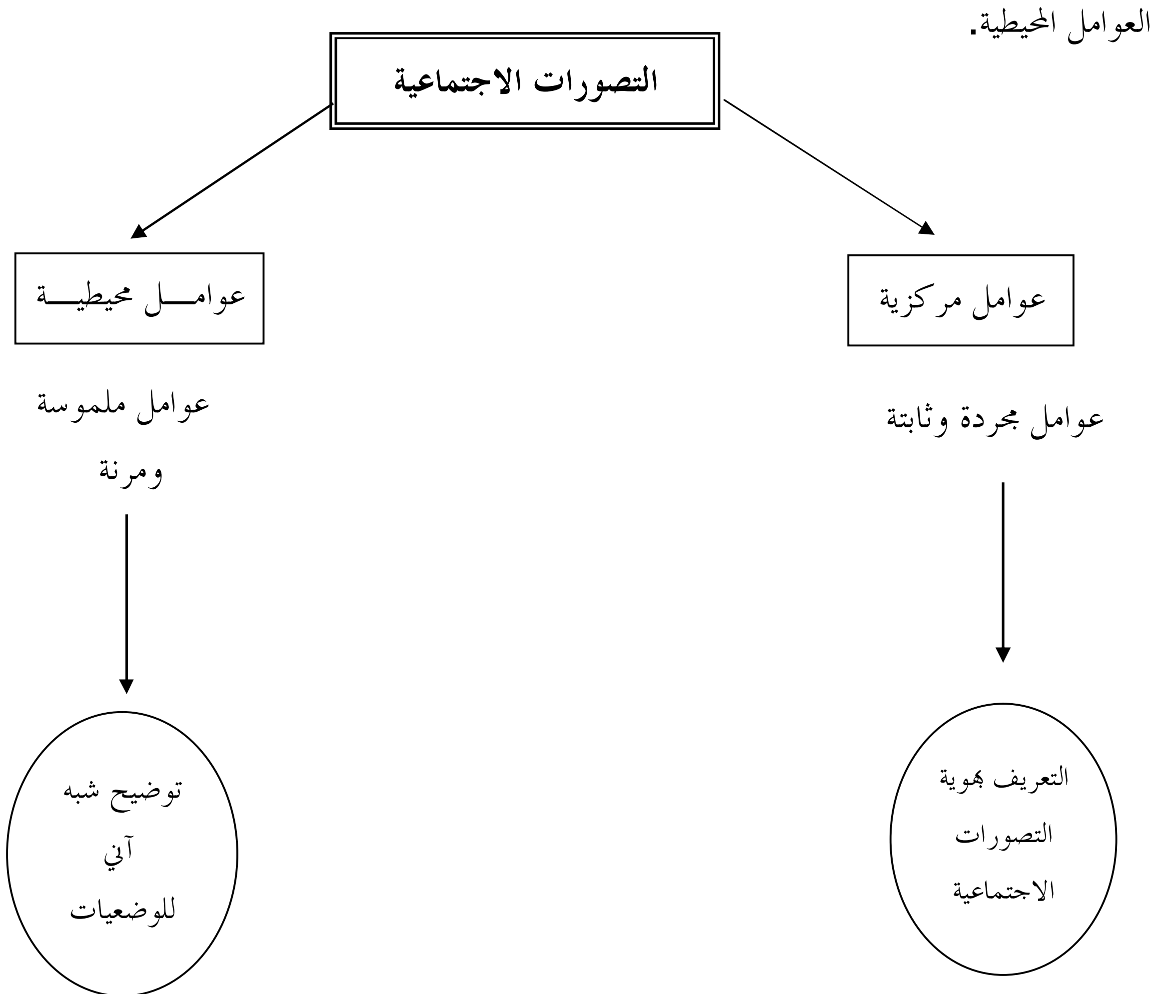
*وظيفـــة التفـــرد la fonction d'individuation: وهذه الوظيفة تسمح بشيء من التخصص الفردي للتصورات، فمرونة هذا النظام تسمح بإجراء تغييرات أو تعديلات فردية، قد تكون لها علاقة بتاريخ ذلك الفرد أو بخبرته الذاتية أو معايشته للأحداث، فإذا كان هناك إجماع حول النواة المركزية فإن التصورات الاجتماعية تقبل بوجود فروق بين الأفراد حول النظام المحيطي، ويضرب لنا "Guimelli" مثالا عن دراسة أجراها حول تصورات الصيادين للصيد، والذي اعتبره البعض نشاطا يتم على انفراد في حين اعتبره البعض الآخر وسيلة للالتقاء بالأصدقاء و في هذا اختلاف، لكنه اختلاف محيطي لأنه لا ينفي أبدا عنصر الإجماع المركزي للتصور وهو تسيير الإقليم " La gestion du territoire "[(1)].

نستخلص مما سبق أن التصورات الاجتماعية تتشكل من نواة مركزية وعناصر محيطية يعملان ككيان واحد، بحيث يقوم كل جزء بعمل محدد، ولكنه متكامل مع الجزء الآخر. إن هذا النظام المزدوج هو الذي يوضح لنا ما يبدو لأول وهلة وكأنه تناقض، فالتصورات تبدو لنا ثابتة / متحركة، وجامدة/ مرنة في آن واحد، فهي جامدة ومستقرة لأنها محددة بنواة مركزية متغلغلة بعمق في نظام قيم الجماعة، مرنة ومتحركة لأنها تتغذى من الخبرات الفردية.

وعلى هذا الأساس يتضح من التعريفات النفسية والاجتماعية السابقة أن مفهوم التصور يقع على حدود عدد من العلوم الاجتماعية، الأمر الذي أدى إلى تعدد المقاربات والتعريفات التي تناولته، ولقد حاولنا فيما سبق إعطاء جملة من التعريفات التي تحدد مكونات هذا المفهوم ووظائفه، وذلك بهدف رفع اللبس و الغمـــوض الذي يعتريه، ولتحقيق هذا الغرض تنطلق دراستنـــا الراهنة من تعريف مؤداه أن

1/ Petard.J.P et al : psychologie sociale,1999, op-cit, p. 175.

التصورات الاجتماعية هي:" جملة المعارف، والمواقف والسلوكات المتعلقة بالعنف الرمزي والكتابات الجدارية بالخصوص والتي ترتبط بالقيم والمعتقدات والسلوكات الخاصة بكل جماعة، لكنها (هذه التصورات) إنما تمثل نظرة موحدة لهذا الموضوع من حيث النواة المركزية واختلاف آخر من حيث العوامل المحيطية.



مخطط رقم 05 لمفهـــوم النظـــام المركـــزي والنظام المحيـــطي

15-2/ الأوجـــه المنهجيـــة لعمليـــة جمـــع وتحليـــل المعلومات في التصورات الإجتماعيـــة:

إن عملية جمع وتحليل التصورات الاجتماعية ترتكز على تشكيلة نوعية لجملة من التقنيات، وهي تمثل (العملية) إشكالا كبيرا لدى الباحثين في هذا الميدان، بحيث يطرح أمامنا سؤال مركزي وهو: ما هي الطريقة والأداة اللازم استخدامها في عملية جمع وتحليل المعلومات حول التصورات الاجتماعية؟، وعليه فإننا سنحاول في هذا الجزء التطرق إلى مجموعة من هذه النماذج المنهجية، مع ذكر أهدافها وصفاتها الرئيسية وكيفية تطبيقها. إن اختيار جهة معينة لجمع وتحليل المعلومات يحدد وبشكل أساسي النظرية التي يستخدمها الباحث في ذلك، وهذه الأخيرة تخضع إلى التفسير والترجمة، التأويل. ولأن دراسة التصورات هي معقدة ولكنها ضرورية، فإن الباحث وقبل اختيار التقنية والطريقة اللازمة يستوجب عليه تحديد محتوى البحث وجمع العناصر المكونة للتصورات، وكذا فهم تنظيم هذه العوامل وإعطاء هوية للنواة المركزية والمحيطية، وتوجد هناك عدة طرق لجمع التصورات لكن "Abric " ميز بين طرق لجمع المعلومات وهما: الطرق الإستفهامية والطرق المتداعية.

1/ الطـــرق الاستفهـــاميـــة les méthodes interrogatives: وهي تقوم على جمع التعبيرات للأفراد المعنيين(العينة) بهدف دراسة التصورات، وقد تكون (هذه التعبيرات) لفظية أو صورية وإن كانت اللفظية من التقنيات الأكثر شيوعا وعليه:

أ- الطريقـــة اللفظيـــة: وتظم المقابلة والاستمارة، وكلاهما يجسد أولى القواعد المنهجية.

- المقـــابلـــة l'entretien : وهي تقنية تقليدية استعملت من طرف الباحثين من نوع "نصف موجهة " تدعو الفرد المسؤول للشرح وبعفوية ما بداخله في إطار محتوى البحث. وهي عبارة عن أسئلة شفهية أو حديث، بحيث أن التصورات تحدث وتظهر من خلاله، وهذا ما يسمح بالوصول إلى محتوى التصورات، ولكن المقابلة تعكس جانبا من ذاتية الباحث في توجيه الفرد، لذلك فالباحث مطالب باستخدام تقنيات أخرى مكملة من أجل الإلمام بكل المعطيات اللازمة للبحث، كما تعتبر المقابلة طريقة للجمع الكيفي للمعلومات.

- الإستمـــارة Lequestionnaire: أو الاستبيان، وهي التقنية الأكثر استخداما في دراسة التصورات من أجل الجمع الكمّي للمعلومات. فرغم الانتقادات والحدود المعرفية، فإن هذه التقنية تسمح بجمع محتوى هذه التصورات. و نستعين بتنظيم الإجابات في توضيح العوامل العامة التي تنظم التصورات. وعليه فإننا في مسيرة دراسة التصورات نحاول وضع عدد من الأسئلة التي تخدم محتوى البحث ونطلب من الأفراد الإجابة عنها، غير أن هذه التقنية نقدت كثيرا بسبب محدوديتها واعتبرت غير كافية لإبراز أبعاد التصورات حول موضوع ما، لذلك لا بد أن تدعم بتقنيات أخرى.

ب- **الصـــوريـــة les méthodes figuratives et graphiques**: تقوم على التعبير الشفهي"orale" للأفراد انطلاقا من صور أو رسومات، وهي تستخدم في حالة عدم مقدرة الأفراد على التعبير التلقـــائي واللفظي وتضم:

- الألـــواح (الصفائح) الإستقـــرائيـــة: إن استخدام هذه الصفائح الاستقرائية هو مستوحى من المقاربات والطرق الاسقاطية (الروائز) في علم النفس، وهذه الألواح هي رسومات منجزة من طرف الباحث، ويقدمها إلى المواضيع (الأشخاص)، حيث يطلب منهم بعد ذلك شرحها بمطلق الحرية، ماذا يشاهدون ؟ وما تعليقهم على ذلك الموضوع...؟

- رسومـــات ودعائـــم خطيـــة : وهذه التقنية تمر بثلاث مراحل وهي:

1- إنتاج رسم أو مجموعة من الرسومات.

2- تعبيرات لفظية للأشخاص حول هذه الرسومات.

3- تحليل معمم لعوامل الرسم.

2 / الطـــرق المتداعيـــة les méthodes associatives: وتهتم بجمع التعبيرات لكن باستخدام عدة تقنيات من بينها:

- التداعـــي الـــحر l'association libre: إن هذه التقنية قد سبق استخدامها من طرف باحثي التحليل النفسي بحيث يعتبرون جملة الكلمات المتداعية إنما هي من صلب اللاشعور للفرد. وطريقة التداعي الحر في التصورات الاجتماعية تقوم على كلمة متداعية، وانطلاقا منها يطلب من الأفراد (العينة) إنتاج كلمة أخرى أو جملة من الكلمات (سواء كانت اسمية أو نعتية)، أو التعبيرات التي تأتي إلى الذهن، وهي تتميز بالعفوية والسرعة، وهذه الميزة تسمح للباحث بالتعرف على العوامل الضمنية أو الخفية حول تصور ذلك الموضوع، وبهذه الطريقة يتمكن الباحث من الوصول إلى مضمون التصورات. وتعتبر هذه التقنية كقاعدة لبقية التقنيات الأخرى كبطاقة التداعي وتشكيل ثنائية الكلمات أو التقييم الزوجي (الإزدواجي)...

- بطاقة التداعي la carte associative: وهي تقنية جديدة مستوحاة من البطاقة الذهنية " H.Jaoui 1979 "، وتأتي في المرحلة الثانية بعد التداعي الحر، أي بعد جملة الكلمات أو التعبيرات المتداعية من طرف الفرد، حيث نعيد ونطلب منه مجموعة أخرى من التداعيات انطلاقا من كلمات ثنائية: كلمة التداعي والكلمة المنتجة، وهكذا ينتج الفرد تداعيات ثنائية، وبعدها وفي كل ثلاثية تتداعى كلمة جديدة حتى نحصل على سلسلة مكونة من أربعة عناصر، مثال إذا كانت الكلمة المتداعية هي " وظيفة التمريض > علاج" و "وظيفة تمريض > إصغاء "...الخ (Abric1994).

وبعده إذا كانت الثنائية: " وظيفة تمريض >إصغاء " تداعت عنها "إمكانية"، " تكوين"، نطلب مـــن الفرد إنشاء ثالث تداعي خاص بكل مجموعة، وبالتالي نحصل على سلاسل مكونة من 4 عناصر:

* "وظيفة تمريض > إصغاء > إمكانية > التحكم في النفس ".

* "وظيفة تمريض > إصغاء > إمكانية > علم النفس "...الخ، وعليه فإن هذه التقنية تسمح باستخراج محتوى ودلالة التصورات بفضل المحتوى الدلالي.

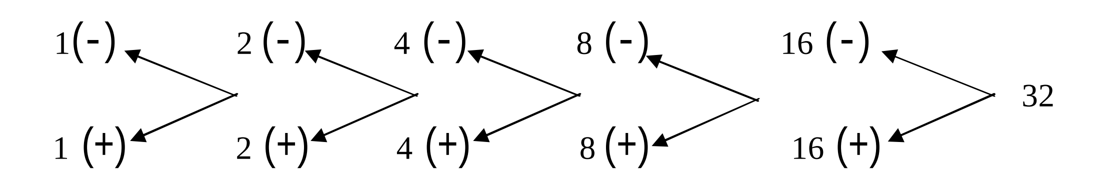
- الكلمـــات الثنائيـــة: انطلاقا من عنصر الكلمات المنتجة من طرف الشخص عن طريق التداعي الحر، نطلب منه تشكيل ثنائيات للكلمات التي هي أقرب إلى التشابه، وهذه الكلمة يمكن أن تكون مختارة أكثر من مرة، هذا الذي يسمح باستخراج كلمات يحتمل أن تكون ازدواجية (زوجية) وهي بدورها قد تنظم التصورات؛ وهذه التقنية تكمّل بالمقابلة حيث عند كل كلمة ثنائية نطلب من الشخص الانطلاقة المستعملة من طرف المتداعيين، وهكذا نحصل على معلومة وعلى نوع العلاقة (معنى قريب، مضاد...)، وبواسطة هذه التقنية فإنه من الممكن توضيح النواة المركزية للتصورات.

- التقديـــر الـــمزدوج: بعد جمع المعلومات المحصل عليها من خلال التداعي الحر نقترح على الفرد تشكيل الازدواجيات الممكنة حسب الصيغة: ن = (ن- 1) / 2 بحيث يجب وضعها على سلم 5 درجات للتماثل مابين المصطلحين، وهذا التقدير الازدواجي يسمح باستخراج مجال التصورات ويعالج بالتحليل العاملي في سجلات وقوالب متماثلة، إنها تحدث وكما يبدو طبقية العوامل (le Bouedec 1984). وهي تسمح بالوصول إلى تركيبة أو شبكة بدائية، وهكذا يمكننا القول عنها إنها أساسية للتصورات.

- تكـــوين مجموعـــة الكلمـــات: هذه التقنية مستخدمة من طرف علم النفس اللغوي، وهي تقوم باقتراح على الفرد جمع المواضيع في علبة (منتج من طرف أو مقترحة عليه)، ونجمع أو نقرن الكلمات التي تكون جد متماثلة، ثم نتساءل بعدها عن الغاية من هذا التجمع. كذلك نستطيع أن نطلب منه إعطاء عنوان لكل علبة (قالب) أو يربط بواسطة سهم في كل قالب للمواضيع الكلمات الأكثر علاقة، ثم نتساءل من جديد على طبيعة وغاية العلاقات.

- التصنيـــف الطبـــقي المتتابـــع: يعتبر ".J. C .ABRIC " هو الذي هيأ هذه التقنية من حيث الصدق وحاول إثباتها، وبدلا من الشرح فإننا نفضل وصفة مباشرة: هدف التقنية حيث يقوم بادئ ذي بدء بجمع جملة من التداعيات المرتبطة بهدف التصورات المدروسة، ونهيأ كذلك للمجموعة المعطاة جملة من المواضيع، وبواسطتها سوف نحتفظ بالمواضيع المنتجة والأكثر تكرارا، ونأخذ بالاهتمام اختيار عدد مهم من المواضيع (على العموم 32) بطريقة وضع عنصر جد واسع يفهم به مواضيع قد تكون متكررة.

وهذه القائمة هي إذن مقترحة في المرحلة الثانية للفرد تحت شكل 32 ملف مجسد < 32 موضوع. ونطلب منه فصله إلى علبتين (أو قالبين): قالب متكون من 16 موضوع الأكثر وصفا للموضوع المدروس، وقالب متكون من 16 موضوع الأقل وصفا.
ثم بعدها نقوم بنفـــس العملية على 16 موضوع الأكثر وصفا من طرف الأفراد، حيث نطلب منهم اختيار 8 مواضيع الأكثر وصفا، و8 مواضيع الأقل تصورا، وهكذا على4 ثم على2.



وعليه نحصل على ترتيب بحسب الأهمية لكل فرد بمجموعة من المواضيع المقترحة. وانطلاقا من هذا يمكن حساب الصف (الخط) المتوسط لكل موضوع في شعبة معطاة[1].
- اختيـــار تتـــابعـــي بـــواسطـــة الأقســـام (الأجنحة): إنطلاقا من قائمة مكونة من 20 موضوع (مجمعة من مقابلات نصف موجهة)، الأفراد يشكلون مجموعة من الاختيارات من خلال الأجنحة الرباعية، ونطلب منهم أولا 4 مواضيع التي تجسد أحسن تطابق لمفاهيم الموضوع، هذه المواضيع نرمز لها بنتيجة (+2)، ثم نطلب منهم عزل 4 مواضيع الأكثر بعدا على سبب الاختيار، ونرمز لها بنتيجة (-2)، ثم في 12 موضوعا الباقية نطلب منهم تحديد 4 مواضيع التي تتطابق جيدا مع سبب الاختيار ونعبر عنها بنتيجة (+1)، وفي النهاية نطلب منهم عزل 4 مواضيع الأسوأ بالنسبة للاختيار ونرمز لها بنتيجة (-1)،و يبقى إذن 4 مواضيع التي ليست مختارة و ليست مرفوضة و التي نعطيها النتيجة (0).
كل موضوع موزون بنتيجة على سلم 5 مسافات:(-2، -1، 0، +1، +2) كذلك يمكننا علاج المعطيات انطلاقا من مؤشر المسافة الذي يسمح من جهة بقياس شدة أو قوة الانحراف، الملاحظ بين عاملين ضمن العينة، و من جهة أخرى لمقارنة أهمية بعض عناصر التصورات في الجماعات المختلفة.
- جـــدول تركيـــب تقنيـــات الجمـــع: ولأننا كنّا مضطرين إلى عرض أهم الطرق والتقنيات اللازمة لجمع أكبر عدد من المعلومات حول التصورات الاجتماعية فإننا سوف نحاول في هذه الطريقة الأخيرة جمع الجانب النظري في جداول تظم نمط المعلومات المجمعة، اختيار التقنيات، ومبادئ التحليل والمعطيات لطرق جمع وتحليل المعلومات، وهي غالبا ما تكون تكميلية ولا بد من اختيار مجموعة من الحواجز وسوف نذكر هذه الطرق و هذه التقنيات بشيء من التدقيق في الجداول الآتية:

1/ J.C.Abric : pratique sociale et représentations,1994, op-cit , p. 74.

الملاحق

الخلاصة:

إن مفهوم التصورات الاجتماعية مهم جدا في ميدان البحوث الاجتماعية والنفسية، ورغم حداثته كمفهوم أو كأسلوب بحث إلا أنه ظل منسيا سنوات طويلة، وإن كانت العودة إليه قد منحت الكثير للعلوم الإنسانية والاجتماعية ولاسيما على صعيد البحث والتنقيب، فمن خلاله تم التطرق إلى جملة المواضيع التي كان من الصعب تناولها بالبحث والدراسة، ولعل الفضل في كل هذا يرجع – وكما رأينا – إلى الباحث "موسكوفيسي" الذي قدم هذا الموضوع إلى الساحة العلمية وكذا إلى الباحثين الذين لم يتوانوا في إخراجه كعلم مستقل بذاته عن بقية العلوم الأخرى. وإن كنا قد تناولناه كأول فصل في دراستنا لموضوع الكتابات الجدارية، فإنما لقناعتنا بما يحتويه من عناصر ثرية تخدم صلب الموضوع وكذا لملائمته لطبيعة وهدف موضوعنا.

-3- العنــف الرمـــــزي:

تمهيــد:

بالرجوع إلى التراث العلمي للعديد من مجالات العلوم، نجد أن مفهوم العنف شغل حيزا هاما ولاسيما في علم النفس وعلم الاجتماع والقانون والسياسة...، وتعددت التصورات النظرية حول العنف بتعدد مجالات الدراسة والبحث.

ومن هنا أصبح من الصعب إيجاد تعريف موحد لمفهوم العنف، نظرا لتشعب الميادين التي يحتويها، ولاختلاف وتنوع مقاربات الباحثين تبعا لاختلاف تخصصاتهم، منطلقاتهم، خلفياتهم الفكرية والمنهجية، فكل من الفلاسفة وعلماء النفس وعلماء السياسة والاجتماع والقانون، والمختصين في الجريمة لهم طريقتهم الخاصة في تعريفه، كما تختلف هذه الأخيرة حسب الأهداف والأغراض المعلنة والخفية المراد بلوغها، وكذا الظروف المحيطة والمسيطرة التي توجه هذه التعريفات[1]، وسنحاول في هذا الفصل الإلمام بمعظم التعاريف البارزة للعنف بشكل عام. كما سنتناول بالدراسة أشكاله وأسبابه وأنواعه ومظاهره ومقارباته النظرية والعلمية، ثم سندخل بعد هذه الأرضية الخصبة إلى الجزء الثاني الأكثر دقة ألا وهو " العنف الرمـــزي "، واستنادا لما توفر لدينا من المعلومات فقد تناولنا بالذكر جملة من التعاريف له أسبابه، وكذا أشكاله ومظاهره،وخلال كل ذلك حاولنا التدعيم بأمثلة سواء من الحياة الاجتماعية أو استنادا إلى موضوع بحثنا.

1/ د . ابراهيم بلعادي : العنف والمجتمع " مداخل معرفية متعددة "، أعمال الملتقى الدولي الأول (9-10 مارس 2003) جامعة محمد خيضر، بسكرة، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم علم النفس وعلم الاجتماع، ص 13.

1-3/ تعريـــف العنـــــف:

أ/ لغـــة: جـــاء في المعجم " لسان العرب " على أن العنف هو الخرق بالأمر وقلة الرفق به وعليه: يعنف عنفا و عنافة وأعنفه وعنفه تعنيفا، وهو عنيف إذا لم يكن رفيقا فيما لا يعطي على العنف، أما الأعنف: كالعنيف والعنيف: الذي لا يحسن الركوب، ليس له رفق بركوب الخيل. وأعنف الشيء: أخذه بشدة، واعتنف الشيء: كرهه، والتعنيف: التوبيخ والتقريح واللوم. وعنف: العين والنون والفاء أصل صحيح يدل على خلاف الرفق. قال الخليل: " العنف ضد الرفق، تقول عنف يعنف عنفا، فهو عنيف إذا لم يرفق في أمره "[1].

ومن خلال هذا التعريف الملمة لغة بالعنف، يتضح لنا أن كلمة عنف تشير إلى عبارات عديدة كالخرق بالأمر وقلة الرفق والشدة، وهي عبارات تحمل الكثير من الإشارات التي سوف نتطرق إليها عبر التعاريف اللاحقة.

فمنذ قدم التاريخ ارتبط مفهوم العنف بالقوة الصادرة عن الطبيعة أو الآلهة[2]، ففي اللغة الفرنسية كلمة عنف " Violence " تعود إتيمولوجيا إلى الكلمة اللاتينية" Violentia " والتي تشير إلى طابع غضوب شرس، جموح وصعب الترويض[3]. وكلمة "Violentia "من الناحية الاشتقاقية (الأصل) أو إيتيمولوجيا تنبعث منها عدة كلمات أو مقاطع، وتأخذ كلها معاني القوة والشراسة بحيث تحتوي على الفعل " Violaré "، والذي يعني التعامل بالعنف، أي بالخرق والتدنيس[4].

وكلمة "Violentia " ترتبط بكلمة " Vis " و" Latus " و " Vis "من معاني القوة، وكلها تدل على طاقات الجسم وقدرته الأساسية، كالنشاط والبأس وهو نفس المعنى للكلمة " IS " التي تعني العضلات؛ والقوة هي بدورها ترتبط بالكلمة "Bia "، ولها نفس أصل كلمة " Bios "والتي تعني الحياة "[5]، وهي كلمة تعطي معنى الحياة لكثير من العلوم مثل: بيولوجي Biologie وبيوجسمي Bio-physique؛ كما أن كلمات: " Bia – Via - Vita " إنما تدل على رغبة البقاء وحب الحفاظ على الذات، وعليه فإن كلمة عنف "Violence " تأخذ معنى قوة الحياة والبقاء.

1/ الإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد ابن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري : " لسان العرب "، بيروت، دار الصادر، المجلد التاسع، 1968، ص 257-258.

2/ http: // w w w. rezgar.com / debat / show. Art. Asp? Aid = 20 780

3/ Grand dictionnaire de la langue Française, Larousse, vol 7, 1989, p p . 6489 – 6496.

4/ Gérard pirlot: La violence et souffrance à l'Adolescence; Psychopathologie, Psychanalyse et anthropologie culturelle, l'Harmattan,2003, p. 26.

5/ Gérard pirlot: La violence et souffrance à l'Adolescence; Psychopathologie, Psychanalyse et anthropologie culturelle, l'Harmattan,2003, op - cit, p. 27.

أما الشطـــر الثـــاني:" Latus " فهي إسم مفعول لكلمة" Firo " وتعني يحمل، فكلمة عنف "violence " تعني إذا يحمل القوة وترمي في أولى معانيها إلى استعمال القوة عند الآخرين[1].

إن هذا المعنى لكلمة العنف إنما يمتد في العديد من القواميس اللغوية[2] كمعجم " Larousse " الفرنسي الذي يعرف العنف بكونه خاصية لكل ما ينتج عنه مفعول بقوة شديدة متطرفة ووحشية، فهو خاصية لما هو عدواني، إنه تعبير عن أقصى الشدة وهو تجاوز عبر اللفظ والسلوك، ويعكس استخدام القوة. كما أن موسوعة "Universalise" المعجمية تحدده كفعل يمارس من طرف فرد أو أفراد آخرين، عن طريق التعنيف قولا أو فعلا...، وهو فعل عنيف يجسد القوة التي يمكنها أن تكون فيزيقية أو رمزية.

ويشير القاموس" راندوم هاوس Random House " إلى أن مفهوم العنف يتضمن ثلاثة مفاهيم فرعية وهي: الشدة الإيذاء والقوة المادية.

أما قاموس روبير " Robert "[3] (فرنسي معاصر) يشير إلى أن العنف: " هو التأثير على الفرد وإرغامه دون إرادته وذلك باستعمال القوة واللجوء إلى التهديد ".

ويعرف" لالاند "[4] في موسوعته الفلسفية العنف على أنه: " سمة ظاهرة أو عمل عنيف بالمعاني، وهو الاستعمال غير المشروع أو على الأقل غير القانوني للقوة، ويربط أيضا "لالاند" بين العنف وبين الانتقام (الثأر) والذي يعني بهما - اشتقاقا - عقابا أو ثأرا، ولكن بنحو أخص هو ردة فعل عفوية من الضمير الأخلاقي المهان الذي يطالب بمعاقبة الجريمة ".

وهكذا يتبين مرة أخرى من هذه التعريفات اللغوية المختصرة بأن في صلب كلمة العنف توجد فكرة القوة، وأن ممارستها ضد شيء ما أو شخص ما هو الذي يعطيها طابع العنف.

إن مفهوم العنف تشكل تدريجيا في المعاجم اللغوية وأيضا في الدراسات والاختصاصات الفكرية والميدانية التي تناولته، حيث انفصل في الفكر المعاصر عن مجال الطبيعة والآلهة، وأصبح يعرف باعتباره ظاهرة خاصة بالإنسان ككائن اجتماعي، يتفاعل مع غيره ضمن صراعات اجتماعية واقتصادية

وسياسية، ويؤكد الباحثون الذين تناولوا موضوع العنف أن اللبس الذي أحاط بمحاولات التعريف، يعود من جهة إلى تعدد دلالات المفهوم وتنوع المضامين التي تشير إليها، ومن جهة أخرى إلى اختلاف المنطلقات والتخصصات المعرفية التي تناولته، حيث يمكن أن ينظر إليه من زوايا أو نواحي مختلفة.

1/ L. Gillioz: Définition de la violence, in : http://www.Eurowrc.org/06.contributions/2.du 25/12/02

2/ htpp://www.rezgar.com /debat/show.art.asp?Aid=20780

3/ Robert. P: dictionnaire le Robert an alphabétique et Analogique de la langue Française ; Société du nouveaux livres (S.N.L) , Paris 1978, p. 2097.

4/ أندرييه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد 3، منشورات عويدات، بيروت وباريس 1996، ص 1554.

ب/ اصطلاحـــا: وسنتطرق إلى معنى العنف من خلال عدة نواحي:

1- من النـــاحيـــة النفسيـــة: ويعرف العنف على أنه: "السلوك المشوب بالقسوة والعدوان والقهر والإكراه، وهو عادة سلوك بعيد عن التحضر والتمدن، تستثمر فيه الدوافع والطاقات العدوانية استثمارا صريحا بدائيا كالضرب والتقتيل للأفراد، والتكسير والتدمير للممتلكات، واستخدام القوة والإكراه للخصم وقهره"(1).

أي أن العنف هنا يضم كل التصرفات السيئة التي تهدف إلى تدمير الغير وإخضاعهم بالقوة والإكراه.

ويعرفه " أدلر ADLER " على أنه: " استجابة تعويضية عن الإحساس بالنقص أو الضعف" (2). على اعتبار أن الفرد تصاحبه جملة من الاحساسات كالإحباط، والخوف من الموت ومن المستقبل، فيسارع لمثل هذه التصرفات بدافع تلك الصراعات الداخلية.

ويعرفه: " سيد عويس " على أنه : " سلوك عدواني، أو هو وليد الشعور بالعداوة، قد يوجه ضد الطبيعة أو يوجه من أفراد إلى أفراد، أو من أفراد إلى جماعات منتظمة، أو من جماعات منتظمة إلى جماعات منتظمة أخرى"(3). أي أن العنف ينتج بسبب الشعور بالحقد والكراهية والبغض للآخرين مهما كانوا سواء أفراد أو جماعات، كما يمكن أن يأخذ عدة أشكال سواء فردي أو جماعي.

ويرى " سعد المغربي"(4) أن العنف هو: " استجابة سلوكية تتميز بصيغة انفعالية شديدة قد تنطوي على انخفاض في مستوى البصيرة والفكر "، ويقول كذلك : " أن العنف لا يرتبط بالضرورة بالشر والتدمير، فقد يقال أن فلان يحب بعنف أو يكره بعنف أو يعاقب بعنف". وهنا يربط فكرة العنف بالقوة على اعتباره الاستعمال السيئ لها، وهذا يعني أن كل عنف هو قوة وليست كل قوة هي عنف.

كما يعرف العنف أيضا على أنه: " السلوك الذي يقوم به الفرد منتهكا معيارا معينا لوجود دافع معين، ولوجود مجموعة من العوامل والظروف أو الضغوط التي يخضع لها الفاعل"[5]. وبهذا المعنى فإن العنف ظاهرة سلوكية تنشأ من خلال تفاعل الفرد بالآخرين حسب الظروف المحيطة به.

وحسب " إسنا رد HESNARD " العنف هو: " نتاج مأزق علائقي، بحيث التدمير للآخرين أو للفرد

1/ د. فرج عبد القادر طه، ود. شاكر عطية قنديل: موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 2003، ص .589

2/ د. الزين عباس عمارة: مدخل إلى الطب النفسي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بيروت، طــ1، 1986، ص 194.

3/ المرجع نفسه، ص .194

4/ المرجع نفسه، ص .194

5/ زينب حميدة بقارة: جنوح الأحداث وعلاقته بالوسط الأسري، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد علم الاجتماع، جامعة الجزائر، 1990/1989، ص 11.

نفسه، فيشكل العنف طريقة معينة للدخول في علاقة مع الآخرين"[1].

أما " ميرز Merz" فيرى أن العنف: " هو سلوك يؤدي إلى إيقاع الأذى بالآخرين سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ". ويرى الباحثون في مجال علم النفس أن: " العنف استجابة سلوكية تظهر في شكل من أشكال ممارسات القوة فوق إرادة الناس الآخرين، ويعني كذلك إثارة الفزع والرعب والهلع والخوف النفسي".ويعبر العنف عن سلوك عدواني: " ينتج عن حالة إحباط تكون مصحوبة بعلامات التأثر والغضب، ويظهر على شكل سلوكات، الغرض منها إلحاق الأذى والضرر بالآخرين سواء من الناحية المادية أو المعنوية، وهو ذو طبيعة غريزية وعاطفية "[2]، مثلما هو الأمر عند الطفل الذي يجد حوافز تحول دون إشباع رغباته البيولوجية والغريزية، فيتولد لديه الإحساس بالإحباط، ومن ثمة ينشأ السلوك العنيف كردة فعل.

ويعرفه قاموس العلوم الإنسانية على أنه: " فعل خشن يهدف إلى الضغط وإرغام الآخرين "[3].

أما بالنسبة لرائد النظرية التحليلية " فرويد Freud "[4] فيرى: " أن العنف والعدوان إنما هو ناتج عن غريزة الهدم التي تتعارض مع غريزة الحب والحياة ". كما يرى أن العنف: " قوة حياتية موجودة بالفطرة في اللاشعور الجماعي الثقافي ".

والعنف كما عرفته هيئة الأمم المتحدة: " الفعل القائم على سلوك عنيف، ينجم عنه الإيذاء أو المعاناة (الجسمية أو النفسية)، أو الحرمان النفسي من الحرية في الحياة العامة أو الخاصة "[5].

أما " عاطف عدلي عبد العبيد " فيعرفه على أنه: " صورة من التفاعل الإنساني يؤدي إلى الأذى الذي يصيب الجسد أو النفس أو كلاهما، ويسبب ضررا قد يؤدي إلى القتل، ويكون موجها إلى الإنسان أو الحيوان أو الممتلكات، سواء كان ذلك عمدا أو مصادفة"[6].

1/ مزوز بركو: مساهمة في دراسة آراء الأطفال حول ظاهرة العنف عند الأطفال وأشكال العقاب الممارس على الطفل العنيف، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم علم النفس، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2001/2002، ص 10.

2/ فليب بارنو، آلان بيرو، رامون بلان: المجتمع والعنف، ترجمة الآب إلياس الزحلاوي، منشورات دار الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1975، ص 141.

3/ محمد عاطف غيث: قاموس علم الاجتماع، دار الطبع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص 213.

4/ توماس بلاس: العنف والإنسان، أربع دراسات حول العنف والعدوان، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1990، ص 13.

5/ http://www alittihad.ae/details.asp?a= 1 & Chanel = 76 journal =3/8/2005&id=1748

6/ عاطف عدلي عبد العبيد: مدخل الاتصال والرأي العام، القاهرة، مصر، 1993، ص 15.

2- من النـــاحية الاجتمـــاعيـــة:

ويعرفه "محمد عاطف غيث" [1] في قاموس علم الاجتماع: " هو فعل ممنوع قانونا وغير موافق عليه اجتماعيا "، ويعني كل سلوكات المخالفة للقانون وقيم المجتمع. ويعرفه أيضا على أنه: " تعبير صارم عن القوة التي تمارس لإجبار الفرد أو الجماعة على القيام بعمل من الأعمال المحددة، يريدها الفرد أو جماعة أخرى، حيث يعبر العنف عن القوة الظاهرة التي تتخذ أسلوبا فيزيقيا، مثال ذلك الضرب أو تأخذ شكل الضغط الاجتماعي وتعتمد مشروعيته على اعتراف المجتمع". أي أن العنف هو الاستعمال المباشر للقوة لإجبار الفرد أو الجماعة على القيام بعمل ما وهنا يأخذ العنف مظاهر جسدية واضحة كالضرب...

أما " محمد جواد رضا " فقد أعطى معنى اجتماعي للعنف بأنه: " الاستعمال غير القانوني لوسائل القصر المادي أو البدني، ابتغاء تحقيق غايات شخصية أو جماعية "[2]، أي بغرض تحقيق مصالح فردية أو جماعية، فيستعمل العنف بطريقة تعسفية وملتوية، ويتخذ دوما مظهرا جسديا هدفه إلحاق الضرر والأذى بالغير.

بينما عالمي الاجتماع الأمريكيين " T. Gurr وH. Graham " فيعرفان العنف على أنه: "سلوك يميل إلى إيقاع أذى جسدي بالأشخاص، أو خسارة بأموالهم، وبغض النظر عن معرفة ما إذا كان هذا السلوك يبدي طابعا جماعيا أو فرديا "[3].

ويعرفه " ساندا بول روكينغ " على أنه: " الاستخدام غير الشرعي للقوة أو التهديد لإلحاق الأذى والضرر بالآخرين "[4]. كذلك يعرفه " دينستين " على أنه: " استخدام وسائل القهر والقوة أو التهديد لإلحاق الأذى والضرر بالأشخاص والممتلكات، وذلك من أجل تحقيق أهداف غير قانونية أو مرفوضة اجتماعيا".

وأما " مصطفى حجازي " فيرى بأنه: " لغة التخاطب الأخيرة الممكنة مع الواقع ومع الآخرين، حيث يحس المرء بالعجز عن إيصال صوته بوسائل الحوار العادي، وحين تترسخ القناعة لديه بالفشل في إقناعهم بالاعتراف بكيانه وقيمته، والعنف هو الوسيلة الأكثر شيوعا لتجنب العدوانية التي تدين الذات الفاشلة بشدة، من خلال توجيه هذه العدوانية إلى الخارج بشكل مستمر أو دوري وكلما تـــجاوزت

1/ محمد عاطف غيث: قاموس علم الاجتماع، سبق ذكره، ص. 213.

2/ محمد جواد رضا: ظاهرة العنف في المجتمعات المعاصرة، تفسير سوسيو-سيكولوجي في علم الفكر، مجلة دورية تصدرها وزارة الإعلام الكويتي، المجلد 5، العدد 3، أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر، 1974، ص 147.

3/ عبد الناصر حريز: الإهاب السياسي، دراسة تحليلية، مكتبة مدبولي، طلعت حرب، القاهرة، طـ 1، 1996، ص 44.

4/ جليل وديع شكور: العنف والجريمة، الدار العربية للعلوم، بيروت، 1997، ص 31.

حدود الاحتمال الشخصي "[1]، أي أن العنف ناتج عن صراعات داخلية وعن الإحساس بالإحباط اتجاه مطالب الحياة، فيأتي العنف كرد فعل لإثبات الذات وتحقيق السيطرة على الغير.

كما أن "العنف يمكن أن يكون فردي (يصدر عن فرد واحد)، أو جماعي (يصدر عن جماعة، هيئة أو مؤسسة تستخدم جماعات أو أعداد كبيرة من الأفراد...)، على نحو ما يحدث في التظاهرات الســـلمية التي تتحول إلى عنف من تدمير واعتداء تستلزم تدخل الشرطة لفض هذه التظاهرات والاضطرابات"[2].

وحسب " بيار فيو Pierre Fiew " فالعنف هو: " ضغط جسدي ومعنوي ذو طابع فردي أو جماعي يترله الإنسان بالإنسان"[3]، حيث يتخذ دائما الطابع الجسدي والمعنوي.

أما عند" Hilgard " : " فهو نشاط تخريبي أو هدام من أي نوع، أو أنه نشاط يقوم به الفرد لإلحاق الأذى بشخص آخر، إما عن طريق الجرح الفيزيقي أو عن طريق سلوك الاستهزاء أو السخرية أو الضحك ".

ونستنتج من كل ما سبق من هذه التعاريف أن العنف من المنظور الاجتماعي هو أي فعل يمارس بالقوة، ويهدف إلى إلحاق الأذى بالفرد خاصة وبالجماعة عامة، وهو استخدام غير قانوني للقوة وذلك لتحقيق أهداف وأغراض لا قانونية ولا اجتماعية أي يرفضها المجتمع، لأنها مصالح فردية وليست جماعية، كذلك يتخذ العنف هنا مظهر واضح جدا وهو مظهر جسدي (مادي).

3- من النـــاحيـــة السيـــاسيـــة:

يعرفه " حسنين توفيق إبراهيم "[4] على أنه: " مجموعة من الاختلافات والتناقضات الكامنة في المجتمع"، وهنا يتخذ العنف ثلاث اتجاهات:

الاتجاه الأول: العنف هو الاستخدام الفعلي للقوة المادية وإلحاق الضرر بالذات أو الأشخاص الآخرين، وتخريب الممتلكات للتأثير على إرادة المستهدف، وعلى هذا فإن السلوك العنيف يتضمن معنى الإرغام والقهر من جانب الفاعل، والخضوع أو المقاومة من جانب المفعول به أو المستهدف.

الاتجاه الثاني: العنف هو الاستخدام الفعلي للقوة المادية أو التهديد باستخدامها، وهذا التعريف يوسع المفهوم ليشمل التهديد بالقوة إلى جانب الاستخدام الفعلي لها.

1/ د. مصطفى حجازي: التخلف الاجتماعي، مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، طـ 8، 2001، ص 165.

2/ د. فرج عبد القادر طه، ود. شاكر عطية قنديل: موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، سبق ذكره، ص 589.

3/ د. حسنين توفيق ابراهيم: ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية، مركز الدراسات للوحدة العربية، بيروت، طـ1، 1992، ص.43

4/ المرجع السابق، ص 42-43.

الاتجاه الثالث: ينظر للعنف باعتباره مجموعة من الاختلالات والتناقضات الكامنة في الهياكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمجتمع.

وانطلاقا مما سبق فإن العنف هو سلوك فعلي أو قولي يتضمن استخدام للقوة أو تهديدا باستخدامها لإلحاق الأذى بالذات أو بالآخرين، وإتلاف الممتلكات لتحقيق الأهداف، وعندما تكون دوافع العنف وأهدافه سياسية فإنه يصبح سياسيا، هذا وإن العنف من هذا المنظور قد يتخذ عدة أشكال منها: غياب التكامل الوطني داخل المجتمع، وسعي بعض الجماعات إلى الانفصال عن الدولة (كأحداث القبائل في الجزائر)، وغياب العدالة الاجتماعية وحرمان قوى معينة داخل المجتمع مع بعض الحقوق السياسية، أيضا عدم إشباع الحاجة السياسية: كالتعليم، والصحة، والتغذية لقطاعات عريضة من المواطنين...

ويرى "سعد المغربي ": " أن العنف قد يكون ضرورة في موقف معين وظروف معينة للتعبير عن واقع بعينه، أو تغييره تغييرا جذريا، وقد يكون العنف ردة فعل أو استجابة لعنف قائم" [1]. وهذا يبرز مثلا في المظاهرات التي تنادي بتنحي رئيس ما، أو تغيير نقاط في الدستور، أو أنها تنشب نتيجة الظروف القهرية الممارسة.

ويقول" H. Neïburg " هو:" أفعال التدمير والتخريب وإلحاق الأضرار والخسائر التي توجه إلى أهداف أو ضحايا مختارة أو ظروف بيئية أو وسائل وأدوات، والتي تكون آثارها ذات صفة سياسية، من

شأنها تعديل أو تقييد أو تحوير سلوك الآخرين، في موقف المساواة والتي لها نتائج على النظام الاجتماعي "[2].

ونجد في تعريف "ويكمان Wekman " الإشارة إلى كامل أوجه العنف سواء النفسي أو الاجتماعي أو القانوني أو السياسي، حيث يعرف العنف بأنه: " سلوك أو فعل يتسم بالعدوانية، يصدر عن طرف قد يكون فردا أو جماعة أو طبقة اجتماعية أو دولة، بهدف استغلال وإخضاع طرف آخر في إطار علاقة قوة غير متكافئة اقتصاديا واجتماعيا أو سياسيا، مما يتسبب في إحداث أضرار مادية أو معنوية لفرد أو جماعة أو طبقة اجتماعية أو دولة أخرى" [3].

ويتضح مما سبق أن العنف من المنظور السياسي، إنما هو ممارسة أعمال العنف بسبب ظروف معينة لحالة اجتماعية ومعيشية مزرية، أو لانعدام العدالة بين شرائح المجتمع، أو التسلط السياسي كالمظاهرات

1/ د. سعد المغربي: سيكولوجية العدوان والعنف، علم النفس، مجلة البحوث والدراسات النفسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1 1987، ص 35-36.

2/ عبد الناصر حريز: الإرهاب السياسي، سبق ذكره، ص 44.

3/ http://www alittihad.ae/details.asp?a= 1 & Chanel = 76 journal =3/8/ 2005 & id = 1748.

المناهضة لرئيس ما أو المعادية له والتي تطالب بتنحيته أو تغيير بنود في الدستور أو تنادي بجملة من المطالب- كما حدث في الجزائر في أواخر الثمانينات-، وهذه المظاهرات كردة فعل لعنف سلطوي أو سياسي فإنها في حد ذاتها تكتسب طابع العنف، وهذا من خلال أعمال الشغب التي تستهدف تكسير وتدمير المنشآت والمرافق العمومية.

ويرى البعض أن هذه السلوكات العنيفة ذات الطابع السياسي، التي تظهر بين الحين والآخر، إنما هي دليل قاطع على وجود ثغرات في النظام أو الحكم وهي مؤشر بارز على انعدام الأمن في المجتمع.

4- من الناحية القانونية:

ويعرفه " حارث سليمان الفاروقي "[1]: " أنه القوة المادية والإرغام البدني واستعمال القوة بغير حق، ويشير المعنى إلى كل ما هو شديد وغير عادي"، ويصنف " أحمد بدوي زكي" العنف بأنه: " الإكراه أو استخدام الضغط أو القوة استخداما غير مشروع أو غير مطابق للقانون من شأنه التأثير على إرادة فرد أو مجموعة من الأفراد"[2].

فالعنف في نظر رجل القانون هو جريمة يعاقب عليها القانون حسب درجة ونوع العنف، لأنه سلوك غير معترف به، ويكون عن طريق استخدام القوة بمختلف أنواعها.

كما يعرف "جورج جربنر": العنف بأنه: " التعبير الصريح عن القوة البدنية ضد الذات أو الآخرين، أو هو إجبار الفعل ضد رغبة شخص على أساس إيذائه بالضرر والقتل أو قتل النفس أو إيلامها وجرحها "[3]، مثال ذلك الاغتصاب والتحرشات الجنسية ...

وعند "بول كولينغ ": " هو الاستخدام الغير شرعي والغير قانوني للقوة أو التهديد بهدف إلحاق الأذى والضرر بالآخرين".

كما أن مفهوم العنف يشير إلى أفعال التمرد والانفصال (الفردية منها والجماعية)، والناتجة عن اختلاف الهياكل الاجتماعية أو التكامل الوطني، وغياب العدالة الاجتماعية وانتشار الحرمان[4]. زيادة على هذا فالعنف" أسلوب بدائي، فإنه يشكل في كثير من الأحيان جريمة يعاقب عليها المجتمع، وككل الجرائم فهو ينخر في كيانه وينال من وحدته وتماسكه واستقراره وأمنه"[5].

1/ سليمان حارث الفاروقي: معجم القانون، مكتبة لبنان، 1988، ص 734.

2/ أحمد زكي بدوي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، 1982، ص 441.

3/ محمد خضر بن مختار: الاغتراب والتطرف نحو العنف، دار غريب، القاهرة، 1999، ص 155.

4/ العربي فرحاتي: العنف وجه آخر للحداثة، مداخلة بالملتقى الدولي العنف والمجتمع، بسكرة، سبق ذكره، 2003، ص 145.

5/ عبد الرحمن عيسوي: مبحث الجريمة، دراسة في تفسير الجريمة والوقاية منها، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، 1992، ص 153.

والعنف في مجمله من المنظور القانوني، فعل مستنكر اجتماعيا ومرفوض قانونيا مهما كانت صفته وأسبابه، لأنه أولا وقبل كل شيء يهدف إلى هدم الفرد والمجتمع عموما.

5- من النـــاحيـــة الاقتصـــاديـــة:

يقول "River" و"Swizer" أن العنف هو: " الاستخدام الغير عادل من قبل مجموعة من الأفراد لإلحاق الأذى بالآخرين والضرر بممتلكاتهم ".

ويرى الدكتور "حسنين توفيق إبراهيم" في مدخل كتابه "ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية" أن العنف هو: " ظاهرة مركبة لها جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية، وهو ظاهرة عامة تعرفها كل المجتمعات البشرية بدرجات متفاوتة"[1]. وهذا يعني أن العنف هنا إنما هو الاحتكار والسيطرة على الجزء الهام من الممتلكات العامة لفئة معينة وتهميش البقية، وهذا دليل على انعدام تساوي الفرص في الربح والخسارة، وهي دليل على سيطرة بعض الفئات في المجتمع على مداخل الأموال دون البقية، وهذا ما يؤدي إلى زيادة رفاهية تلك الفئة وزيادة الفقر والتهميش للفئات الأخرى البسيطة، وبالتالي زيادة الفوارق الاقتصادية، ومن ثمة الفوارق الاجتماعية ومنها ينشأ الصراع بين الطبقات.

1/ حسنين توفيق إبراهيم: ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة أطروحات الدكتوراه (17)، 1990، ص 31.

4-2/ المقــاربات النظــريــة المفســرة لظاهــرة العنف:

إن العنف ظاهرة إنسانية وتاريخية لازمته منذ التواجد الأول على سطح الأرض، لكن هذه الظاهرة لم تبق على طبيعتها بل راحت تتعدد أشكالها وأنماطها باختلاف أسبابها، وأصبحت هاجسا يؤرق البشرية عموما والباحثين خصوصا، ولأنها ظاهرة جد معقدة وصعبة المراس وشائكة بحيث أنها تدخل في جميع ميادين الحياة، فإنه من الصعب جدا إيجاد تفسير شامل وموحد لها، لذلك فإننا سنتناول عدة مقاربات من أجل تفسيرها. فلا نكتفي بذكر قائمة من الأسباب كما سبق الذكر وإنما لا بد من تثمين ذلك بجملة من المقاربات النظرية وهي:

4-2-1/ المقاربـــة السيكولوجيـــة (النفسيـــة):

ترى هذه النظرية أن العنف يحدث نتيجة الشعور بالإحباط، فبدراسة نمو الطفل نجد أن أي حاجز يحول دون تحقيق إشباع لرغباته البيولوجية وحاجاته الغريزية، يولد لديه الشعور بالإحباط الذي يتسبب في ظهور سلوك عدواني كتحطيم اللعب، وقد يستمر هذا السلوك مع الطفل ويترسخ أكثر فأكثر إذا ما وجد الظروف المعززة لذلك، وقد يصبح الطفل يشعر بالمتعة كلما مارس هذا النمط من السلوك لأنه يحقق له بعض الرغبات الشعورية وغير الشعورية، ولكي نفهم وجهة النظر السيكولوجية، فإنه يتعين علينا التطرق إلى اتجاهين رئيسيين في هذه المدرسة وسنبدأ بالتحليلية ثم السلوكية.

أ- الاتجـــاه التحليلـــي: ويتزعمه مؤسس المدرسة التحليلية " س. فرويد S. Freud " ، حيث يقول: " أن العامل البيولوجي هو المرحلة الطويلة التي يقضيها صغار النوع البشري في حالة عجز واعتماد على الغير، ففترة وجود الطفل داخل الرحم تبدو قصيرة إذا ما قورنت بمثيلتها عند بعض الحيوانات، وهو يرسل إلى العالم في حالة أقل إعدادا، وينتج عن ذلك أن تأثير العالم الواقعي عليه يكون أكثر شدة، كما يساعد ذلك على التمييز المبكر بين الأنا والهو، فهذا العامل البيولوجي إذن إنما يكوّن حالات الخطر الأولى...وحالات الخطر الأولى تشكل العديد من الحاجات: كثرة الخوف، الخوف من الجوع، الحاجة للحماية من أخطار العالم الخارجي، ومن الأخطار الغريزية الداخلية، والحاجة إلى الحب، بالإضافة إلى الحاجات الأخرى الناتجة عن الأنا الأعلى...".

لقد وضع "فرويد"[1] نظريتان لتفسير العنف والعدوان، فبالنسبة للأولى ربط بين غريزة العدوانية والجنسية والموت، والعنف يظهر جيدا في المعجم التحليلي، لأننا لا نتحدث عن العنف فقط وإنما عن النزوات، حيـــث عرض "فرويد" في أعماله نزوتين هما: **النزوة الجنسيـــة** (الليبيدو) وهي مرتبطة بمبدأ الرغبة في حفظ النوع، حيث أنها تهدد وبدون شك توازن الجهاز النفسي، هذا من جهة أما النزوة الثانية

1/ http://www.protestants.org/textes/vilolence/Fuches.htm

والمعارضة فيسميها " فرويد " **نزوة الأنــا**، وهي الطاقة المهيأة لخدمة الدفاع عن الشخص المهدد من طرف نزواته الليبيدية الخاصة. ويضيف فرويد أن الفرد ما بين هاتين النزوتين يقع في ضغط نفسي كبير أو في الإحباط. لكنه ترك هذه النظرية عند إصداره لمؤلف " Au- delà du principe de plaisir " حوالي 1920[1]، حيث يرى أن العنف ذو منبع غرائزي محض وهو ينشأ من تضاد غريزة الحياة وغريزة الموت وهو ما يجسد نظريته الثانية.

- **غريـــزة الحيـــاة**[2]: أو غريزة " إيروس Eros " أو إله الحب كما وجدت في الأساطير اليونانية، ويمكن تسميتها بغريزة حفظ الذات وحب النفس، وهي تتضمن مجموعة القوى الحيوية والدوافع

الغريزية التي تهدف إلى الحصول على اللذة الجنسية، ومنه إلى حفظ النوع والذات، وتأليف الأشياء ببعضها البعض والعمل على بقائها.

- **غريـــزة المـــوت**[3]: أو غريزة " ثانوس Thanos "، وتعرف أيضا بغريزة الهدم، وهدفها تفكيك الارتباطات وهي تتعارض مع غريزة الحياة. إن غريزة الموت هدفها النهائي هو الهدم والتفكيك وإرجاع الكائنات الحية إلى حالة غير عضوية، فعملية الأكل عبارة عن تحطيم للطعام لغرض إدماجه في الجسم، والعملية الجنسية عبارة عن فعل عدواني الغرض منه الحصول على أوثق أنواع الاتحاد...ويصدر عن هذا التفاعل بين الغريزتين الأساسيتين في ائتلافهما وتعارضهما جميع ظواهر الحياة المختلفة...وتنشأ عن التغيرات التي تحدث في النسب بين هاتين الغريزتين نتائج هامة، فزيادة العنف الجنسي من شأنه أن يجعل من المحب قاتلا جنسيا، بينما يؤدي النقصان الكبير في العنف إلى الخجل أو فقدان القدرة الجنسية "[4].

حيث يرى "فرويد" أن العنف هو شكل من مظاهر رغبة الموت على اعتبارها غريزة فطرية وحيوية، وقد ذكر هذا في رسالته الشهيرة: " Pour quoi la guerre " في 1933 مركزا على أن غريزة الموت تأتي على تهديم كل شيء، وهذا حينما يحس الفرد بخطر ما يهدد هويته[5]. ويرى أيضا أنه طالما كان عمل غريزة الموت مقتصرا على عمليات داخلية فهي تظل صامتة، ونحن لا نتفطن لها ولا ندركها إلا حينما تتجه إلى الخارج وتصبح غريزة هدم، حيث يستخدم فيها الفرد القوة الجسمية وذلك حفاظا على ذاته، أو تكون رغبة في تحويـــل غريزة الهدم هذه إلى الخـــارج كما نرى ذلك في السادية، ولأن جزء من هذه

1/ S. Freud : Au -delà du principe de plaisir, 1920, traduction Française, in Jankélévitch S, destin de psychanalyse, Paris, Payot, 1970, in Caroline Rey : les adolescents face à la violence, alternative social ©, Syros nouvelle édition, Paris, France, Août 2000, p 39.

2/ توماس بلاس: العنف والإنسان، سبق ذكره1990، ص .10

3/ فرويد: معالم التحليل النفسي، ترجمة د. عثمان نجاتي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 49-52.(بدون تاريخ).

4/ Oliviers Halfon & François Ansermet & autres… : Sens et non-sens de la violence © presses universitaires de France, Août 2002 pp . 59-60.

5/ S. Freud: pour quoi la guerre, in résultats idée, problèmes, in Olivier Halfon, 2002, op-cit, p. 38.

الغريزة المهدمة إنما هو مرتبط باللاشعور، وهذا ما نلمحه في المازوشية.

إن غريزة الهدم أو الموت تدور حول الفرد في حد ذاته وتهدف إلى تدميره، وهذا ما نلمسه بقوة في حالات الانتحار حيث تنتصر هذه الغريزة على غريزة الحياة، وعلى العموم فإن النظرة التحليلية للعنف تعتبر أن نزوة الهدم أو الموت هي المسؤولة عن أعمال العنف بمختلف أشكالها لأنها - غريزة الموت - سواء كانت اتجاه الفرد نفسه كالانتحار أو تعاطي المخدرات، أو تجاه الغير (كالنهب والاغتصاب والإجرام والإرهاب...) فإنها في مجملها مهدمة، وأسباب ذلك عديدة منها:

- عند إحساس الفرد بالدونية واستصغار الناس له وبخسهم لإمكانياته، تتحرك دفاعاته (الأنا) ساعيا إلى الانتقام لنفسه من المجتمع.
- عند إحساس الفرد بخطر الموت، يختل توازنه النفسي، الجسدي، الاجتماعي، ويتلاشى التزامه بمبادئ المجتمع وتقاليده.
- عندما تتجذر السادية في الإنسان ويصبح العنف عنده سهلا، فيؤمن بذلك لنفسه الإشباع النفسي ويصبح العنف منطلقا للتقليد والتخطيط[1].

وهكذا اعتبر "فرويد" أن العنف فطري في الإنسان عكس بقية الآراء التي سنراها لاحقا. وبعده كان عدد من المحللين الذين خلفوه في الميدان أمثال " Bergeret & Stern "، حيث أجمعوا على وجود نزعة فطرية عنيفة ومشتركة بين الإنسان والحيوان لكنها مختلفة عن العدوانية وهدفها حفظ البقاء[2].

ب- الاتجـــاه السلـــوكـــي: يرى أن العنف لا يورث بالفطرة، وإنما يكتسب بتعلم الفرد من خلال معايشته الأحداث وخصوصا في مرحلة الطفولة، فإذا ما تعرض لخبرة العنف خلالها، فإنه في الغالب سيمارس ذلك لاحقا مع غيره من الناس وحتى مع غيره من عناصر الطبيعة: نبات أو حيوان. ويقول " ألبرت باندورا Albert Bandura ": " يحدث الكثير من التعلم من خلال المحاكاة، فالسلوك العدواني والعنف والهياج الاجتماعي من محاكاة الناس المحيطين بنا، ضمن الإطار الذي تحدده الفروق الفطرية ". وهناك رأي آخر يقول بأن احتمال إقدام الأطفال على العنف لدى الذين سبق وأن شاهدوا العنف الصادر من الراشدين يكون أقوى من إقدام الأطفال الذين لم يشاهدوا هذا النوع من العنف[3]، فالطفل الذي يعيش في وسط عنيف يتبنى القسوة والاستهتار وعدم التقيد بالمعايير الاجتماعية والأعراف، ولا يجعل لها وزنا يذكـــر في التعامل مع الآخرين، فيكون سلوكه مشحون بالنزعة العنيفة ويعبر عن طلباته

1/ زين الدين مصمودي: مدخل نقدي لتفسير ظاهرة العنف، مداخلة بالملتقى الدولي، بسكرة، 2003 ،سبق ذكره، ص 43.

2/ Bergeret. J : La violence fondamentale, in Olivier Halfon…2002, op-cit, p. 38.

3/ ديفيد فونتانا: الشخصية والتربية، ترجمة عبد الحميد يعقوب جبرائيل وصلاح محمد نوري داود، مطابع التعليم العالي، أربيل، العراق، 1986، ص 156.

بطرائق فيها الكثير من الغلظة والشدة[1]، ومن ثمة فالعنف يتكون عند الطفل في وقت مبكر من حياته بحيث تؤدي التربية الخاطئة إلى نقص الشعور بالثبات والاتزان، وهذا ما يخلق نزعة تأكيد الذات والدفاع عنها وممارسة العنف. كما أنه سلوك متعلم من خلال ملاحظتنا ذلك عند المحيطين بنا. ويرى "عبد الرحمن عيسوي": " أن العنف هو عادة مكتسبة تتدعم كلما مارس المجرم مزيدا من العنف "[2].

وخلاصة القول أن هذه المدرسة إنما هي ذات حدين، الأول بزعامة فرويد والذي يرى بغريزتي الحياة والهدم الضروريتان، وأن اتفاقهما أو تعارضهما إنما يولد نزعة العنف والشر، أما الثاني فهو الاتجاه

السلوكي الذي يرى أن العنف غير فطري وإنما مكتسب ومتعلم عن طريق المحاكاة والتقليد، والدليل أن الفرد إذا ما وجد الظروف المشجعة على العنف زادت عنده هذه النزعة والعكس. وعلى العموم يمكن القول أن هذان الاتجاهان بتعارضهما إنما يضيفان رصيدا معرفيا ثريا لتفسير هذه الظاهرة وفهمها.

2-2-4/ المقـــاربـــة التـــاريخيـــة L'approche Historique:

ترى هذه المقاربة أن الإنسان منذ تواجده على سطح الأرض وهو يتزود بطاقة عنيفة وعدوانية حاول استثمارها من أجل الحفاظ على بقائه، ومن أجل اكتساب القوة والسلطة، لقد بينت الدراسات التاريخية ذلك من حادثة قتل هابيل لأخيه قابيل، وهكذا تعددت الأسباب التي تدفعه إلى هذه السلوكات العنيفة سواء أكانت متأصلة فيه بالفطرة أو أنها مكتسبة من أجل تحقيق غايات وأغراض شخصية. و يعتبر باحثوا التاريخ العنف محركا له، فبمحاولة الفرد السيطرة على الطبيعة والتحكم فيها، بل وتسييرها فيما يخدم نشاطاته بالإضافة إلى سيطرته على أخيه الإنسان، وضع جملة من المبادئ والأفكار التي تبلورت مع مرور الزمن لتصبح عقائد وأعراف متعامل بها عبر التاريخ، يحكم من خلالها على أفعاله إن كانت عنيفة أو مسالمة، وهناك فريق من الباحثين يرى أن العنف لا يمكن إرجاعه إلى طبيعة الفرد كغريزة فطرية كما تدعي ذلك مدرسة التحليل النفسي، بل يعتبرونه وليد الحياة الاجتماعية، وبالضبط لازم ظهور وضعيات اللامساواة بين الأفراد (الطبقية الاجتماعية)، وبروز الملكية الفردية وما نتج عن ذلك من صراعات، حيث يرى" J. P. Sarter" : " أن العنف هو وليد الندرة "، أي ندرة الثروة واحتكارها من طرف طبقة معينة، وأن الصراع الذي نشأ منه العنف إنما سببه الحيرة والخوف من المستقبل وعدم القدرة على التحكم في الإمكانيات وتملكها.

وهناك وجهة نظر أخرى تبناها "Norbert Elias " [3]، حيث يرى: " أن العنف يتراجع تاريخيا ويعود ذلك إلى نمو وتطور الاتجاه نحو التحكم في الغرائز، أو ما يسميه بحضارة الأخلاق La civilisation

1/ زين الدين مصمودي: مدخل نقدي لتفسير ظاهرة العنف، سبق ذكره، 2003، ص 41.

2/ عبد الرحمن عيسوي: مبحث الجريمة والوقاية منها، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1996، ص 157.

3/ http://www.members.fortunecity.com/2000-2001

des Mœurs، وإلى احتكار العنف الشرعي من طرف الدولة ".

ويعتقد أن العدوانية قد تم التحكم فيها تدريجيا عبر التاريخ وتم تهذيبها، بل ويحدد القرن الخامس عشر بالتقريب كبداية لتهذيب السلوكات (إكسابها طابع حضاري يوافق عليه المجتمع) وتخليها عن طابعها الغرائزي. ومن خلال هذه المقاربة نستشف عدة عناصر مهمة لفهم ظاهرة العنف:

- العنف متواجد بتواجد الإنسان.

- لازم كل إنجازاته (حيث أن هذه الإنجازات العلمية والتكنولوجية من جهة والعنف من جهة أخرى)، إنما يشكلان وجهان لعملة واحدة وهي تاريخ الإنسانية.

كل الدراسات ومهما تعددت أشكالها، ثقافية واجتماعية أو سياسية، إنما اختلافها ثراء علمي لفهم هذه الظاهرة، فكما ينظر "فرويد" للعنف على أنه غريزة فطرية، أو أنه سمة طبيعية متوحشة عند "لومبروزو"، أو الإنسان الذئب عند "هوبز"، أو الكائن الطبيعي المقابل الثقافي عند "كانط"، أو كما ينظر إليه على أنه الخطيئة الأولى كما في المسيحية، وغير ذلك من الأبحاث عند "روسو"، و"باولو"، و"بورديو"، وغيرهم من الباحثين، إنما هذا دليل واحد على إشكالية هذه الظاهرة التي كانت ولازالت تؤرق الباحثين[1].

إن العنف يتماشى مع التطور الإنساني، ويبدو أن بصمته لا يمكن محوها من تاريخ الإنسانية، فنشاهده من سنة لأخرى ومن قرن لآخر، وهو يتغير تبعا لتغير طبيعة المجتمع ويمكنه أن يأخذ عدة أقنعة، لكنه لا يختفي أبدا[2].

4-2-3/ المقـــاربـــة الأنثـــروبولوجيـــة L'approche D'anthropologie:

إن هذه المقاربة إنما تتداخل مع غيرها من المقاربات ولا سيما التاريخية والاجتماعية، بحيث تتجه عموما إلى اعتبار ظاهرة العنف ظاهرة ثقافية بالدرجة الأولى، وتذهب إلى أن إدراك وتحديد وتقييم العنف يختلف من مجتمع لآخر، ومن مرحلة تاريخية إلى أخرى.

لكن المتتبع لتاريخ البشرية وحسب الدراسات الأنثروبولوجية يتفق مع هذه الدراسات التي ترى بأن هذا التاريخ إنما هو حافل بالعنف كممارسة فردية أو جماعية، وأنه صاحب كل أطوار التقدم البشري. ويجمع المحللون الأنثروبولوجيون على أن السمة التي كانت تتميز بها المجتمعات قديما هي ما يسمونه بالسلوك البدائي للإنســـان المتوحش[3]، أي سمة الوحشية الطبيعيـــة التي تناولها لومبروزو في نظريته نحو

1/ العربي فرحاتي: العنف وجه آخر للحداثة، مداخلة بالملتقى الدولي، بسكرة، سبق ذكره، 2003، ص 151.

2/ Yves Tyrode & Stéphane Bourcet : Les Adolescents violents – clinique et prévention, ©-Dunod, Paris, 2000, p. 39.

3/ العربي فرحاتي: المرجع السابق، ص 147.

العنف، وهذه السمة كانت بداية من قتل أحد أبناء آدم لأخيه " قتل هابيل لأخيه قابيل" حفاظا على البقاء ورغبة في السلطة وفرض القوة، وهذه النزعة البدائية والأصيلة في الإنسان إنما لازمته طوال إنجازاته التاريخية والحضارية، وأثبتت دوما سعيه لتحقيق أهدافه مهما كلفه الأمر، وطموحه للارتقاء والمجد ونشدانه لأفضل الحياة، وبكل الطرق سواء بفرض ذاته على الغير واستعمال القوة والقهر والاستعباد، كما نلمح ذلك في تاريخ الفراعنة في الحضارة المصرية. والاستبداد لأخيه الإنسان مرورا بكل مراحل

تطور المجتمعات من طور الوحشية البدائية إلى طور القبيلة، ثم الملوكية والألوهية، كما ذكرها الدكتور خليل سعادة[1] في دراسته مستدلا بأن الحضارات الشرقية القديمة البابلية والآشورية والفارسية والفينيقية والهندية والصينية، رغم مساهمتها المبكرة في تقدم البشرية نحو التمدن والتحضر، إلا أن لها وجها آخر للعنف مارسته وبوحشية تجاوزت صوره المظاهر الطبيعية العادية، كإيذاء البدن إلى المس بالكرامة والحرية، حتى سقطت علاقة الإنسان بأخيه الإنسان في النموذج الفرعوني - كما سبق الذكر - إلى حدودها الدنيئة.

كما أن الديانات والمعتقدات تعرضت لكل أنواع القمع، ومنها المسيحية في بدايتها حيث تعرض المسيحيون لأشد أنواع التعذيب على يد الوثنيين الرومان، وتعرض الإسلام بدرجة أكبر إلى كل أنواع العنف والحصار والقمع، منذ بداية نشر الإسلام إلى وقتنا الحالي.

وحسب الباحث الأنثروبولوجي " Renè Girard " [2] الذي يرى بأن المسيحية هي الديانة الوحيدة التي ترفض وتدين كل أنواع العنف وتدعوا إلى السلم، رغم ما تعرضت من حصار واضطهاد. وفي أول دراسة لهذا الباحث عام 1961 " Mensonges Romantiques et vérité Romanesque " أو في إنجازه لعام 1978 " Les choses cachées depuis la fondations du monde "، حيث درس النصوص القديمة والطقوس الإغريقية والديانات، كالتوراة وتحدث مطولا عن مفهوم " كبش الفداء" الوارد في قصة إبراهيم الخليل، وفي هذه النقطة إنما يتفق مع " غاستون بوتول "[3]، الذي أدرج هذه الفكرة لكن ضمن عقدة إبراهيم، مضيفا إليها عقدة كبش الفداء وعقدة ديموقليس[4] في تفسيره للعدوانية.

1/ فرحاتي العربي: العنف وجه آخر للحداثة، ملتقى العنف والمجتمع، سبق ذكره، 2003، ص 151.

2/ Les Approches de la violence, la théorie de René Girard : http://www.protestants.org/textes/violence/fuchs.htm

3/ توماس بلاس وآخرون: العنف والإنسان، أربع دراسات حول العنف والعدوان، ترجمة عبد الهادي عبد الرحمن، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1990، ص 13.

4/ المرجع السابق، عقدة ديموقليس: هي أحد العقد المنتجة لفعل العنف حسب غاستون بوتول التي ذكرها في كتابه "السلم المسلح "، وحسب رأيه فهي تتجلى في مظهرين: (الإحساس بضعف المصير، فيؤول الأمر إلى الاستسلام والانقياد)، والبحث من جهة أخرى عن من علق السيف فوق الرأس فيظهر الشجاعة وتعنيف السلوك ضد مصدر الخوف، فالخوف إذا يولد الاستسلام كما يولد العنف في علاقات الاضطهاد، ولا سيما الاضطهاد الدولي والسياسي والاجتماعي.

ويرى " جيرار " أن كبش الفداء الذي كان يرمز إلى التضحية حينما حاول إبراهيم ذبح ابنه إسماعيل فحل محله الكبش الذي نزل من السماء، إنما ذلك تعبير عن حالة الخوف والصراع ما بين الأجيال، أي بين جيل الآباء والأبناء، وخوف الأب من جحود خليفته دفعه إلى محاولة ذبحه، وهذا أقصى أنواع العنف. ويضيف أن التاريخ حافل بمثل هذه القصص التي تعبر عن هذه الصراعات، كقصة "فيليب المقدوني" و"إيفان الرهيب" وغيرهم من الملوك الذين أعدموا ورثتهم. إن هذه القصص أو غيرها

إنما تشير إلى حالة الخوف والصراع الذي لازم تواجد الإنسان وإن تعددت مظاهره، ويستنتج "جيرار" أن التطور التاريخي البشري حول ذلك الكبش إلى إنسان وأصبح هو الضحية، ويضيف بأن معظم الطقوس والعادات وحتى الديانات التي يعتبرها الإنسان محكا يحكم من خلالها على أفعاله بالخطأ أو الصواب، إنما منشؤها مأساوي عنيف، لأنها قامت في الأساس على بذرة من العنف، كالقتل والاغتصاب والنهب والاستعباد، وحتى أنها اتخذت مظاهر مخزية ومعيبة، شأنها شأن الكثير من القصص التي تحولت مع مرور الزمن إلى عادات وطقوس الواجب إتباعها، ويضيف دائما أننا ننسى أو نتناسى منشأها الدموي ونتعامل معها كأحكام الواجب الامتثال لها، لذلك فهو يرى بأن العنف من المعطيات الضرورية لتواجد الإنسان وهو قائم على الفطرة والغريزة[1].

والدراسات الأنثروبولوجية تعتبر العنف - كما ذكرنا سابقا - ظاهرة ثقافية وإنسانية تختلف من مجتمع إلى آخر، ومن مرحلة تاريخية إلى أخرى، وعليه فإنه عند تحديد مفهوم العنف لا بد من العودة إلى مثل هذه المرجعيات والمعايير التي تسمح لنا بالحكم على عنف تلك الأفعال أو الوضعيات المتغيرة تاريخيا وثقافيا حتى وإن كانت بعض حالات العنف هي محل إجماع لا نقاش فيه، كالقتل والضرب والخنق ... فإن حالات أخرى هي محل نقاش كالعنف العقابي وأحكام الإعدام والعنف التأديبي (ضرب الزوج لزوجته في حالات معينة، وتهذيب الأطفال ...)، وبعض العادات كختان البنات في شمال إفريقيا خاصة في مصر، وغيرها من الأفعال والممارسات التي تعتبر أحيانا مقبولة ولا نرى فيها العنف بالنظر إلى نسق القيم والمعايير المتأصلة تاريخيا وثقافيا في هذه المجتمع أو ذاك[2].

كما أن هناك مجتمعات تثمن السلم، وأخرى تثمن العنف والحرب كما بينت ذلك الباحثة الأنثروبولوجية" Margaret Mead[3] في كتابها Mœurs et Sexualité en Océanie عند دراسة خصائص

1/ Les Approches de la violence, la théorie de René Girard : http://www.protestants.org/textes/violence/fuchs.htm

2/ ابراهيم بلعادي: العنف المفهوم والأبعاد، الملتقى الدولي، بسكرة، سبق ذكره، 2003، ص 18.

3/ Margaret Mead : Mœurs et Sexualité en Océanie, Trad G. Cherassus, Paris, plon, 1963.

كل من "الأرباش Les Arapesh" و"المندقمور Les Mundugumors"، أن الأوائل لا يحاربون ولا ينظمون غزوات النهب والاستيلاء، ولا يعتقدون أن المروءة والفحولة تكمن في القتل، بل تكمن في الحكمة والتعقل والتعاون بدل الحسد والغيرة، ومثلهم الأعلى هو الرجل الحكيم والحساس، وعكسهم توجد قبائل "المندقمور Les Mundugumors" ، فهم متوحشون ويعيشون بعدوانية جنسية ويتميزون بالغيرة والحسد وسرعة التأثر والأخذ بالثأر، ومثلهم الأعلى هو الرجل العنيف والعدواني.

وخلاصة القول أن المقاربة الأنثروبولوجية إنما هي متداخلة ومتشابكة مع المقاربة الاجتماعية والتاريخية، وهي ترى أن لكل مجتمع عادات وطقوس وديانة، ومزيجهم يشكل المعيار الذي يرجع إليه أفراد ذلك المجتمع للحكم على أفعالهم وتصرفاتهم بالعنف أو دون ذلك، وأن لكل حقبة تاريخية ولكل مجتمع خصائص تميزه، لكن ما يتفق عليه الجميع أن ظاهرة العنف هي ظاهرة إنسانية وتاريخية كانت ولا زالت تهدد الكيان البشري من كل النواحي.

4-2-4/ المقـــاربـــة السوسيـــو - اقتصـــادية L'approche Socio- Economique:

من المتفق عليه أن الإنسان هو الكائن الحي الوحيد الذي يتأثر ويؤثر اجتماعيا، يتأثر بأسرته وبمجتمعه وتاريخه وعاداته وطقوسه وكل ما تعلمه خلال تنشئته الاجتماعية، وكذلك في نفس الوقت فإنه يؤثر في غيره ممن يحيطون به، فيساهم في بناء شخصيتهم وبلورة حياتهم ويشارك في رسم الأطر التي يتحركون ضمنها[1].

وينتج عن ذلك الاحتكاك والتفاعل المتبادل خلق جملة من القيم والعادات، أو بالأحرى معايير(قواعد غير مكتوبة تحدد السلوك المقبول من غير المقبول في حالات معينة) التي يتعامل بها المجتمع الواحد، حيث يلقنها ويغرسها في أفراده من خلال التنشئة الاجتماعية، عبر مؤسساته المختلفة انطلاقا من الأسرة إلى المدرسة...، وهذه المعايير إنما تتجسد في مجمل السلوكات التي يقوم بها الفرد مهما كانت نوعية وشدة هذا السلوك الذي عادة يتراوح ما بين اللين والرفق، كالتسامح والمعاملة الطيبة والتعاون والحب، إلى سلوكات أكثر شدة وغلاظة ،كالعنف بكل أشكاله معنويا كان أو ماديا، فرديا أو جماعيا.

فالعنف كسلوك متعلم اجتماعيا تحدده البيئة الاجتماعية وميول الأفراد، بالإضافة إلى دعم قوانين بعض الدول التي تراه سلوكا مناسبا لا بد أن يتعلمه الأفراد، حتى أن برامج التدريبات العسكرية دليل واضح لما يمكن أن يفعله التعليم لتقوية المواقف المثيرة للعنف، حيث تستقبل الأكاديميات العسكرية الشباب الصغار من مختلف فئات المجتمع، ويعرضون لهم برامج ويلقنونهم أساليب وسلوكات عنيفة اتجاه العدو، وإن كان هذا النوع من العنف - عنف دفـــاعي مبرر - مطبق في مختلف أنحاء العالم، فإن هناك

1/ جليل وديع شكور: الأهل وأثرهم في تحديد طموح الأطفال، مجلة الثقافة النفسية، العدد 6، المجلد 2، 1991.

ثقافـــات أخرى تعتبره عنفا في حد ذاته.

هذا وإن الظروف الاجتماعية تلعب دورا مهما في تحديد سلوك الفرد، ونقصد بها بيئة الفرد التي يحيا فيها وتشمل كل ما أخذه من معايير ثقافية واجتماعية تسمو به نحو الإنسانية، ولذلك فإن غياب التنشئة الاجتماعية والقطيعة ما بين طبقات المجتمع إنما تؤدي إلى عدم الثبات، والتحول في المجتمع والذي يتجسد في زوال الانتساب، وبالتالي زوال الهوية الثقافية والاجتماعية[1]، وهذا ما يظهر في سلوكات

كامنة كالعنف، حيث بينت الدراسات والأبحاث في الشروط السوسيو- اقتصادية أن الظروف كالبطالة والمرض المزمن، الاغتراب والإمكانيات المادية الضئيلة... بالتزامن مع الظروف الاجتماعية كأحادية الأبوين- وفاة أو انفصال الأبوين- المشاكل الأسرية...، كلها تهيئ الظروف وتمهد لظهور العنف.

وبالإضافة إلى كل هذا يوجد دافع آخر يتمثل في القهر الاجتماعي[2] مما يحتويه من الازدراء والسخرية والاستهزاء، ولا يتوقف عند هذا الحد فحسب بل يتعداه إلى أشكال أخرى كعدم المساواة وعدم تكافؤ الفرص واغتصاب الحقوق، واختلاف اللغة، وانعدام العدالة في بعض المواقف، واستغلال المنصب أو السلطة (عنف مؤسساتي) لإذلال الغير، وغيرها من المظاهر الكفيلة بتفجير العنف مهما كان نوعه.

هذا من المنظور الاجتماعي، ونفس الشيء من الناحية الاقتصادية، حيث يرى علماء الاقتصاد أن فهم ظاهرة العنف لا يتم دون الكشف عن لعبة الجماعات المسيطرة التي تستغل القوى الطبيعية وثروات المجتمع، ووسائله التقنية لخدمة مصالحهم الضيقة والمتخفية غالبا خلف إكراهات توصف عادة بأنها حتمية اقتصادية[3].

كما يرون أن العنف مرتبط بالتنافس والصراع من أجل الكسب وتلبية الحاجات الضرورية المحققة من أجل البقاء والسيطرة، ونضيف إلى كل هذه العوامل ما سبق الحديث عنه من الظروف الاقتصادية الحرجة التي يعيشها الفرد من ضعف الراتب أو انعدامه، إلى الواجبات الضخمة (المصاريف العائلية) والعوز والحاجة للماديات، وكل هذه الظروف إنما تهيئ لبروز العنف الذي يتخذ عدة مظاهر:

- الظلم والسيطرة الممارسين من قبل أقلية غالبة.
- التشريعات والقوانين المتعسفة التي تضعها الأقلية من المجتمع لحمـــاية مصالحها.

1/ Girard Pirlot : Violence et souffrances à l’Adolescence, Psychopathologie, psychanalyse et anthropologie culturelle, L’Harmattan, Juin 2003, p. 45.

2/ زين الدين مصمودي: مدخل نقدي لتفسير ظاهرة العنف، مداخلة بالملتقى الدولي،2003، بسكرة، سبق ذكره، ص 46.

3/ شيبي أميرة: أثر العنف والصدمة النفسية على الأطفال ضحايا الإرهاب، رسالة ماجستير، قسم علم النفس، جامعة منتوري، قسنطينة، 2001/2002، ص 22.

- التعسف في توزيع الثروة واستخدامها بطرق غير عادلة من قبل الأقليات المسيطرة[1].

ومما سبق يتضح لنا أن الوضع الاجتماعي والاقتصادي له تأثير كبير في بناء وتسيير شخصية الفرد، فكما أن الفرد يحتاج إلى قيم ثقافية واجتماعية لتأطير تنشئته وتكوين شخصيته، التي يستمدها من العادات والطقوس التي تزوده بأنماط سلوكية وتصرفات يرضى عنها المجتمع، فإنه كذلك بحاجة إلى دعائم اقتصادية تحفظ وجوده من دخل مادي ومسكن ملائم وظروف أخرى تسمح له بالتكيف

الإيجابي مع هذا المحيط الذي يحيى فيه، ولقد بينت الدراسات أن المحيط الاجتماعي والاقتصادي السيئ يلعب دورا بارزا في ظهور سلوكات عنيفة وعدائية لدى الأفراد، كانحراف الأحداث والإجرام والمخدرات والسوق السوداء وغيرها...

إن العنف ينشأ في المجال الاجتماعي، وعند بعض الكتاب والباحثين فهو مجرد تعبيرات أو نتاج لصراع طبقي، ويأتي في المقدمة الصراع بين الأفراد المنحدرين من الطبقات الراقية والأفراد المنحدرين من الطبقات الكادحة[2]. إن هذا المفهوم أو الرأي يعود إلى الباحثة " Engele " التي تقول بأن العنف محدد بعوامل اقتصادية. ولعل جذور العنف الاجتماعي ترجع بالبحث في التناقض بين الطبقات الاجتماعية ومختلف وسائل وأدوات الإنتاج حسب " Duhring " الذي عارض نظرية "Engele "، حيث أن هذا الكاتب يرى بأن العنف هو مسبب لظاهرة استغلال الإنسان من طرف الإنسان، التي تحدد تقارير الإنتاج، كما يعتبر أن " العنف هو محرك التاريخ " من خلال المعارك بين الطبقات الاجتماعية والتي ليست إلا انعكاسا للغريزة الإنسانية للعنف[3].

5/ المقـــاربـــة البيـــولوجيـــة L'approche de biologie :

وتفسر العنف على أساس وراثي، ويرى أصحاب هذا الاتجاه أن الشخص العنيف: " لديه استعدادات وراثية وتركيبة نفسية مميزة، جعلته يتجه اتجاها يتصف بوراثة جهاز عصبي سريع الاستثارة "[4]، وفي نفس السياق تشير" آمال عبد السميع" و"حلمي المليجي" إلى " أهمية نشاط الجهاز الطرفي، والهيبوتلاموس بالنسبة للعدوان "[5]، ويذهب " عزت الطويل " إلى اعتبار: " الأسباب البيولوجية استعدادات وراثية لا تصبح بالضـــرورة مقلقة، وإنما توجد عوامـــل مباشرة تفجر موقفا ما

1/ العياشي عنصر: الأشكال المعاصرة للعنف وثقافة السلم، كجلة المرصد الوطني لحقوق الإنسان، منظمة اليونسكو ومساهمة المنظمة العالمية للصحة، 20-22 سبتمبر، ص 76-77.

2/ Yves Tyrode & Stéphane Bourcet : Les Adolescents violents – clinique et prévention, ©-Dunod, Paris, 2000, p. 44.

3/ Yves Tyrode & Stéphane Bourcet : Les Adolescents violents – clinique et prévention, op- cit, p. 45.

4/ عزت الطويل: سيكلوجية العنف في عالمنا المعاصر، أسباب العنف: http://elazayiem.Com/new, p47htm, 2002

5/ آمال عبد السميع وحلمي المليجي: الشخصية والاضطرابات السلوكية والوجدانية، طـ1، مكتبة الأنجلو المصرية، 1997، ص 85-86.

ليتحول إلى واجهة سلبية من الحياة الاجتماعية تتأثر بالعنف" [1]. وهذا تأكيد على عدم وجود شخص عنيف بطبيعته المكتسبة، بل إن العنف هو نتيجة لتفاعل عوامل بيولوجية ونفسية واجتماعية.

إن العنف الفردي أو الجماعي هو شكل مكمل للإنسانية بحيث يشكل جزء هام من تراثها، وكذلك يغذي الذاكرة المتوارثة بين الأجيال وهذا بفضل الخيال الجماعي، وفي نهاية المطاف يسوي

العلاقات ما بين الإنسانية، وفعليا فإن فقدان معالم الطقوس وسماتها هي تصورات مرتبطة بمزيج إنساني يطغى على مجتمعنا بنفس العناوين التي تكونه[2].

ومن خلال ما سبق عرضه من المقاربات التاريخية والأنثروبولوجية، النفسية، والسوسيو-اقتصادية وأخيرا البيولوجية، يتضح لنا أن العنف ظاهرة معقدة وشائكة بتعقد الظروف التي تحيط بالإنسان، كما أنها ظاهرة تنحو إلى مسارات عديدة تبعا لتقدم المجتمعات في كل الميادين، وإن اختلفت بعض هذه المجتمعات في الحكم والإدانة لبعض السلوكات، فإنها تتفق في مجملها على سلبية هذه الظاهرة تبعا لما تتركه من آثار عليها، ورغم كل ما قدمه الإنسان من رقي وازدهار وتقدم علمي شمل معظم إشكاليات الحياة، إلا أن مشكلة العنف تؤرق استقراره وتزيد من قلقه اتجاهها، فهي تتفاقم يوميا وتتطور أشكالها بتطور أساليب الحياة.

1/ عزت الطويل: سيكلوجية العنف في عالمنا المعاصر، أسباب العنف: http://elazayiem.Com/new, p47htm, 2002

2/ Yves Tyrode & Stéphane Bourcet : Les Adolescents violents – clinique et prévention, ©-Dunod, Paris, 2000, p. 49.

أنـــواع العنـــــف:

تعد ظاهرة العنف من الظواهر التي لقت صدى وحظيت باهتمام كبير، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على خطورتها المتفشية في كل المجتمعات على حد سواء، المتخلفة منها والمتقدمة، القوية منها والضعيفة، وإن كان معظم الباحثين يجمعون على ذلك فإنهم قد يختلفون في تصنيف أشكال هذا العنف، ولكي نكون أكثر إلماما لبحثنا هذا، سنحاول ذكر أهم هذه التصنيفات والأكثر بروزا على الساحة العامة، ويمكن تقسيمه إلى:

أ/ من حيـــث الشكـــل: ويقسم إلى عنف مادي وعنف معنوي، وقبل البدء في إعطاء مفهوم حولهما لابد من التفريق ما بين العنف المادي والعنف الجسدي:

* **العنـــف المـــادي:** هو الذي يلحق أضرارا ملموسة بالممتلكات، مثل حرق المزارع والعقارات الثابتة والمتنقلة، وتهديم البنايات العمرانية والمنشآت الاقتصادية، وسرقة الأشياء أو تخريبها، وإتلاف بعض المواد مثل الوثائق أو الغذاء أو غيرها...، بينما العنف الجسدي هو الذي تستخدم فيه القوة الجسدية بشكل متعمد اتجاه الآخرين من أجل إيذائهم وإلحاق أضرار جسمية بهم، وهذا ما يدعى بلوي عضو أو عوجه، وذلك كوسيلة عقاب غير شرعية، مما يؤدي إلى الآلام والأوجاع وإلى معاناة نفسية جراء تلك الأضرار والتي قد تعرض صحة الفرد إلى الخطر. ومن أمثلة العنف الجسدي: الضرب، الحرق، الكي بالنار ورفسات الأرجل (ركلات)، خنق ضرب بالأيدي، أو استعمال أدوات أخرى (صلبة - حادة - مسننة...)، ودفع الشخص، لطمات...وغيرها من الحركات والأفعال الممارسة بالقوة الجسدية بغية إلحاق الألم والضرر بالشخص الآخر. وعليه يمكننا القول بأن العنف المادي والجسدي وإن اختلفا بالهدف الملحق به الضرر، فإنما يتفقان بالطريقة التي تلحق ذلك الضرر، سواء بالإنسان في حد ذاته، أو بالإنسان والممتلكات والعقارات، كما يمكننا من خلال هذا التفصيل أن نقول بأن العنف المادي أشمل من العنف الجسدي.

* **العنـــف المعنـــوي**[1]: ويصطلح عليه بالعنف النفسي أو الفكري أو الذهني، وهو العنف الذي يمارس من خلاله التسلط على الأفكار والمشاعر، وتكبح فيه المبادرات الذهنية، واختيارات الفرد والجماعات، وتفرض فيه تبعية فكرية معينة، مع محاولة محو نمط التفكير السابق، ويعرفه البعض بأنه: " ممارسة التهديد باستعمال المتفجرات أو غيرها من الأساليب من أجل إثارة القلق النفسي والشعور بعدم الأمن واللاإستقرار، وإشاعة الرعب والخوف بين السكان، لخلق جو من التوتر وإضعاف المعنويات، كأسلوب من أساليب الضغط، وفرض المفاهيم التي تروج لها جماعة إرهابية أو عدوانية ".

1/ عبد الكريم قريشي: العنف في المؤسسات التربوية، مداخلة بالملتقى الدولي، بسكرة ،2003، سبق ذكره، ص 436.

وقد برز هذا النوع من العنف في شكل اغتصاب الوعي وغسل العقول وغيرها من الأساليب التي تؤدي إلى الشعور بالاغتراب، كما يوصف هذا النوع أيضا بالاضطهادي [1] .

والعنف المعنوي أو النفسي يضم كذلك نوع آخر يسمى بالعنف الرمزي، والذي هو استخدام الغير مباشر لوسائل القوة والقهر والإخضاع، بل يظهر كرموز وهي ذات أثر نفسي عميق.

ويعتبر العنف المعنوي أخطر من المادي، كونه يمتاز بضغوط على الفرد وهاته الأخيرة إنما تقيد من حريته وتؤدي به إلى حالة نفسية مزرية، كالإحباط والألم النفسي والصراع الذي يعيشه.

ب/ مــــن حيــــث الأداء:

* **العنـــف الفــــردي:** وهو العنف الذي يلحق الأذى بالسلامة الجسدية أو المعنوية لشخص ما، وقد يكون المتضرر من هذا العنف الشخص الممارس له ذاته إذا وجه الاعتداء نحو نفسه، ومن مظاهر العنف الفردي الانتحار[2]، تعاطي المخذرات، الكحول بكل أنواعها، وحتى ممارسة الدعارة... وفي ذلك إيلام للنفس وهذا إن عبر عن شيء فإنما حسب المحللين النفسانيين هو تعبير عن الجرح النرجسي، الذي يصيب ذلك الفرد فينتقم لنفسه من نفسه، وهذا العنف حسب " Y Morhain ": " طريقة للقيام بالتصريح بالحقيقة إلى الخارج من أجل التعبير عن حقيقة داخلية... "[3]، كما قد يكون المتضرر من العنف شخص آخر إذا ألحق به أذى جسدي أو معنوي أو مادي، كالمساس بسلامة شخصه بالقتل أو الضرب والجرح والتعدي على حريته وحقوقه مثل: حقوقه الإنسانية، حرية رأيه، حرية معتقده ودينه...

* **العنـــف الجمـــاعـــي:** وهو الذي يستعمل من طرف مجموعة من الأفراد ضد فرد أو مجموعة أفراد آخرين باستخدام القوة والتهديد...الخ، ومن مظاهره أن يمارس العنف من طرف مجموعة ضد الدولة، أو أن تمارس الدولة العنف ضد الأفراد...الخ، ومن أمثلة ذلك الإرهاب والعصابات. ومعروف أن العنف قد يكون فرديا أو جماعيا كما هو الحال في الحرب التي تستخدم القتل والتدمير والتخريب الجماعي، وقد تتعرض بعض الجماعات للسلب والنهب والسرقة والقتل والتخريب كما يحدث في حالات المظاهرات الصاخبة، أو حالات العصيان والتمرد الجماعي[4] مثلما نلحظه في كثير من الدول المتقدمة منها والمتخلفة.

1/ مصطفى عمر النير: الأسرة العربية والعنف، معهد الإنماء العربي، العدد 83، 1996، ص 23.

2/ Armand Touati : Violences de la réflexion à l'intervention, avec Eugène Enriqez…© cultures en mouvement presses universitaires de France, 2004, p. 70.

3/ Yves Tyrode & Stéphane Bourcet : les adolescents violents,2000, op-cit, p. 49.

4/ عبد الرحمن عيسوي: مبحث الجريمة، دراسة في تفسير الجريمة والوقاية منها، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1992، ص 157.

ج/ من حيـــث أسلـــوب الأداء: ويمكن تقسيم العنف إلى:

*** عنـــف مبـــاشـــر:** وهو العنف الموجه للمصدر المتسبب في إنتاج السلوك العنيف، على اعتبار أن ممارسة العنف كسلوك عدواني، يكون في الغالب رد فعل لسلوك أو أفعال من طرف أو من أطراف أخرى.

*** عنـــف غير مبـــاشـــر:** وهو العنف الموجه نحو جهة أخرى لها علاقة بالمصدر الأصلي المتسبب في السلوك العنيف، ويطلق على هذا النوع بالعنف الخفي أو المقنع، بحيث لا يظهر بشكل مباشر وإنما عن طريق مؤشرات يحاول العنيف من خلالها إلحاق الأذى والألم بغيره فردا كان أو جماعة دون أن يتصدى له وجها لوجه، لذلك يسميه البعض الآخر بالعنف الرمزي، والذي هدفه إلحاق الأذى سواء كان مادي أو نفسي. بينما يمكننا القول عن العنف المباشر أنه المواجهة الصريحة ما بين العنيف وضحيته مهما كان فردا أو جماعة، وعادة ما يكون الألم والضرر مادي وجسمي أكثر منه نفسي.

د/ من حيـــث التنظيـــم (1): يصنفه بعض الباحثين إلى صنفين:

*** عنـــف منظـــم:** ويتم بصورة منظمة ومهيأة مسبقا، وغالبا ما يتخذ طابعا جماعيا منظما، كالعمليات الإرهابية والإجرامية.

*** عنـــف غـــير منظـــم:** وهو يندلع بصورة عفوية كردود أفعال على أوضاع مزرية أو قرارات تعسفية سواء بشكل فردي أو جماعي، وغالبا ما تكون جماعية، مثال ذلك: المظاهرات التي تظم أعمال الشغب والعنف والانقلابات سواء عسكرية أو مدنية وغير ذلك من أعمال العنف.

هـــ/ من حيـــث الموقـــع (2): ويمكن تصنيفه إلى:

*** عنـــف محلـــي:** وهو العنف الذي يتم داخل الوطن أو الجماعة ذاتها، وعادة ما يكون بين أفراد نفس الجماعة، سواء العنيف أو الضحية وتتخذ عدة أشكال سواء فردي أو جماعي، ومن مظاهره: عنف المواطنين ضد الدولة وأجهزتها، أو عنف الدولة ضد المواطنين والجماعات...الخ.

*** عنـــف دولي:** وهو شكل آخر من العنف يعبر على شمولية الصراع فيه بين الدول، ويبرز في شكل حروب وفرض الحصار (على العراق مثلا) من طرف بعض الدول على بعضها الآخر...الخ.

ومن هنا يمكننا القول أن للعنف مظاهر عديدة وكثيرة، وكل باحث يضع التصنيفات تبعا للنظرية التي يرى بها العنف، لكن على العموم لا يمكن حصر هذه الأصناف إلا أننا سندرج تصنيفا آخر

1/ ابراهيم توهامي، اسماعيل قيرة، عبد الحميد ديلمي: التهميش والعنف الحضري، مخبر الإنسان والمدينة، جامعة منتوري، قسنطينة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، 2004، ص 45.

2/ الطيب نوار: العنف والمجتمع، الملتقى الدولي، بسكرة،2003، سبق ذكره، ص 183.

يشكل نقطة الخلاف ما بين الباحثين، ولعل هذا الخلاف إنما هو راجع إلى جملة المقاربات التي تفسر هذه الظاهرة، سواء أكانت تاريخية أو نفسية أو حتى أنثروبولوجية أو اجتماعية، ولأن هذه الظاهرة سارية في طريقها نحو التعقيد بتعقد الحياة وتشابك المعايير والقيم، فإن هناك من يقسم العنف إلى:

و/ العنف المشروع والعنف الغير مشروع:

* **العنـــف المشـــروع:** هو على حد رأي بعضهم العنف الذي يستخدم كل أنماط القوة لاستعادة حق مسلوب أو رفع الظلم واستعادة الممتلكات سواء كانت وطنا أو أرضا، وهو العنف المستخدم في حالات الدفاع عن النفس، وهناك من يسميه بالعنف الثوري الذي يهدف إلى تحرير الإنسان من الظلم والاستغلال[1] والاستعمار ويكنى بالعنف المحمود، واعتمادا على مصادر ابن تيمية[2]، الذي يقدم تعريفا نظريا للعنف المحمود باعتباره وسيلة للترويض وينبع من مبدأ الذكورة، حيث يقول: " أن الدين والسياسة والعائلة من ناحية الترويض السياسي تنبع من مبدأ الذكورة، فالعنف بما هو وسيلة للترويض يقع موقع المركز من المؤسسات الأربع: الأبوة والحكم والزوجية والألوهية "، مستشهدا بالربط الذي يقيمه ابن تيمية بين الإمام ورب العائلة، مؤكدا أن العنف التأديبي مثلا لا يقوم به إلا من أوكل لهم أمر التأديب والإصلاح، أعني الآباء والأزواج والأسياد، وهو ما يتفق مع مبدأ الذكورة.

إن المقصود بالعنف المحمود عند ابن تيمية هو ذلك العنف المستعمل في تأديب الزوج لزوجته في حالة العصيان في حدود ما يسمح به الدين، كذلك في تأديب الأولاد لأداء الصلاة...، وكل هذا بغرض الإصلاح في التصرفات وليس بهدف الإهانة والتحقير.

* **العنـــف الغير مشـــروع:** وهو كل استعمال للقوة بغرض الاحتفاظ بما ليس ملكا سواء أكان لفرد أو جماعة، وهو الذي يخالف المعايير الاجتماعية أو الأخلاقية وحتى العقائدية والقانونية على اختلاف أساليبها[3]، ويسمى أيضا بالعنف المذموم والذي يحدد بالانتهاك والتعدي والضرر، ويتجلى في الأعمال المنافية والمعارضة للأحكام والنظام الاجتماعي "كالزنا والانتحار، والضرب والجرح، والحروب والكفر، والارتداد، ويسمى هذا العنف بالعنف السلبي، بينما العنف المشروع فيسمى بالعنف الإيجابي" [4].

بالإضافة إلى كل هذه الأنواع إلا أن هناك عدة أشكال يظهر من خلالها العنف: في المدرسة والعائلة، الـــجامعة، في السجون، وفي الحيـــاة العامة، في الأندية، والأحزاب السياسية والدينية، وهو في

1/ فيليب بارنو، آلان بيرو، رامون بلان: المجتمع والعنف، ترجمة إلياس زحلاوي، مراجعة أنطوان مقدسي، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1975، ص .33

2/ http://www.rezgar.com/debat/show.art.asp?aid=20780

3/ فليب بارنو، آلان بيرو، رامون بلان: المجتمع والعنف، ترجمة إلياس زحلاوي، 1975، المرجع السابق، ص 33.

4/ / http://www.rezgar.com/debat/show.art.asp?aid=20780

مجمله يؤدي إلى إلحاق الضرر بالأشخاص أو بالممتلكات. وحتى نكون أكثر إلماما بذلك سنحاول فيما يلي ذكر أهمها.

أشـــــكال العنـــف:

1/ العنـــف الأســـري: وهو الذي يحدث داخل الأسرة، ويعرف بأنه : " أحد أنماط السلوك العدواني الذي ينتج عن وجود علاقات غير متكافئة في إطار نظام تقسيم العمل بين المرأة والرجل، داخل الأسرة وما يترتب عن ذلك من تحديد لأدوار ومكانة كل فرد من أفراد الأسرة، وفقا لما يمليه النظام الاقتصادي الاجتماعي السائد في المجتمع "[1]، وهذا يعني العنف الممارس من الرجل ضد المرأة (العنف الزوجي)، لكن العنف الأسري أشمل منه لأنه يضم كل أفراد الأسرة ولا سيما الأطفال، حيث نشهد في كل أنحاء العالم أنواع العنف والاضطهاد والتحرش الجنسي الممارس ضدهم باختلاف المجتمعات والطبقات الاجتماعية.

ويعرف العنف الأسري أيضا بأنه: " كل استخدام للقوة بطريقة غير شرعية من قبل شخص بالغ في العائلة ضد أفراد آخرين من هذه العائلة "[2]، وحسب العديد من الدراسات التي أجريت حول هذه الظاهرة، فإنه يمكن إرجاعه إلى ثلاثة دوافع أو عوامل:

أ/ عـــوامـــل ذاتيـــة: وهي النابعة عن الإنسان نفسه، وتنتج تبعا لنوعية التنشئة الاجتماعية التي يتلقاها الفرد، وكذلك من خلال التعلم والمحاكاة واكتسابه صفات العنف التي شاهدها خلال طفولته (ضرب الزوج لزوجته على مرأى من الأطفال، كذلك الشجار والشتم والإهانة...).

ب/ عـــوامل اجتمـــاعيـــة: تتمثل في العادات والتقاليد التي اعتاد المجتمع غرسها في عقول الأشخاص وخصوصا جنس الذكور، حيث أن هذه المعايير الاجتماعية تتطلب قدرا من الرجولة لإدارة المنزل وشؤونه، وهذه الرجولة تثبت بفرض القوة والعنف كحل بسيط ومبدئي (نلمح هذا جليا في المجتمعات العربية أكثر من غيرها).

ج/ عـــوامـــل اقتصـــاديـــة: العنف هنا يحدث بسبب تفجير ثورات الغضب والإحباط الذي يصيب الفرد، خصوصا رب العائلة بسبب الفقر والبطالة وغلاء المعيشة وصعوبتها.

وعليه فإن العنف الأسري أو العائلي يحدث بسبب عوامل عديدة ومتداخلة، سواء أكانت فردية ذاتية، أو اجتماعية أو اقتصـــادية أو غيرها، وغالبا ما تكون المرأة هي الضحية الأولى في العنف الأسري سواء كان العنف مـــادي جســـدي (كالتكبيل والضرب والحرق...) أو معنوي (كالشتم والإهانة

1/ http://www.alittihad.ae/details.asp?a=1&channel=76&journal=3/8/2005&id=1748

2/ http://www.alittihad.ae/details.asp?a=1&channel=76&journal=3/8/2005&id=1748

والقذف...)، ويعد العنف ضد المرأة من المحاور الأساسية التي أخذت الحيز الكبير من الدراسة سواء في الدول المتقدمة أو في دول العالم الثالث. والعنف الأسري يشمل كل ما يحدث من أعمال عنف ضد أي فرد في الأسرة من طرف فرد أو أفراد من نفس تلك الأسرة.

2/ العنـــف المـــدرسي: وهو نوع آخر من العنف الأكثر شيوعا في الأوساط التعليمية، ويطرح جملة من التساؤلات عن أسبابه وعن نتائجه التي هي لا محال وخيمة. ويعرف العنف المدرسي على أنه: " العنف الممارس في إطار مؤسسة المدرسة "، ومن أوجهه: العنف الممارس من طرف المعلمين على التلاميذ (الضرب، التهميش، السب، الشتم، التحقير...)، وكذلك عنف التلاميذ فيما بينهم (الشجار)، وأيضا عنف التلاميذ على المعلمين (في الطور الثانوي خاصة)، وعنف إداري يمارس على المعلمين وعلى التلاميذ.

أما الأسباب الكامنة(1) خلف هذه الظاهرة فهي كثيرة ومتعددة:

* **أسبـــاب خـــاصـــة بالتـــلاميـــذ:** بسبب التنشئة الاجتماعية والظروف الاجتماعية الخاطئة كالمخذرات، الإحباط، وسهولة الحصول على السلاح، والتأثر بأفلام ومسلسلات العنف.

* **أسبـــاب بيـــداغوجيـــة:** اعتماد مناهج تدريسية قديمة لا تتماشى مع متطلبات العصر.

* **أسبـــاب تـــنظيميـــة:** خاصة بالإدارة.

* **أسبـــاب أمنيـــة:** كانعدام وجود رجال الأمن أو نقص كفاءاتهم أو قلة عددهم.

* **أسبـــاب خـــاصة بالمدرســـين:** كنقص الوعي والكفاءة والخبرة، وكذا عدم خضوعهم لتربصات نفسية تربوية، خصوصا في الطور الثاني والثالث حيث يكون التلاميذ في فترة المراهقة التي تطبع تصرفاتهم بالتسرع والغضب وسرعة الاستثارة وعدم التحكم في الأعصاب بسبب جملة التحولات النفسية والفيزيولوجية لهاته الفترة.

إن ظاهرة العنف المدرسي كانت ومازالت تجسد إشكالية ضخمة بسبب أبعادها وأثارها الشديدة الوطأة على الأجيال المتمدرسة التي تمثل المستقبل، وإن كانت قد حظيت باهتمام كبير مقارنة بغيرها من الظواهر ولاسيما موضوع بحثنا، ألا وهي ظاهرة الكتابات الجدارية.

3/ العنـــف الاجتمــــــاعي: وهو الأكثر شمولية، لأنه يتم في الوسط الاجتماعي بغض النظر عن بقية العوامل الأخرى سواء كانت فردية أو جماعية، منظمة أو غير منظمة...، ويعرف حسب العالم "راموث" [2] على أنه: " كل مبادرة أو فعل يتدخل بصورة غير مشروعة وخطرة في حرية الآخرين، في

1/ أحمد حويتي: العنف المدرسي، مداخلة بالملتقى الدولي، بسكرة،2003، سبق ذكره، ص .247

2/ علي بوعناقة: العنف الاجتماعي، المظاهر والتواتر، مداخلة بالملتقى الدولي، 2003، المرجع السابق، ص 86.

التفكير والرأي والتقرير". إن العنف الاجتماعي يشمل كل ما يمكّن من المساس بكيان الإنسان داخل حيزه الاجتماعي، سواء كان ذلك المساس مادي (جسمي)، أو معنوي يمس قيمه وعاداته وأفكاره، حيث يعتبر أفق الحياة الاجتماعية التي يغلقها من كل ناحية. إنه يشكل الحدود الدنيا والعتبة التي لا يعود الأفراد ليشكلون دونها جماعة حقيقية، وهذا يعني أن العنف هو آخر الوسائل التي تتكون أو تتفرق بها الجماعة، وهناك من الباحثين من ينظر إلى العنف الاجتماعي انطلاقا من البنى الاجتماعية أو المؤسساتية، والمتمثلة في الأسرة والمدرسة، وغيرها من المؤسسات التي تشكل دعائم المجتمع، فكل عنف يوجه ضد هذه المؤسسات أو يتم فيها فهو اجتماعي، لأن هدفه هو فك ترابط وانسجام هذه البنى [1].

إن العنف الاجتماعي يواجه القوانين المدنية والدينية بانتهاكها في المجتمع، متمردا في ذلك على الإصلاحات التقليدية كما يذكرها:" Jean- Claud- Chesnais "، بحيث أن الدور والوظيفة الاجتماعية لكل فرد هي شيء متوارث وثابت، ويكون حسب مستوى الطبقات والمراتب الاجتماعية. ولكن العنف الذي يمكن أن يبدو هنا هو العنف لمجموعة اجتماعية مختلفة من مجتمع إلى آخر، ومن مكان أو موضع إلى آخر.

ويرى "Chesnais" أن العنف هو: " القانون الوحيد لمجتمعات بدون قانون "، حيث أن المجتمعات التي تعيش في حالة من الفوضى وانعدام الرقابة، تحتاج إلى العنف من أجل البقاء لتقنين المسارات وضبط التصرفات، وكذا لاسترجاع الحقوق المهضومة[2]. كما يرى الدكتور " مصطفى حجازي " أن العنف الاجتماعي يحدث بسبب خلل في الأنظمة السائدة، وهو دليل قاطع على وجود ثغرات كعدم تكافؤ الفرص، وعدم المساواة، والاضطهاد، والتهميش، حيث يقول: " هو العنف الذي يمارسه الإنسان المقهور بشكل اجتماعي ليفجر قهره تحت أي شكل من أشكال العنف "[3].

إن العنف الاجتماعي يشكل أهمية كبيرة على الصعيد الاجتماعي والسياسي، لأنه لا يفهم بمصطلحه فقط، بل هو الأرضية الخصبة التي تصب فيها كل قنوات المجتمع، فثمة تجتمع كل مظاهر العنف مهما كان نوعه، فردي أو جماعي، مباشر أو غير مباشر...، ومهما كان شكله سياسي أو

رياضي، أسري ومدرسي. فالعنف الاجتماعي يضم كل قنوات العنف. وسنستعرض ذلك فيما يأتي من خلال الجداول.

1/ رايموند بودون وفرونسواز بوريكو: المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ترجمة سليم حداد، ديوان المطبوعات الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1986، ص 394.

2/ Yves Tyrode & Stéphane Bourcet : les adolescents violents,2000, op-cit,p . 39.

3/ د. مصطفى حجازي: التخلف الاجتماعي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط8، 2001، ص 167.

1- إمكانية ترتيب العنف الاجتماعي من خلال تموقعها[1]

قنوات التعبير عن العنف الاجتماعي	مضمون عائلي	مضمون مدرسي	مضمون اجتماعي	مضمون رياضي
قناة تدخل القوة الجسمية.	عدوان جسمي بين العشيرة أو العائلات المتنافسة.	عدوان جسمي بين شلة الطلبة أو الكيان التربوي.	عدوان جسمي بين: أجسام اجتماعية، سياسية، مهنية، دينية..	اعتداءات جسمية بين مجموعة لاعبين ومتفرجين أو حكام.
قناة تدخل القوى الاقتصادية والسياسية.	صراعات اقتصادية وتنافسات على الأولوية أو الحقوق بين العشيرة والعائلات.	صراعات اقتصادية ناتجة عن اختلاف على مستوى حياة التلاميذ لمجموعة مدرسية مختلفة	صراعات اقتصادية ناتجة عن اختلاف مداخل الاستهلاك لمجموعة اجتماعية مختلفة	صراعات اقتصادية ناتجة عن اختلاف المداخل المالية بين مؤسسات الإنتاج.
قناة التعبير اللفظي.	عدوان لفظي (شفهي) بين العشائر أو العائلات المتنافسة.	عدوان لفظي بين: مربي / متربي وبين: متربي / متربي وبين: مربيين / مربيين.	عدوان شفهي (لفظي) أو كتابي من خلال مقالات صحفية بين أحداث اجتماعية مختلفة	عدوان لفظي بين مجموعات المشاركين والمنافسين الرياضيين.

ومن خلال هذا المخطط البسيط الذي يوضح لنا أبعاد الشبكة التي يرمي إليها العنف الاجتماعي تضح لنا مدى تداخله عبر كل قنوات المجتمع متخذا معظم أنماط وأصناف العنف السابق ذكرها.

2- إمكانية ترتيب العنف الاجتماعي من خلال محركاتها

قنوات التعبير عن العنف الاجتماعي	العنف كردة فعل تظاهرية لمجموعة عنيفة	العنف كأداة اختيارية وتنظيمية لمجموعة عنيفة
قناة تدخل القوة الجسمية.	مذبحة (جريمة) اندفاعية لشعب هائج عنصريا من جانب سياسي أو عقائدي مع إعلان الحدث.	عنف جسمي جماعي مثل أداة تدمير لمجموعة اجتماعية محددة: إبادة عنصرية، إرهاب، قمع، حرب مدنية أو أهلية.
قناة تدخل القوة الاقتصادية أو السياسية.	إبادة، أو اغتصاب جماعي وعفوي لنظام اقتصادي جماعي أو فري من طرف فوج آخر ناهب على مستوى إنتاج	إبادة وتخريب مبرمج من طرف مجموعة منظمة سواء كانت اقتصادية / جماعية أو ذاتية من طرف فوج واحد.

	اقتصادي.	
قناة التعبير اللفظية.	تحرير جماعي وعفوي بحكم سلبي على كائن اجتماعي من طرف آخر (شتيمة لصنف من الأشخاص يكره الأجانب) كتمييز عنصري جهوي أو وطني.	تحرير لفظي (شفهي، كتابي، إذاعي، تلفزي...) بإرادة جماعية لإلحاق الضرر أو الدفاع ضد مجموعة اجتماعية معطاة تعبر عن الحقد ومظاهره.

1/ Hubert Hannoun : Signification & valeur de la violence sociale.

إن هذا التمييز للعنف المتمثل في ردات الفعل الجماعية عفوية كانت أو منظمة، إنما يجسد جملة السلوكات الاجتماعية والجماعية بوجه أخص، كمحاولة بعض الجماعات الضغط على السلطة بغية تعديل ما في الدستور أو بغية فرض نفسها على الساحة السياسية، وهذا ما حدث في الجزائر وغيرها من الدول. إن العنف من خلال هذان الجدولان السابقان يظهر جليا كيف يتدخل في معظم قنوات المجتمع وبمختلف أصنافه.

4/ العنف الحضري[(1)]: ويشير إلى تلك العمليات التي تقوم بها جماعة من الجماعات قصد إحداث تغيير في الأوضاع الاجتماعية أو الاقتصادية أو حتى السياسية القائمة من أجل المطالبة بحقوق مهضومة أو إحداث تغيير في القوانين، وذلك باستخدام أساليب سلمية ومشروعة كالإضراب، أو المظاهرات السلمية (بدون خسائر مادية أو معنوية)، أو باستخدام طرق أخرى فوضوية و عنيفة وهذا داخل المحيط الحضري.

ومن الطبيعي أن المدينة هي العامل المساعد لمد بذور التغيير بكافة أشكاله العنيفة والهادئة على حد سواء. وعلى العموم فإن هناك من الباحثين من يضم العنف الحضري داخل العنف الاجتماعي على اعتبار أن هذا الأخير أشمل من الأول.

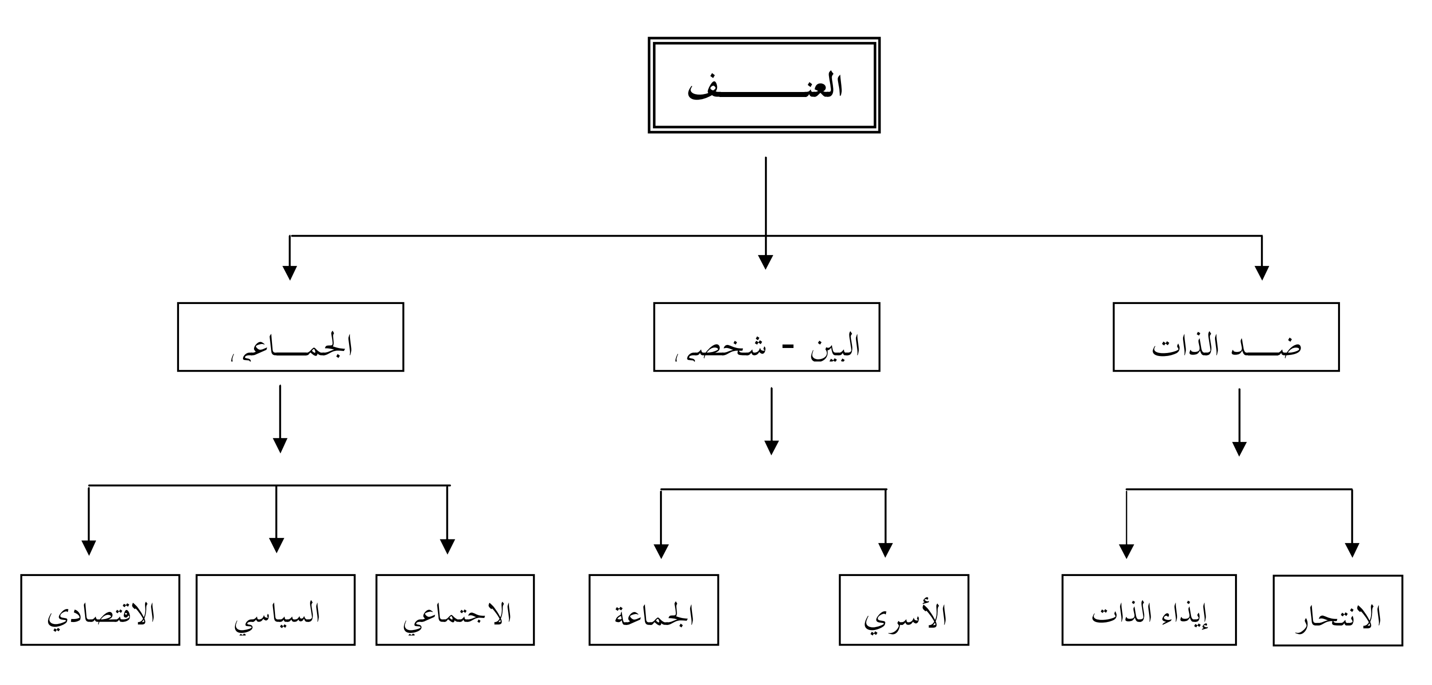
5/ العنف الرياضي[(2)]: وهو عنف ممارس بين الشباب عموما في الأندية الرياضية والملاعب... الخ، ويطلق بعض الباحثين على الرياضة " الحرب بدون سلاح "، ومن مظاهره: الشغب أثناء المباريات الرياضية ضمن مناصرتهم لفريق معين، وأيضا الضرب والحرق العشوائي وإلحاق الأذى بكل شيء، مما يعبر عن ثورة الغضب التي تصيب المناصرين في حالة خسران فريقهم، أو التحيز ضده، ويسفر العنف الرياضي عن خسائر مادية (منشآت، ملاعب...) وعنف معنوي، والأمثلة كثيرة مثل ما حدث عام 1969 بين الهندوراس والسلفادور، حيث سميت بحرب كرة القدم وهذا ضمن تصفيات أمريكا اللاتينية لكأس العالم التي نظمت في المكسيك، وغيرها من المظاهر مثلما حدث في مدينة سفاقس

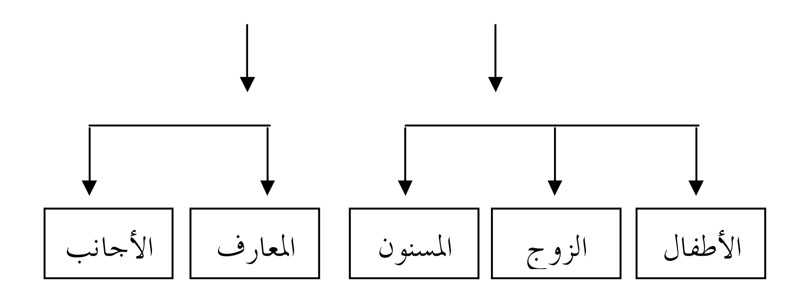
التونسية 2004 ضد الجمهور الجزائر، وغيرها... والملف الرياضي حافل بمثل هذه المظاهر للعنف الرياضي.

1/ د. ابراهيم توهامي، واسماعيل قيرة، عبد الحميد دليمي: التهميش والعنف الحضري، سبق ذكره،2003، ص 43.
2/ د. أمين أنور الخولي: الرياضة والمجتمع، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ديسمبر، 1996، ص 270.

6/ العــــنــف الســـياسي: ويصطلح عليه الإرهاب السياسي، والجريمة السياسية[1] والعنف المنظم...، رغم أن بعض الباحثين يشيرون إلى وجود فرق ما بين الإرهاب والعنف السياسي والجريمة المنظمـــة[2]. وهو العنف الذي يحدث نتيجة أسباب ومؤشرات سياسية محظـــة، سواء داخل الجماعة نفسها أو من خارجها، ومن مظاهره [3]: الحروب، الاغتيالات والقتل الجماعي...، وأحسن مثال ما شهدته الجزائر في نهاية الثمانينات وأواسط التسعينات. كما قد يتخذ أساليب الترهيب والتخويف الجماعي الذي يمارس على جماعة من طرف جماعة أخرى، أو من طرف دولة على دولة أخرى، وعموما فإن العنف السياسي مهما تعددت مظاهره وأساليبه إلا أنه يجسد مؤشرا هاما على وجود ثغرات أو خلل في النظام القائم، كما أنه يؤدي عادة إلى مظاهرات التمرد الجماعي المطالبة بتنحي الحكم القائم في البلد، أو المطالبة بتعديل بعض النقاط الحساسة في الدستور المتعامل به (مثلما حدث في دارفور بالسودان).

ومن خلال كل ما سبق ذكره حول أنواع وأشكال العنف، نستشف أنها صعبة الحصر، وسنحاول فيما يلي ذكرها حسب تقرير منظمة الصحة العالمية[4]:





1/ د. محمد يسري ابراهيم دعيبس: الإرهاب بين التجريم والمرض، رؤية في أنثروبولوجية الجريمة، ص 3-6.

2/ العميد محمد خلبفة المعلا: وسائل مكافحة الإرهاب الدولي والاتجار في الأسلحة غير المشروعة والاتجار غير المشروع في الأسلحة، محاضرة ضمن برنامج الدورة التدريبية الإقليمية الثانية لموظفي الشرطة في المكاتب المركزية الوطنية في شمال إفريقيا والشرقين الأدنى والأوسط – أبو ظبي، الإمارات، من 4 – 14 مارس 2000، ص 6.

3/ د. محمد يسري ابراهيم دعيبس: المرجع السابق، ص 50.

4/ OMS, Rapport sur la violence & la santé, Genève, 2002 .

العنـــف الرمـــزي: يعتبر موضوع العنف على غرار بقية المواضيع الاجتماعية الأخرى ذو أهمية قصوى في البحث العلمي، لأن العنف بكل أصنافه وأنواعه إنما يهدد أمن الحياة الاجتماعية [1]، ويؤرق كل البشر، فلا يكاد يمر يوم يخلو من العنف مهما كان مصدره، ولقد حظيت هذه الظاهرة ومازالت باهتمام كبير من طرف الباحثين، وهذا لأنها تشكل علامة استفهام من الصعب الإجابة عليها بدقة نظرا لتشعبها وتداخلها مع كثير من العوامل، لكن خطورة هذه الظاهرة لا تكمن في تلك الأشكال والأصناف الواضحة للعيان من العنف المادي والمباشر على كل الأصعدة، بل في نوع آخر أكثر خطورة يسمى بالعنف الخفي أو المقنع، أو اللامباشر الذي يرسل بخيوطه في كل ميادين الحياة، ويرمي بشباكه في كل مكان بطريقة غير مباشرة عن طريق إشارات ورموز موجهة لكافة الناس على حد سواء؛ إنما نتحدث هنا عن العنف الرمزي، وإن كنا قد سبق وأشرنا إليه ضمن أصناف العنف عموما، لكننا في هذا الجزء سنحاول الإلمام به قدر المستطاع بإعطاء مفهوم له إلى ذكر أشكاله وأسبابه.

تعريـــف العنـــف الرمـــزي: هو أحد أشكال العنف، ويسمى كذلك بالعنف الغير مباشر أو الخفي أو المقنع، ولا يكون بشكل صريح ومباشر، وهناك عدة تعاريف له منها:

- يعتبر عالم الاجتماع الكبير" بيار بورديو Pierre Bourdieu " [2] أحد كبار مفكري العصر الحديث الذين تناولوا هذا الموضوع بالدراسة، حيث يعرف العنف الرمزي على أنه: " كل نفوذ أو سلطة تأتي من خلال طرح جملة من الدلالات، والتي تفرض وتحمل في معانيها الشرعية لكتم ومحو تقارير القوة والتي هي في حد ذاتها أساس ومنبع لهذه القوة "، أي أن العنف الرمزي يبدو أو يطرح من خلال جملة من الدلالات التي يتضمنها رمزيا، وتلك الدلالات إنما

يقصد بها فاعلوها المطالبة بشرعية الحقوق وشرعية ممارسة هذا العنف، مثلما هو ممارس عليهم وبشكل علني، لكنهم يستخدمون هذا النمط من العنف الرمزي ردا للاعتبار.

- وعرفه كذلك " بورديو " على أنه: " عنف تعسفي واستبدادي يترجم بفرض القوة والسلطة على أشخاص آخرين ". وفي هذا التعريف إنما يتقاسم العنف الرمزي صفة التعسف والاستبداد كغيره من أصناف العنف الأخرى، والتي يتفق الكل على هدفها الذي هو إلحاق الأذى والضرر بالغير.

وعليه فإن العنف الرمزي هو جملة من الرموز والإشارات والدلالات، هدفها فرض قوة أو سلطة بطريقة غير مباشرة، وتلك الدلالات إنما تحمل في طياتها العديد من المعاني، كما يعتبر " بورديو " العنف

1/ Myriam Watthee- Delmotte : La violence représentations et ritualisations, L'Harmattan, France, 2002, p.17.

2/ بيار بورديو: السوسيولوجي الغائب وكاشف زيف العقلنة الغربية، علي سالم
http://maaber.50megs.com/tenth_issue/lookout_1.htm

الرمزي هو ذلك العنف الذي يسلب الحريات ويهدف إلى إخضاع الغير له، وهو مستوعب وممارس وإن كان بدرجة أقل من العنف المباشر والصريح، كما أنه يجسد رغبات جماعية أو فردية ويعبر عن معتقدات تلك الجماعة، كالسحر والشعوذة وغيرها من المواضيع والقضايا الاجتماعية؛ وعليه فإن العنف الرمزي مرتبط بجملة المعتقدات والعادات والتقاليد الممارسة في جماعة ما.

ويضيف " بورديو ": " أن عملية التنشئة الاجتماعية تلعب دورا هاما ورئيسيا في تحضير الفكر والذهن لأفراد جماعة ما من أجل استيعاب تلك المعتقدات السائدة فيها، ومن ثمة ترجمتها في حالة معينة عن طريق العنف الرمزي باستخدام جملة من الإشارات والرموز والدلالات بغية تحقيق أغراض معينة مهما كانت، سواء المطالبة بشرعية ممارسة العنف أو المطالبة باسترداد حقوق مهضومة أو التعبير عن أفكار وآراء مقموعة أو غيرها من المواضيع...

لقد شكل العنف الرمزي قضية محورية في مجمل أعمال "بورديو"، وفي معرض تعريفه للدولة يعطي العنف الرمزي معنى: " الضغط أو القسر أو التأثير الذي تمارسه الدولة على الأفراد والجماعات بالتواطؤ معهم "[1]. ويقصد به جملة الضغوطات الممارسة من طرف الدولة على فئات معينة خصوصا بالتهميش. إن العنف الرمزي هو: " العنف الذي ينجح في فرض دلالات معينة ووصفها دلالات ذات شرعية، بحيث يضيف قوته الذاتية المخصصة ذات الطابع الرمزي المخصص (المميز) "[2]، أي أنه العنف الذي يستخدم رموز لفرض قوته، وهذه الأخيرة إنما هي ذات تأثير قوي لأنها تحمل العديد من المعاني وليس من السهل تفادي تأثيراتها المتعددة الأبعاد.

وعليه ومن خلال جملة التعريفات التي سبق ذكرها، نستشف من ذلك عدة نقاط يمكن أن تكون بمثابة صفات أو خصائص للعنف الرمزي:

- إن العنف الرمزي كسائر أنواع العنف يشترك معهم في الهدف والذي هو إلحاق الأذى والضرر بالآخرين، ويختلف عنهم من حيث أدائه وصورته لأنه خفي وغير واضح تماما.
- العنف الرمزي ذو قوة وتأثير كبير استنادا إلى طريقته وإلى جملة الرموز والمعاني التي يحملها.
- إن العنف الرمزي يتخذ عدة أشكال وعدة خصائص وأهمها الترميز.
- العنف الرمزي يهدف إلى فرض السلطة والنفوذ بطريقة تعسفية واستبدادية.

1/ بيار بورديو: السوسيولوجي الغائب وكاشف زيف العقلنة الغربية، علي سالم
http://maaber.50megs.com/tenth_issue/lookout_1.htm

2/ بيار بورديو: العنف الرمزي، بحث في أصول علم الاجتماع، ترجمة نظير جاهل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، طـ1، 1994، ص 5.

أسبـــاب العنـــف الرمـــزي[1]:

- يعتقد " بورديو " أن العنف الرمزي إنما بحكم ميزته الاجتماعية فهو ينشأ بسبب أحداث اجتماعية، ويحدث في المجتمع في حد ذاته ويمارس عليه (من طرف مجموعة من الأشخاص تجاه بقية المجتمع).
- العنف الرمزي هو تعبير عن مشاكل تعاني منها فئة أو شريحة اجتماعية خاصة فئة الشباب، ومن بين تلك المشاكل (البطالة، الفقر، التفكك الأسري...)، والتي تؤدي إلى التهميش والتحقير وما إلى ذلك من الدوافع التي تتجسد في مظاهر العنف الرمزي.
- ينشأ العنف الرمزي بسبب القوة والاستبداد الممارس على الأفراد من طرف الدولة (قوانين تعسفية)، أو من طرف مؤسساتها كالمدرسة وبقية الهياكل المهنية والتعليمية ولا سيما الأسرة انطلاقا من جملة التقاليد والآداب التي تلقنها للأفراد، إضافة إلى القوانين المعمول بها (قانون الأسرة)، بينما يرى الدكتور " مصطفى حجازي "[2] : " أن العنف الرمزي ينشأ انطلاقا من فكرة الإنسان المقهور ، والذي يقصد به المواطن المهمش والمتروك بدون رعاية في ميدان معين أو على مستوى كل الميادين، حيث أن العنف الرمزي ينتشر وبشكل مثير عند زيادة القمع المفروض، وبالتالي عند زيادة إحساس الإنسان بالعجز عن مواجهة الواقع".

ومن بين أسباب العنف الرمزي يضيف " بورديو ": " أنه يعود إلى اللامساواة الاجتماعية والثقافية بين الطبقات الاجتماعية، وبالتالي ينجم عن هذا امتياز طبقة على حساب البقية ".

- يحدث العنف الرمزي بسبب " نظرية الحاجات "، أي الحاجات التي لم تجد حلولا مع تطبيق سياسة خاصة بالتهميش والإقصاء، ويقصد " بورديو " هنا انعدام العوامل والشروط الاجتماعية والموضوعية: كمناصب الشغل والمزيد ومن المؤسسات الثقافية، والجمعيات...إلخ[3]، وهذا يعني انعدام أو نقص فرص العمل؛ والمعروف أن " بورديو " ركز وبشكل كبير في معظم دراساته على قضية الثقافة، وإن كان قد تحدث عن العنف الرمزي فإنما يوجه أصابع الاتهام إلى طبقة المثقفين ويحملها مسؤولية تقبل السلطة الرمزية أو النفوذ الرمزي الذي تطبقه الدولة ومؤسساتها على المواطن دون جدال منه.

1/ بيار بورديو: السوسيولوجي الغائب وكاشف زيف العقلنة الغربية، علي سالم
http://maaber.50megs.com/tenth_issue/lookout_1.htm
2/ د. مصطفى حجازي: التخلف الاجتماعي، سبق ذكره،2001، ص 176.
3/ Pièrre Bourdieu : Le sens pratique, édition de minuit, Paris, 1980, p 212.

- وحسب الأطروحة الثانية لبورديو[1] فإن العنف الرمزي يعتمد في تحليله على المفاهيم التالية: الطبقات الاجتماعية، السيطرة، رأس-المال الرمزي، والعاصمة الرمزية، بحيث يرى أن العنف الذي يقوم به سكان المدينة (الوسط الحضري) تجاه المجتمع أو حتى ضد أنفسهم، ما هو إلا الوجه المزدوج للعنف المستخدم من طرف الدولة ضد المجتمع ككل.

ويضيف بأن الشريحة التي تمارس العنف الرمزي هي في حد ذاتها تقع داخل نسق السيطرة المفروضة، وأن ما ترد به هذه الشريحة على ذلك التعسف القائم عليها هو ما يسمى بالعنف الرمزي[2].

وبعد طرح جملة العوامل المشكلة للعنف الرمزي، فإنه يتضح لنا حدوثه وفقا لعدة أسباب وعوامل اجتماعية محضة (تحدث داخل المجتمع)، وذلك بسبب السلطة والسيطرة الممارسة على شريحة معينة، وهذه السلطة تتجسد في إقصاء وتهميش هذه الأخيرة، وكذا عدم تساوي وتكافؤ الفرص بين طبقات المجتمع وأفضلية الواحدة عن البقية، وهذا التهميش إنما يولد حالة من الصراع والتي تبرز في طابع العنف الرمزي كرد فعل على ذلك الإقصاء، وهو مشاع أين يوجه لكل أفراد المجتمع على حد سواء محاولا بذلك فرض شرعية ممارسة العنف انطلاقا من جملة الإشارات والرموز المعبرة عن تلك المطالب سواء كانت بطريقة ما كالكتابات الجدارية أو بغيرها.

إن العنف عموما، والعنف الرمزي خصوصا يحدث حينما لا يصل الحوار والاتصال إلى حل سليم يرضي كل الأطراف المتنازعة، فينشأ هذا الأخير كطريقة تعبير للذين لم يتمكنوا من فرض أنفسهم خارج نطاق القوة[3]، ويحدث العنف الجسدي تثمينا للقيمة الاجتماعية عند المجموعة المرجعية (المجتمع)، لكن أحيانا يطبق العنف الرمزي باستخدام القول والكلام وبقية الرموز ليعتلي العنف

الجسدي ولأجل أن يحقق ما لم يحققه العنف الجسدي (المادي). ويعتبر بعض الباحثين العنف الرمزي أشد وطأة من العنف الجسدي، والذي تعد مظاهره واضحة ونتائجه محسومة عكس العنف الرمزي.

أشكـــال ومظاهـــر العنف الرمـــزي:

بعد التطرق إلى جملة الأسباب المؤدية إلى بروز مثل هذا النوع من العنف، سنحاول قدر الإمكان استعراض معظم الأشكال التي يظهر بها العنف الرمزي. يقول " بورديو "[4]: " إن العنف الرمزي لا أساس له، أي ليس مبني على مبـــادئ بيولوجية أو حتى فلسفية أو غيرها، وإنما هو يتجاوز كل الحدود

1/ جمال معتوق: وجوه من العنف ضد النساء خارج بيوتهن، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم علم النفس، جامعة الجزائر، 1995

2/ Pièrre Bourdieu : Le sens pratique, op-cit, 1980, p. 224.

3/ Yves Tyrode & Stéphane Bourcet : les adolescents violents,2000, op-cit, p. 44.

4/ بيار بورديو: السوسيولوجي الغائب وكاشف زيف العقلنة الغربية، علي سالم

http://maaber.50megs.com/tenth_issue/lookout_1.htm

والمصالح الفردية ويتعدى كل المراتب والطبقات الاجتماعية ". وهذا يعني أن العنف الرمزي إنما هو

عنف جماعي أو بالأحرى عنف اجتماعي بحيث يعبر عن مصالح المجتمع أو شريحة منه.

وعلى اعتبار أن العنف الرمزي هو من أخطر أنواع العنف لأن له ردة فعل وأثر عميق على الصعيد الانفعالي والعاطفي، فهو موجه إلى سلطة معينة أو إلى المجتمع بأسره، وعليه يمكن ذكر بعض المظاهر التي يتخذها العنف الرمزي وهي:

1- يتخذ العنف الرمزي طابع جماعي، أي تمارسه مجموعة من أفراد المجتمع مهما كانت الصورة المطبقة.

2- يتخذ العنف الرمزي طابع اجتماعي، بحيث يحدث داخل المجتمع مهما كانت الأسباب سواء سياسية أو اقتصادية أو غيرها...

3- العنف الرمزي ذو طابع خاص، لاستخدامه جملة من الرموز والإشارات والدلالات، وهذا الترميز قد يكوّن مشاكل اجتماعية: انحراف، تعبير سواء لفظي أو كتابي أو خطي، وفي هذه النقطة يرى الدكتور " مصطفى حجازي "[1]: " أن السلوك المنحرف إنما هو أحد مظاهر العنف الرمزي لأن المنحرف دليل ومؤشر على وجود ثغرات في النظام الاجتماعي والسياسي،و حسب دراسة أجراها أحد الباحثين عن أطفال البرازيل، ويذكر " Jean Florance "[2] : " أن هؤلاء الأطفال الذين يعيشون على أرصفة الشوارع يعانون من مشاكل اجتماعية واقتصادية، وبالإضافة إلى كل هذا فهم يقاسون معاناة نفسية عميقة بسبب ارتمائهم على تلك الأرصفة، وبسبب الألم وكل ما يتعرضون له طوال اليوم ليلا ونهارا من طرف بقية أشخاص ذلك المجتمع من عنف جسدي أو معنوي، ويرى هذا الباحث أن تهميش هذه الفئة بل وحرمانها من حقوقها كغيرها من الشرائح إنما يعد في حد ذاته عنفا رمزيا لأن الدولة أو

السلطة إنما تتجاهل وضعيتهم، بحيث أن هؤلاء الأطفال اكتسبوا من الشارع ومن سوء المعاملة ومن التهميش ما يكفي من صور العنف التي طبعت في ذاكرتهم وشخصيتهم، وهم بدورهم أصبحوا يمارسون العنف ضد أنفسهم وضد غيرهم، ولعل ذلك يتضح جليا في كل تصرفاتهم العدائية.

ويضيف أن الدافع الاقتصادي لخروجهم إلى الشارع بغية العمل وجني المال ليس هو الوحيد، بل مرد ذلك إلى تظافر عدة عوامل خاصة منها الاجتماعية، فهم أطفال مسعفين بدون مأوى، كما أن من بينهم من لديه والدان وبيت لكنه يخرج طلبا للمال لمساعدة هذه العائلة، وإن كان معظمهم يتشردون في الشوارع ويألفون الحياة فيها، ومن ثمة يدخلون ضمن عصابات للمخدرات والسرقات تمارس مختلف الجنح وحتى الجرائم. وهذا يعني أن ظهور مثل هذه الانحرافات السلوكية إنما هي دليل ومؤشر قاطع على

1/ د. مصطفى حجازي: التخلف الاجتماعي، سبق ذكره، 2001، ص 173.

2/ Myriam Watthee- Delmotte : La violence représentations et ritualisations, L'Harmattan, France, 2002, p. 256.

وجود خلل في النظام برمته سواء كان سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي، وعليه يعتبر السلوك الجانح

عنفا رمزيا ليس في صورته أو أدائه فقط وإنما في دلالته التعبيرية، فهو يتجسد في تصرفات الأشخاص الخارجين عن القانون، وهذا ما يحمل دلالة باطنية على مدى الاضطراب الحاصل في البنى الاجتماعية، وما يتراكم عليها من شحنات الغضب والعنف والعدائية القابلة للانفجار في أي وقت، وهكذا فإن دلالة السلوك الجانح أو المنحرف هي دلالة رمزية على مؤشر العنف الكامن في شبكة العلاقات الاجتماعية.

4/ يتخذ العنف الرمزي طابع " الصور " مهما كانت تلك الصور سواء من إنتاج تلك الشريحة، أو من إحدى مؤسسات الدولة، وما نقصده هنا مثلا: وسائل الإعلام كالتلفزة وما تعرضه من صور تحمل في دلالاتها عنفا رمزيا، حيث أن لهذه الصور العنيفة[1] الأثر العميق على انفعالات وأحاسيس الشباب بحيث تحرك فيهم مشاعر وعواطف سلبية كالخوف والقلق والحصر... بسبب تعبيرها عن آلامهم ومشاكلهم أو بسبب الاستهتار بهم، وهذه الصور العنيفة إنما تؤثر بشكل كبير على فئة الشباب لكونها الأكثر استهدافا عبر الكلمات والرموز وحتى التمثيل في حد ذاته، وهي تدفع بعدد منهم إلى محاكاة وتقليد تلك الصور، ولقد تحدث " بورديو "[2] عن ذلك وبشكل مباشر حينما حمل وسائل الإعلام مسؤولية العنف الرمزي الذي تعرضه عبر مختلف قنواتها، وفي هذه النقطة إنما يدين وبشكل خاص شريحة المثقفين بسبب تغاضيها عما تعرضه هذه الوسائل وفسح المجال أمام كل طبقات المجتمع لاستهلاك هذه البرامج دونما تعليق. هذا من جهة، لكنه من جهة أخرى فإن هذه الوسائل قد تقدم صورا أخرى إيجابية تبث من خلالها الحقائق الكامنة في المجتمعات أو حتى في الأنظمة.

إن العنف الرمزي حسب " بورديو " هو ظاهرة ثقافية واجتماعية في مظهرها، لكنها في الوقت نفسه تعبر عن حقيقة وجود صراعات فكرية وسياسية بين الفئات المهيمنة والفئات المهيمن عليها، وهي نتيجة طبيعية للاختلاف في المصالح والمنافع والأوضاع والمجابهة بين المعتقد الجديد والمعتقد القديم.

إن العنف الرمزي هو النقد الذي يسمح بتهديم أشكال اجتماعية معينة أو مفاهيم مشيئة بإنشاء تحديدات أو تعريفات اجتماعية جديدة للوجود الاجتماعي أو أشكال جديدة، أي أن وظيفة العنف الرمزي هي تهديم وتخريب الأشكال الاجتماعية المفروضة عنوة على المجتمع، وهي تخدم مصالح فردية فقط، ويهدف كذلك إلى نزع وإزاحة ما هو قديم ومرفوض وإنشاء أشكال أخرى بديلة.

1/ Armand Touati : Violences de la réflexion à l'intervention,2004, op-cit, p. 161.

2/ بيار بورديو: السوسيولوجي الغائب وكاشف زيف العقلنة الغربية، علي سالم

http://maaber.50megs.com/tenth_issue/lookout_1.htm

والعنف الرمزي دليل قاطع على تواجد اختلافات جذرية في البنى الاجتماعية؛ وبحديثنا عنه من خلال " بيير بورديو " فإننا نذكر بإيجاز علاقة العنف الرمزي بالنظام التعليمي، حيث يرى أن التعليم الذي يمارسه النظام المدرسي بسبب الاعتقاد ببديهيات النظام السياسي الذي يهدف إلى إرساء مفاهيم السلطة في نفوس الطبقة المتمدرسة، إنما يشكل في جوهره العام عنفا رمزيا، حيث تهدف تلك السلطة إلى غرس مفاهيمها وأهدافها في شخصية الأجيال الناشئة من خلال تلقين وتعليم المبادئ التي تريد السلطة إدراجها بحيث تتخذ من المدرسة وسيلة لفرض هيمنتها وسلطتها.

إن الباحث " بيير بورديو " في تناوله لموضوع العنف الرمزي إنما يوضح لنا مظهر آخر من مظاهره الذي لا يتجسد فقط في الحياة الاجتماعية وما تحمله من تظاهرات ثقافية واقتصادية مختلفة، وإنما يتعدى ذلك ليشمل كل ما يمكن أن تقع عليه الهيمنة سواء من طرف الدولة أو غيرها من المؤسسات، لأن العنف الرمزي حسب هذا الباحث إنما هو المطالبة بشرعية (شرعنة) الهيمنة والتسلط.

الخلاصـــــة:

إن العنف الرمزي يعتبر من أخطر أنواع العنف، وذلك بالنظر إلى أشكاله الخفية والمرمزة، وبغض النظر عن محتواه العميق بسبب ما يحمل من معاني، ومما سبق ذكره من مفهوم عام للعنف الرمزي إلى أسبابه ومظاهره، لا يسعنا إلا أن نركز بالذكر على أن العنف الرمزي يأخذ عدة أشكال سواء كان لفظي أو جسدي أو يتخذ من السلوك الجانح منفذا له، أو إلى غير ذلك من الظواهر العديدة التي يبرز من خلالها، ولعلنا سنتناول فيما يلي من الفصل الثالث ما يدعم أقوالنا هذه فيما يخص جملة الظواهر

المجسدة للعنف الرمزي، والتي نقصد بها تلك المنتشرة في الوسط الحضري التي تتجسد في جملة السلوكيات والتصرفات التي تتنافى مع القيم والمبادئ الاجتماعية والأخلاقية وحتى الدينية.

إن معظم أشكال العنف الرمزي المنتشرة في الوسط الحضري، تتعارض بشكل أو بآخر مع مضامين تربية المواطنة التي ترى بجملة من المبادئ والقيم والتقاليد التي تحفظ نظافة المحيط وأمن الحياة الاجتماعية وتنظيم سيرها بشكل طبيعي، وتسمح لكل أفراد المجتمع بالعيش بسلام ضمن وحدة اجتماعية متكاملة.

إن مظاهر العنف الرمزي المنتشرة والمتفشية في الوسط الحضري، تزداد وتيرتها يوما بعد يوم من رمي الأوساخ والنفايات عند بوابات العمارات، وعدم الاحترام سواء للأفراد أو للمحيط، وإلى غير ذلك من السلوكات البذيئة اللامبالية، وقد تعدى العنف الرمزي ذلك حيث طرح الوسط الحضري ظاهرة أخرى أكثر حدة و المتجسدة في الكتابات الجدارية، وما تطرحه من تساؤلات تستدعي الوقوف عندها بالبحث والتنقيب، وهذا ما سنركز الحديث عنه في الفصل الموالي.

ثـــالثـــا:عــــرض النتـــائج وتفسيـــرهـــا:

مرحلـــة تفـــريـــغ العبـــارات المتداعيـــة لـــدى الحـــالات:

الـــحالـــة الأولى	الـــحالـــة الثانيـــة	الـــحالـــة الثـــالثـــة	الـــحالـــة الرابعـــة
- إخراج الكبت	- عنف	- عنف	- مشاكل عائلية
- مشاكل عائلية	- عنف في العائلة	- ضحايا الطلاق	- انفصال الوالدين
- عنف كتـــابي	- عنف في المدرسة	- تعبير عن المعانات	- عنف متوارث
- عنف	- فراغ	- قهر المجتمع	- عدم مسؤولية الوالدين
- عدم تفهم المجتمع	- مشاكل عائلية	- الاشمئزاز	- انعدام التربية الصالحة
- انعدام التربية	- عدم مسؤولية الوالدين	- اضطرابات نفسية	- عنف ضد المجتمع
- خوف	- تسرب مدرسي	- انتقام من الغير	- وسيلة للتعبير عن الرأي
- مخذرات	- انعدام التربية الصالحة	- الحب العنيف	- رفض الواقع المعاش
- مشاكل عاطفية	- نوع من المطالبة بالحقوق	- المراهقة	- تسرب مدرسي
- تعبير رمزي	- رفض الواقع المعاش	- مشاكل عاطفية	- التأثر بالثقافة الغربية
- انحراف	- إخراج الكبـــت	- الانتحار	- الفضائيات
- عدم الاستقرار	- بطالـــة	- مشاكل عائلية	- المشاكل العاطفية
- البحث عن إثبات الذات	- انحراف	- انتقام من الطرف الآخر	- المراهقة
- الاحتقار	- سوء تقدير للأمور	- الرغبة في الهجرة	- البحث عن تكوين شخصية
- المراهقة		- الطموح إلى عالم الفن	- البطالة
- تشـــرد		- الرغبة في الشهرة	- التهميش
- مستوى دراسي محدود		- التأثر بالثقافة الغربية	- تمرد
- تسرب مدرسي		- تقليد	
المجمـــوع : 18	**المجمـــوع : 14**	**المجمـــوع : 18**	**المجمـــوع : 17**

الحالة الخامسة	الحالة السادسة	الحالة السابعة	الحالة الثامنة
- عنف ضد المرأة	- المشاكل العائلية	- كبت	- عنف
- فراغ	- البطالة والقهر	- تعويض نقص	- إنسان ذئب
- عنف	- مشاكل عاطفية	- عنف	- تشاؤم
- تعبير عن الرأي والشعور	- العنف	- تقليد	- نقص الدفء العائلي
- المطالبة بالعدالة	- التقليد	- تعبير عن وجود أنا	- مشاكل عاطفية
- شيء معيب	- تكوين العصابات	المغيب بسبب ظروف	- الفشل والرسوب المدرسي
- تفاهة	- مشاكل مالية	اجتماعية ونفسية	- الهيب- هوب
- مشاكل عائلية	- فراغ عاطفي	- حيرة	- الجريمة من أجل غاية ما
- انعدام التربية الصالحة	- المخدرات	- المدينة	- تنفيس
- بطالة	- انحراف		
- شكوى			
- تسيب في الرقابة الأبوية			
- يأس			
- إحباط			
- تسرب مدرسي			
- الحق في التعبير			
- علاقات غير شرعية			
- ظاهرة متزايدة			
- البحث عن إثبات الذات			
- المطالبة ببعض الحقوق			
- الحق بالعائلة			
- الحق بالعمل			
- الرغبة في الهجرة			
- التأثر بالثقافة الغربية			
- الفضائيات			
المجموع : 25	**المجموع : 10**	**المجموع : 07**	**المجموع : 09**

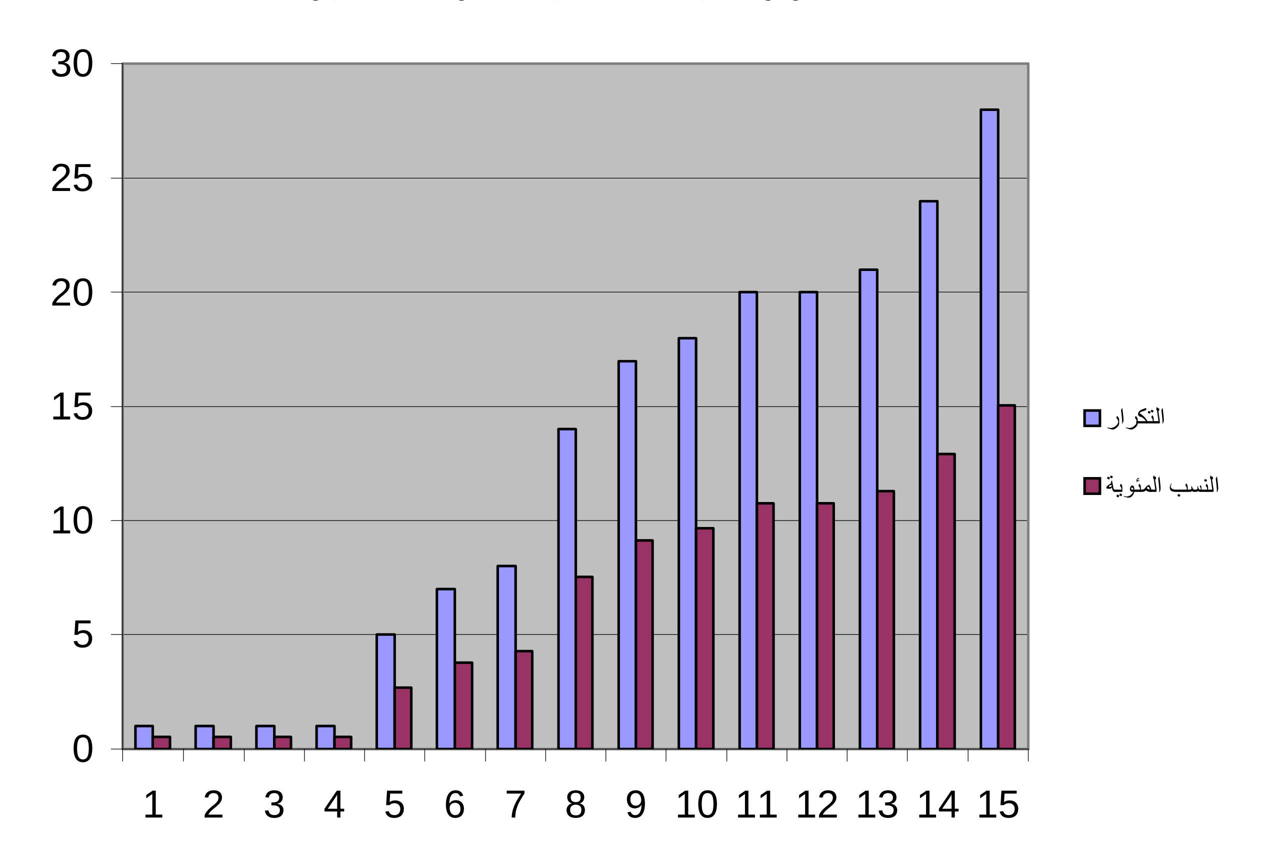
الحالة التاسعة	الحالة العاشرة	الحالة الحادية عشر	الحالة الثانية عشر
- تعكس ثقافة ما	- عنف	- عنف	- عنف
- تعبير عن رأي	- أسلوب للتفريغ	- مشاكل عائلية	- مشاكل عائلية
- عنف	- عدم وجود التنفيس الانفعالي	- عدم وجود الحرية	- حب
- إفراغ الشعور بالغضب	- الفراغ	- الإدمان	- إنكار
- مرض نفسي	- سوء التربية	- الغيرة على الوطن	- عناء راب
- حياة الفوضى	- ظاهرة تحتاج إلى دراسة دقيقة	- مشاكل عاطفية	- كره
	- سلوك بذيء	- نقص الرعاية	- فقر
	- استرجالية	- قلة النصائح والتوجيه	- حقرة
	- سلوك لا أخلاقي	- ظروف اقتصادية	- حرمان عاطفي
			- تنفيس انفعالي
			- تقليد
المجموع: 06	**المجموع: 09**	**المجموع: 09**	**المجموع: 12**

الحالة الثالثة عشر	الحالة الرابعة عشر	الحالة الخامسة عشر
- العنف كحل طبيعي	- حب التعصب والسيطرة	- عنف
- مشاكل مادية	- الإجرام	- جريمة
- تأثر بالفرق الغربية	- العنف	- تسلط
- مشاكل عاطفية	- الحنين	- جنون
- رسوب مدرسي	- العذاب والمراهقة	- الفقر
- العنصرية	- إثبات الذات	- تقليد الغرب
- مشاكل الإدمان (المخذرات)	- أحلام الهجرة	- اللاوعي في سن المراهقة
- حب إبراز الذات	- الهروب من الواقع	- الغضب
	- المخذرات	- السجن
	- الحقرة	- الكحول والمخدرات
	- البحث عن التحرر	- فقدان الأمل
	- فقدان الأمل من أجل الحياة	- الاغتراب
المجموع : 08	**المجموع : 12**	**المجموع : 12**

المجموع الكلي للعبارات هو:186 عبارة لخمسة عشرة حالة.

جـــدول النســـب المئويـــة لتـــكرارات الـــمحاور:

مفـــــــردات التحـــليل / محـــاور التحـــليل		التكرار	النسب المئوية %
تصورات العنف		28	15.053
تصـــــورات اجتـــــماعية مخـــتـــلفة عـــــن العــــــنف	معاناة نفسية	24	12.290
	مشاكل عاطفية	21	11.290
	مشاكل عائلية	20	10.752
	مشاكل اجتماعية	20	10.752
	التأثر بالثقافة الغربية والهجرة	18	9.677
	انحرافات سلوكية	17	9.139
	تعبير عن الذات واثباتها	14	7.526
	المطالبة بالحقوق	08	4.301
	تسرب مدرسي	07	3.763
	مشاكل مالية	05	2.688
	حياة الفوضى	01	0.537
	المدينة	01	0.537
	السجن	01	0.537
	الغيرة على الوطن	01	0.537
المجمـــــــوع		**186**	**99.99**



التعـــليـــق: ونلاحظ في هذا المنحنى بوضوح تصدر محور العنف من حيث التكرار وبالتالي من حيث النسبة المئوية، بالإضافة إلى تدرج بقية المحاور حيث تأخذ المحاور الأربعة الأخيرة أضعف تكرار مقارنة مع البقية ولكننا لا نستطيع عزلها خدمة لأغراض البحث. وقد التمسنا في كل هذا عدة نقاط وهي:

* يحتل محور العنف أكبر تكرار بدرجة 28 من 186 مقارنة مع 14 محاورالمتبقية.

* يحتل محور العنف أكبر نسبة مئوية 15.05% من المجموع الكلي 99.99% أي ما يقارب 100%.

وهذا إن دل على شيء فإنما يثبت الفرضية العامة القائلة بتصور العنف للكتابات الجدارية.

تأتي المعاناة النفسية ثاني تكرار بعد العنف بـــ 24 نقطة، ثم يأتي محور المشاكل العاطفية حيث في مجتمعنا تكبح الرغبات أين يجد هؤلاء الشباب في الجدران ملاذا للبوح بمعاناتهم العاطفية، فهي الفضاء الذي يصغي ليهم حين لا يجدون أو لا يلمسون هذا في أسرهم وعائلاتهم، ثم يأتي محور المشاكل العائلية متزامنا بنفس التكرار مع المشاكل الاجتماعية وكلاهما مرتبطة بالأخرى ولا فصل بينهما، ثم تأتي بقية المحاور حتى نصل إلى المحاور الأربعة الأخيرة التي حصلت على أضعف تكرار وهو 1 من 186مع نسبة مئوية ضعيفة تساوي0.537% ولكنه لا يمكننا حذفها خدمة لهدف البحث.



صورة رقم 01



صورة رقم 02



صورة رقم 03



صورة رقم 04



صورة رقم 03



صورة رقم 04

-4- الكتـــابـــات الجـــداريـــة:

تمهيـــــد:

إذا كنا قد تطرقنا بالحديث في الفصل السابق عن العنف كظاهرة تاريخية وإنسانية، وكيف أنها تحتل موقع الصدارة من حيث الأهمية في البحث العلمي كونها لا تزال تشكل نقاط استفهام عديدة؛ فإننا في هذا الجزء كذلك سنركز باهتمامنا على ظاهرة أخرى لا يستهان بها، إذ تعد من القوى الفاعلة في حركية المجتمعات نظرا لموقعها المهم في الحياة العامة، وإن كانت لم تنل حظها الكافي من البحث والتنقيب إلا أنها تعتبر ظاهرة عالمية وإنسانية وتاريخية. وفي هذا الجزء سنثمن هاته المضامين، وذلك بالحديث عنها رغم تعدد أسمائها وإجماع الكل على أهم مصطلح عرفت به إلى حد الآن ألا وهو: " الكتابات الجدارية "، مع ربط ما سبق من الفصول بهذا الأخير انطلاقا من فرضية بحثنا المتواضع على اعتبارها جزء هام من العنف ككل ونمط خاص من العنف الرمزي الذي اتخذ من الكتابات الجدارية فضاء له.

لكننا لن نستمر في جدال حول برهنة مضامين الكتابات أو العنف، لأننا بصدد البحث في هذه الظاهرة، وإن تعذر علينا جمع ما يكفي من المادة العلمية النظرية حولها، فهذا لحداثة البحث فيها وقلة المصادر، وعليه فإننا سنحاول الإلمام قدر المستطاع بها، حيث سندرج الجذور التاريخية لها، ثم نتطرق إلى جملة التعاريف المعطاة حولها لنركز بالاهتمام والتفصيل بينها وبين نظيراتها من المصطلحات أو بالأحرى الظواهر، ثم لنجول في عدة نقاط من العالم التي ساهمت في كشفها سواء في البلاد العربية أو الغربية والتي شهدت ولازالت تشهد هذا النمط من الظواهر، ثم نتطرق إلى جملة تصنيفاتها مع ذكر ما توفر من أسبابها العامة والخاصة، وندعم مجهوداتنا البسيطة بإجابات حول بعض التساؤلات: من يقوم بها، ومن هم فاعلوها وما موقف السلطات العامة والخاصة منها، مع ذكر بعض الأمثلة، مستشهدين بجملة من الصور، وفي ختام بحثنا النظري سنشكل همزة الوصل ما بين الفصول الثلاث بالتطرق إلى نقطة مهمة وهي الكتابات الجدارية في الجزائر بين الماضي والحاضر.

1-4/ الــجذور التــاريخيـــة لظاهـــرة الكتـــابـــات الجداريـــة:

ولأن لا شيء يحدث من العدم، فكذلك هو الأمر بالنسبة لظاهرة الكتابات الجدارية، فهي ليست وليدة هذا اليوم أو ذاك، وإنما هي متأصلة بجذورها الضخمة في عمق التراث الإنساني، و قديمة قدم البشرية وتواجدها في هذا الكون.

وفي مجمل ما توفر لدينا من معلومات عن الكتابات الجدارية أو كما يسميها علماء الاجتماع " الشعارات"، فإننا نستطيع أن نقول أن الكتابات الجدارية هي: " ظاهرة إنسانية وممارسة يومية قام بتوظيفها الفرد العادي للتعبير عن آماله الخاصة "[1]. و انطلاقا من هذا التعريف المتفق عليه والذي يعتبر الكتابات الجدارية ممارسة يومية أو نشاط يومي عادي يجسد فيه الفرد أعماله وأفكاره وتطلعاته، فإننا نجد أن التراث الإنساني بتنوعه أضفى على هذه الظاهرة نفسها خصائص مجتمعاتها الفردية والجماعية، لتتشكل فيما بعد في قالب جماعي للتجربة الإنسانية قاطبة، وهذا في تفاعلاتها مع الواقع وفي رغبتها في إفراغ مكنوناتها الذاتية منها والجماعية على الجدران العامة والخاصة.

إن الكتابات الجدارية تراث إنساني مشترك عرفها الإنسان منذ القدم، حينما كان يدون ما يقوم به من نشاطات وما يفكر فيه من آمال وتطلعات، وكذلك فهي تجسيد لعادات وتقاليد عرفها الفرد خلال كل الحقب الزمنية، كما أنها مكان يشكو فيه الإنسان سخط الطبيعة وغضبها عليه ويعبر من خلالها عن مشاكله وهمومه، وبالتالي فهي إرث إنساني مشترك وإن كان يختلف من مجتمع لآخر تبعا لطبيعة البيئة الجغرافية والثقافية السائدة. وعليه فالكتابات الجدارية هي معلم ومؤشر زماني ومكاني لجماعات و شعوب خلت.

ويعود الاهتمام بهذه الظاهرة إلى البحوث التي قامت بها البعثات الأثرية في أنحاء شتى من العالم، حيث بينت هذه الدراسات أن الكتابات والرسومات الجدارية ارتبطت زمانيا بميلاد الإنسان ما قبل التاريخ حين أعلن عن تواصله مع الطبيعة رغم قساوتها، وجسد اتصاله بالعالم المحيط به من خلال تلك الرسوم والنقوش التي حفرها على جدران الكهوف والمغارات التي كان يسكنها، وإن كانت هذه الأخيرة مأهولة حاليا لكنها لا تزال تحمل هذا الإرث كما هو، وهذا ما أكدته المكتشفات الأثرية ومثال ذلك: النجوم الثلاث المرسومة على جدران كهوف " لاسكو" في فرنسا والتي تعود إلى ما يقارب 16500 عام خلت، كذلك الأمر بالنسبة لكهوف التاسيلي " Tassili " في الجزائر التي اكتشفها الرحّالة " بربنان " حينما كان يجتاز الحدود الجزائرية الليبية في عام 1938، وقد وجد في هذه الكهوف نقوشا ورسومـــات عجيبة يعود تاريخها إلى 20000 سنة مضت لمخلوقات بشرية تطير في

1/ http://www. palestine-info.info/arabic/books/shearat/shear4.htm

السماء، ورجالا ونساء يرتدون ثيابا سواء قديمة أوحديثة كالتي نرتديها في زماننا الحالي، شكلت ما يعرف بلغز التاسيلي. إن تلك الرسومات والنقوشات المحفورة على جدران تلك الكهوف مردها إلى طبيعة البيئة وإلى سهولة استخدام الوسائل البدائية الموجودة في تلك الحقبة، وتعتبر أولى محاولات الكتابات الجدارية، وإن دلت على شيء فإنما تدل على قدم هذه الظاهرة. كما أن معنى " الكتابات الجدارية " قد ورد ذكره في التوراة بعبارة " مكتوب على الحائط" (1) ، والتي تعني في محلها انقضى الأمر وانتهى.

أما إذا أردنا تفصيلا في الجذور التاريخية لهذه الظاهرة عند العرب والغرب، فيمكن القول أننا لم نلمحها كثيرا وهذا لا لسبب سوى لأن شكل البيوت العربية قد لعب دورا هاما في ذلك الوقت، غير أننا لمسنا ذلك في السيرة الشعبية " الزير سالم "(2) أو" أبو ليلى المهلهل" وهو شاعر جاهلي، حيث وردت أول كتابة على الصخر وليست نقش أو حفر بل كتبت بدم أخيه " كليب" أو "وائل بن ربيعة" الذي قتل غيلة من طرف ابن عمه "جساس ابن مرّة" الذي تولى الملك عليهم، وبعد طعنة قاتلة بالرمح التجأ إلى أول صخرة صادفته وكتب بدمه عبارة " سالم لا تصالح " يوصيه فيها على الثأر من قاتليه جساس ابن مرة ومن والاه، وهي باختصار حرب بين أبناء العمومة سجلت في التاريخ بدم العرب حيث دامت 40 سنة وسميت بحرب البسوس، وكان هذا في الحقبة التاريخية التي تتراوح ما بين 500م-570 م، وهاته الصورة مجسدة للواقعة.



صورة رقم: 01



صورة رقم: 02 مأخوذة عن مسلسل عربي تاريخي " الزير سالم " بث في القنـــاة الليبية.

هذا من حيث التاريخ الحضاري العربي، أمّا من حيث الموقع الجغرافي لبلاد العرب فكانوا تقريبا السبّاقون لذلك كما سلف الذكر عن جبال التاسيلي، وكذلك في بلاد الرافدين وفي مصر حوالي 3000 سنة قبل الميلاد. أمّا عند الغرب فقد عرف الرومان هذه الظاهرة قديما حيث ما تزال آثارها إلى الآن على جدران" بومبي "التي تعود حسب المؤرخين إلى عام 79 ق.م(3).

1/ سامر الصالح: الكتابة على الجدران من البيان السياسي الساذج إلى رسائل الحب والغرام، دمشق، دنيا الوطن، من الانترنت: http://www.alwatan voice.com/articles.php?go=articles &id=15610

2/ المرجع نفسه.

3/ مرح البقاعي: عصابات الفرافيتي ... والجداريات، الحوار المتمدن، العدد 1023- 2004/11/20، من الأنترنت: http://www.rezgar.com/debat/show.art.asp?aid=26837

وتثمينا لهذه المكتشفات فإن الأستاذ الباحث " تيري مارتن " من جامعة " ويليام ووز William woos " في ولاية "ميزوري" الأمريكية يقول بأن: " تاريخ الكتابات الجدارية يعود إلى عصـــور ما قبل التاريخ، حيث كان الإنسان البدائي يحاكي بيئته المحيطة ويعبر عن انفعالاته وأفكاره من خلال النقوش والرسوم على جدران الكهوف أو على الألواح والرقم الحجرية، فهذا اللون من الفنون قديم قدم البشرية ومستجد بجدة الحياة وقوة استمرارها..."[1]. وحسب هذا الباحث فإن الكل يجمع على أقدمية تواجد هذه الظاهرة، غير أن اكتشافها والتنقيب عنها قد اختلف من مكان لآخر ومن وقت لآخر، تبعا لطريقة البحث والتنقيب من خلال البحوث الأثرية؛ وعليه فإننا سنحاول ذكر هذه المساعي الأثرية والعلمية التي بذلت بغية تناول هذه الظاهرة من منظور علمي مختلف باختلاف أوجهها ومظاهرها.

2-4/ مفهـــوم الكتـــابـــات الـــجداريـــة:

وتسمى بالكتابات أو الرسومات الجدارية أو الحائطية بسبب تواجدها وبشكل كبير على الجدران مهما كان نوعها ومكانها (الجدران)، وتجمع فيها كلمة كتابات ورسومات للإلمام بمعناها.
وفي اللغة الأجنبية تسمى بـــ " Les Graffitis "[2]، وعربت بهذا المصطلح فكثيرا ما نجدها في مواقع الأنترنت بهذا الاسم " الغرافيتي "، نسبة إلى كلمة " Graff " وتعني الكتابة أو الرسم على الجدارن وكذلك إلى كلمة" le Tag " وتعني الحفر أو النقش على الجدار، وكلاهما يدخلان في نموذج واحد وهو les Graffitis التي تحتويهما. كما أن كلمة " Les Graffitisتعني: نقش أثري أي الخربشات على الجدران أو الأبواب[3]، وهي جمع لمفرد gravitti. وكل هذه المصطلحات إنما تدل في مجملها على جميع أصناف الكتابات الجدارية. وتعرف بأنها: " ظاهرة عامة تشمل المجتمع الإنساني كافة "[4]، وقد شملت كل المجتمعات دون تميز مجتمع عن الآخر، وقد لمحنا هذا في الجذور التاريخية لها، وكيف أنها كانت بدائية وبسيطة كبدائية تلك العصور وكيف صارت جديدة ومستحدثة بحداثة العصر. ويقول " Denise Bilodeau " 1993: " إن الكتابات الجدارية لديها لغتها الخاصة، وهي تستلزم استخدام رموز وشفرات تحمل المعاني التي يقصد أصحابها إيصالها، ولا شيء وجد من العدم، وعليه فإن فهم الكتابات الجـــدارية يستلزم فهم وفك لغز تلك الرموز والشفرات، بحيث أن لها ارتباط بالجماعة التي

1/ مرح البقاعي: عصابات الغرافيتي... والجداريات، المرجع السابق.

2/ Représentation: Tag, Graffiti ou Graf, in, http://www.graffiti.org

3/ سهيل إدريس: المنهل فرنسي عربي، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، طـــ 33، 2004، ص 586.

4/ http://www.albayan.co.ae/albayan/culture/2000/issue33/thaskeel/2.htm

ينتمون إليها (كتّابها) بعاداتهم وتقاليدهم... "[1].

ويقصد " Bilodeau " بهذا المفهوم، أن الكتابات الجدارية عبارة عن كلمات وربما رموز وحتى إشارات أو شفرات " des codes" تجسد في معناها جملة من المضامين المختلفة والتي كتبها أصحابها بغية إيصال رسالة ما أو التعبير عن أشياء معينة، ولفهم الكتابات الجدارية يجدر فهم وفك تلك الرموز وهي عادة ما تعبر عن عادات وتقاليد وأعراف المجتمع الذي ينتمي إليه كاتبوها.

ويقول أن: " الكتابات الجدارية هي تعبير عن الثقافة الحضرية، وتعتبر تدريجيا أكثر شعبية عند الشباب وعند معظم الطبقات الاجتماعية، بل وعند كل البلدان... "[2].

وإذا تمعنا في هذا المفهوم نجد صاحبه إنما يربط وبشكل مباشر نشوء الكتابات الجدارية في الوسط الحضري، حيث يعرفها بأنها الثقافة الحضرية. وبالفعل فإننا خلال تتبعنا لتطورها في العصور الحديثة وجدناها أكثر انتشارا في المدن حيث تكثر كثافة السكان وتكثر المطالبة بالحقوق في خضم هضم وتناسي العديد منها، لذلك فإن الكتابات الجدارية هي حوصلة الحياة الحضرية ويمارسها الشباب أكثر من أي شريحة أخرى، وسنعود إلى ذلك لاحقا.

وحسب بعض الباحثين، فإن هذه الظاهرة أصبحت مبعث قلق وحيرة، فهي تشمل كل الكلمات والتعبيرات والرموز والإشارات بمختلف الألوان التي صارت تملأ كل الجدران في الأحياء الشعبية الفقيرة خاصة، وعلى جدران المؤسسات التربوية والمهنية وحتى في المرافق والساحات العمومية، فهي ملاحظة بشكل مثير في جدران المراحيض العامة، وفي مواقف الحافلات وعلى كراسي القطارات، وفي كل مكان يصلح للكتابة أو الرسم أو الحفر وحتى للنقش، فباتت مساحات كبيرة يجد فيها الشباب مكانهم المفضل للتجمع ولطرح رسائلهم وشكاويهم، وأحيانا لملأ فراغهم، وتعبيرا عن أمانيهم وطموحاتهم.

إن الكتابات الجدارية كيفما كان شكلها رمزية أو مقروءة، أو على شكل رسومات أو كاريكاتور، تعتبر دالة بذاتها تفيد فكرة محددة وتعبر عن موقف أو رأي فردي أو جماعي موجه إلى الناس عامة أو إلى فئة أو جماعة مقصودة، تتضمن معنى يمكن استخلاصه[3].

1/ David Manise : Animal étrange et sauvage, une approche Anthropologie, cit. internnet.

2/ David Manise : Animal étrange et sauvage, op-cit.

3/ منصوري مختار: الإعلام الرسمي والإعلام غير الرسمي " الكتابة على الجدران نموذجا "، رسالة دكتوراه دولة في علم الاجتماع، جامعة وهران، 2003-2004، ص 181.

ويضيف "Bilodeau " كذلك أنها: " نظام يعتبر من أهم أنظمة الإشارات التي تتألف من الثقافة ومحاولة معرفة الدوافع التي تكمن خلف الكتّاب الجداريين وذلك من خــلال تحليل مضامين أعمالهم بمساعدة نماذج عديدة على اعتبار أن الكتابات الجدارية إنما تحتوي على دلالات أخلاقية وجمالية وغير ذلك...".

ولأن الكتابات الجدارية ليست مجرد كتابات على حد تعبير " David Manise ": " A graff is not just a graff "، بل لها أبعاد وجوانب كثيرة أهمها الأخلاقية والجمالية وحتى الجماعية، لأنها مكان تجمع لكثير من الأشخاص، بعضهم مختص في النقوشات على الجدران والآخر يتفنن في الألوان العادية منها والزيتية حتى تحتفظ بلونها مدة أطول، وكما هي مكان للتجمعات فهي ميدان للمنافسة والتقليد.

وتأخذ الكتابات الجدارية طابع المطالبة بالحقوق المهضومة ومسعى للتملك في عالم خاص ومستقل، ونجد هذا في الكثير من دول العالم خصوصا في فرنسا ونيويورك وغيرها من الدول التي تضم السود إلى جانب المهاجرين الذين يتعرضون إلى التمييز العنصري والاحتقار سواء من طرف السلطات أو من طرف السكان الأصليين، فتتمركز الكتابات الجدارية – خاصة في الشوارع الشعبية الضيقة – مجالا للتنفيس عن هؤلاء ومكانا للمطالبة بحقوقهم وتسوية وضعياتهم، خصوصا المغتربين.

وخلاصة القول، أن الكتابات الجدارية هي كل ما يكتب أو ينقش ويرسم على الجدران بهدف معين مهما كان أصل الأشخاص الذين قاموا به، وإن كان معظمهم يرون فيها عنفا ضد البيئة المحيطة بهم يهدم الأصول العريقة لكل مجتمع ويدمر كل الجماليات والأخلاقيات السائدة.

3-4/ العوامــل التي أدت إلى ظــاهرة الكتــابــات الــجداريــة:

ولأنها ظاهرة متشعبة ومتعددة الأوجه، فإن خلفها جملة من العوامل التي أدت إلى بروزها وحتى إلى تفاقمها بغض النظر عن الحكم عليها أو التصور الاجتماعي حولها. وحتى نعطيها قدرها من البحث فإنه وفي مجمل ما توفر لدينا من أسباب عامة أدت إلى ظهورها فإننا سنحاول تبويبها حتى يتسنى لنا فهمها جيدا وعليه:

أ - العــوامــل الاجتمــاعيــة:

كيفما نظرنا إلى الكتابات الجدارية فهي أولا ظاهرة اجتماعية، وهذا يعني أنها تحدث في الوسط الاجتماعي، فمن يقوم بها هم أفراد من ذلك المجتمع يشكلون جزء من تراثه الثقافي والحضاري، وجزء من عاداته وتقاليده وطقوسه التي تأبى أن تنفصل عنه وترفض أن تهمش أو توضع في الاحتياط.

إن الكتابات الجدارية تمارس عادة وكما رأينا من طرف شرائح شبابية معدومة (ليس لها مستوى ثقافي، تربوي، تعليمي...)، أو شرائح مقموعة (شريحة المغتربين، السود، البطالين...)، وهي جزء من المجتمع الكلي الذي بشكل أو بأخر همش أو تناسي تلك الشرائح.

ومن خلال الصور التي ستعرض ضمن قائمة الملاحق، نستشف تجسيدها للمشاكل الاجتماعية من: طلاق، تفكك أسري، بطالة، فقر (كما في الصورة رقم 5)، والمشاكل العاطفية (كما في الصورة رقم 28). إن الكتابات الجدارية مهما كان أسلوبها: كتابة أو صورة، أو رموز، أو شفرات، فإنه لفهمها لا بد من حل وتفكيك تلك الرموز التي تحتوي في طياتها معاني اجتماعية كثيرة جدا هي في أساسها معاناة تلك الشريحة التي تلجأ إلى هاته الكتابات كحل بسيط أو كطريقة للمطالبة بعدة أشياء، كما أنها تحدث في:

- المجتمعات التي تعاني من خلل في المراتب الاجتماعية وتكشف عن وجود ثغرات في النظام.
- تحدث بسبب انعدام تكافؤ الفرص في العمل، في السفر(الهجرة)، وكذا الاستفادة من امتيازات الدولة.
- تحدث كعنف رمزي مجسد لردة فعل من طرف الشرائح المقموعة على حد تعبير" David Manise " لتطالب بالحقوق المهضومة، والمساواة بين كل شرائح المجتمع.

وما يمكن قوله باختصار أن الكتابات الجدارية هي في مجملها تجسيد للمشاكل الاجتماعية التي يعاني منها أفراد ذلك المجتمع، وارتفاع وتيرتها أو انخفاضها هو مؤشر كفيل لارتفاع أو انخفاض المشاكل الاجتماعية.

ب- العـــــوامــــل الثقـــافيـــة:

في مجملها فإننا لا نبتعد كثيرا عمّا ذكرناه سابقا، لأن المجتمع إنما يقيم من خلال تراثه الثقافي والحضاري، وبكل ما يحتويه من مقومات تظهر في جملة العادات والطقوس والتقاليد والعقائد الممارسة فيه. وعلى اعتبار أن الكتابات الجدارية هي " منتوج ثقافي حضري "، فإنها بشكل أو بآخر تعكس مدى تشبع هذه الفئات أو الشرائح به، فهي حوصلة لهذا البعد الثقافي الحضري. وقد نلمس هذا جليا إذا ما أجرينا مقارنة بسيطة بين جملة الكتابات الجدارية في الدول الغربية والدول العربية، ورغم أنها نتاج تراثي إنساني، إلاّ أنها تتميز بخصائص محلية تختلف من دولة لأخرى من حيث محتواها الثقافي، ففي الدول الغربية كإيطاليا وفرنسا مثلا فإنه يغلب عليه المواضيع السائدة في تلك المجتمعات، فهي تتجاوز كل القواعد والمحرمات، بل إنها تدين وتنذر، وأحيانا تقرف البصر حينما تتأطر و تتحول إلى

1/ http://www.palestine-info.info/arbic/books/shearat/shear4.htm

أجواء كابوسية وجنسية متوحشة ومبتذلة كما حللها حسان تليلي[1].على عكس ما في الدول العربية، فرغم أنها محاولة لكسر كل الطابوهات " tabo " الموضوعة في المجتمع، لكن محتواها لا يتعدى التصريح بالمعارضة للقيادات وللأنظمة وإن تناولت المواضيع الأكثر حساسية كالجنسية فإنها أبسط بكثير مما هي عليه في الدول الغربية.

إن الكتابات الجدارية هي مؤشر على المستوى الثقافي وحتى التعليمي السائد، فكثيرة هي الكتابات التي تأخذ شكل رموز أو إشارات، حيث تعكس المستوى المحدود لصاحبها، مثلا (6TRON) [1]، وكذلك (MORORA)، (LOV)، وإن لم توحي بالمستوى التربوي المحدود فإنما هي رموز وتشفيرات قد يلجأ ويتعمد فاعلوها حتى تنال حظا أوفر في الفهم والمعنى. وبالعودة إلى الكتابات الجدارية في القديم فإنها كانت تجسد الطابع الثقافي السائد، ففي رسومات كهوف التاسيلي نلمح تلك الحيوانات الطائرة، وكذلك هو الأمر بالنسبة للآثار العراقية في بلاد الرافدين والتي تم نقل معظمها إلى أوروبا، فتلك الحيوانات الغريبة كالثيران المجنحة إنما هي رسومات لآلهات مجسدة لتلك الأفكار المسيطرة في ذلك العصر، وغيرها من الأمثلة، ومنه أجمع الباحثون الأثريون على أن الكتابات الجدارية بدأت بالرسومات المحفورة أو المنقوشة على جدران الكهوف والمغارات، مرورا إلى المعابد والمقابر، وهذا في عصور ما قبل التاريخ وبالتالي قبل بروز فن الكتابة؛ ولعل المتبصر ما بين الكتابات القديمة والحالية إنما يستشف منها المستوى الثقافي والعلمي والعقائدي الذي كان سائدا في حقبة ما.

إن الكتابات الجدارية في الدول الغربية تعكس بشكل جلي المستوى الثقافي السائد، وهذا ما يتضح من خلال العبارة التي وجدت على قطار ما بين لندن وأكسفور " العصابيون يبنون قصورا في الخيال والمجانين يسكنونها والأطباء النفسانيون يجمعون الإيجار عنها "[2].

والصورة رقم (06) والتي تعني الحب وتبرز بعض العواطف، فإنها تجسد المستوى التعليمي المحدود لصاحبها، كذلك الأمر بالنسبة للصورة رقم (08) "Break Dince " تشير أن صاحبها ذا مستوى تعليمي معين. ولسنا بصدد شرح معاني ومفاهيم هذه الرموز بقدر ما نحن بصدد إبراز البعد الثقافي والتعليمي السائد، ونفس الشيء نلمحه في بعض الصور في المملكة السعودية والتي ترمي إلى قيم التسامح و التعاون و التآزر، وكذلك بالنسبة للعبارة التي وجدت في الضاحية الجنوبية للعاصمة الجزائرية: " اذهبوا إلى بريطانيا فإن بها ملكة لا يظلم عندها أحد "[3]، وإن كانت تحمل بعدا

1/ Alain vulbeau : les gravittis ou l'émergence de l'incisif, internent.
2/ http://www.kishtainiat-info.info/arabic/books/shearat/sher4.htm
3/ مراد الطرابلسي: الجدران الجزائرية من أحلام الهجرة إلى العنف القبلي والطائفي، أنترنت.

إعلاميا، فإنها تجسيد لقيم ومبادئ مستوحاة من العقيدة، وهي دعوة إلى طلب الجوار و رفع الظلم.

ج- العـــوامـــــل السيـــاسيـــة:

تكسب الكتابات الجدارية بعدا سياسيا لا غنى عنه في معظمها، وهي نفسها سواء في الدول العربية أو الأجنبية، فهي دوما تجسد الصراعات الحزبية والأفكار والجماعات الطائفية التي لم تجد سبيلا للخروج إلى الساحة العامة فتختلف مضامينها السياسية، كما في سنوات الاستعمار الذي عاشته الجزائر، وخلال اندلاع الثورة التحريرية حيث ملئت الجدران بعبارات الترحيب بالثورة وتأييد الثوار و كذا للرفع من عزيمتهم. وعلى العموم فإن الكتابات الجدارية في بعدها السياسي إنما تتزامن مع الأحداث، ومثالنا في ذلك أحداث الجزائر في بداية التسعينات حيث ظهرت تحت وطأة تلك الظروف (سنرى ذلك بالتفصيل في عنصر الكتابات الجدارية في الجزائر)، وما يمكننا قوله أن تزامن الأحداث السياسية مع الكتابات الجدارية، أو غيرها من الأحداث الأخرى المجتمعية، إنما صفة شهدتها و لم تزل كل دول العالم، ولكن تبعا لنوعية تنلك الظروف وشدتها.

ففي فرنسا بعد ثورة الطلاب في عام 1966، حيث كانت دافعا قويا لبروز هذه الكتابات التي جاءت معبرة عن أفكار وآراء جماعات نخبوية مقهورة أي تعبر عن فكرة وثقافة الاغتراب في مجتمع عنصري.

أما في روسيا وبالضبط في موسكو، فإن الأحداث والتحولات العميقة التي عرفها المجتمع في أواخر الثمانينات - والتي أسفرت عن انهيار عالم ضخم كان يعرف بالاتحاد السوفياتي -، ساهمت وأدت إلى بروز الكتابات الجدارية التي عبرت وبشكل جلي عن تلك التحولات.ودون أن نركز على هذه الدولة ونتناسى أخرى، فإن الكتابات الجدارية كانت ولازالت تتزامن مع الأحداث السياسية في مجتمع ما، ولعل الكتابات الجدارية في فلسطين أحسن مثلا لها سواء المنجزة من طرف الفلسطينين أو الإسرائيلين مثلما تعبر عنه الصورة رقم (**03**).



وخلاصة القول أن الكتابات الجدارية لا تحدث لسبب اجتماعي أو ثقافي أو نفسي أو سياسي بقدر ما تحدث بتظافر جملتها وإن طغت إحداها على الأخريات.

د- العـــــوامـــــل النفسيـــــة:

إن الأسباب النفسية والتي هي جملة الصراعات والإحباطات والمشاعر المتناقضة التي تنتاب الفرد تساهم بجزء كبير في بروز الكتابات الجدارية، خاصة وأن معظم القائمين بها هم شباب أو بالأحرى مراهقين، وتعد أحسن ممر لتنفيس تلك الطاقات المعارضة والمنافية أحيانا للمبادئ والقيم والعادات، فهي ليست طريقة تعبير فقط بل تعتبر عنفا رمزيا ينبعث من مضامين تلك الإشارات والرموز التي تبدي الرغبات الجنسية المحرمة منها والمقبولة والتي لا تجد تنفيسا لها، ويلعب الاستقرار النفسي دورا فعالا في سلوكات الأفراد ونمطيتها، حيث أن القيمة الكمية والكيفية للكتابات الجدارية تختلف من مكان للآخر، ومن وقت للآخر وفي هذا تحليل الحالة النفسية التي كتبت بها، (التحليل النفسي لتلك الكتابات)، هذا من جهة ومن جهة أخرى يوجد ما يسمى بالتقليد (خصوصا تقليد الأطفال لعملية الكتابة). ولعل الكتابات الجدارية في المراحيض العامة هي نوع خاص بذاته عند بعض الباحثين وهو نمط يمتاز بحظ وفير في البحث والتنقيب في الدول الغربية. ومنه فالأسباب النفسية تدخل في خضم الأسباب الاجتماعية والثقافية المؤدية للكتابات الجدارية.

ومن خلال ما سبق عرضه من العوامل يمكننا القول أن الكتابات الجدارية لا تحدث نتيجة عامل واحد، وإنما بتظافر مجموعها ويظهر هذا جليا بحسب اختلاف مواضيعها، وعليه يمكن القول أنها ظاهرة إنسانية، ثقافية، اجتماعية، نفسية وسياسية.

4-4/ مـــن يقـــوم بالكتـــابات الـــجداريـــة ؟ وأيـــن؟:

ببروز ظاهرة الكتابات الجدارية بل وبتفاقمها، ازدادت التساؤلات حولها مما دفع بالباحثين إلى محاولة البحث فيها، لكننا لسنا هنا بهذا الصدد بقدر ما نحن بصدد معرفة من يقوم بها وأين يتم ذلك؟

إن الكتابات الجدارية ظاهرة تشتمل المجتمع الإنساني كافة وإن كانت تتميز ببعض الصفات عند مجتمع ما دون غيره، فإنما مرد هذا إلى طبيعة ذلك المجتمع ومقوماته، لكن الباحثين يجمعون على أن هذه الكتابات إنما تمارس من طرف الشرائح المقموعة على حد تعبير " David Manise "، التي تعاني من التمييز العنصري والتهميش في الحقوق سواء الاجتماعية أو السياسية، ولعلنا نشهد ذلك جليا في الدول الغربية كإيطاليا وفرنسا وحتى في نيويورك ..؛ إن فئة الشباب هي الأكثر لجوء إلى هذه الظاهرة وذلك في غياب الوسائل التعبيرية الأخرى كالصحافة والتلفزة وغيرها من الطرق المشروعة التي تبقى حكرا على فئات أو أشخاص معينين، كما تعتبر الوسيلة السهلة والبسيطة للتعبير عن الأفكار والآراء التي تدخل ضمن قائمة الطابوهات (tabo) والتي نقصد بها جملة المواضيع المحرم والممنوع الحديث عنها، فتأتي الكتابات الجدارية لكسر تلك المواضيع والمشاركة في الرأي لتبني قضية ما، كما نلمح ذلك في نيويورك، أين نجد معارضة شديدة لاحتلال العراق والحرب على أفغانستان، يجسدها الأشخاص المعارضين للحكم والسياسات أو المؤيدين لها، حيث يقوم بها عادة مجموعة من الشباب، حدد بعض الباحثين سنهم ما بين 14 و17 سنة يخرجون ليلا ما بين الواحدة إلى الخامسة صباحا، ثم يتكتلون في جماعات بعد أن يقتسموا الأحياء فيما بينهم، وهم بذلك يشكلون الشلل أو العصابات كما في إيطاليا، حيث أطلقوا على أنفسهم " عصابات الغرافيتي Graffiti Gangs "، وهم مجموعات من الأقليات العرقية والإثنية من اليافعين الذين اتخذوا من جدران فيلادلفيا مساحة لهم ولأهوائهم، ومنهم من يتركز بكتاباته في المراحيض العامة، وقد سموا أنفسهم أدباء المراحيض[1].

إن الكتابات الجدارية قد تمارس من قبل الشباب الراسبين مدرسيا، أو العاطلين عن العمل والمدمنين على المخدرات والكحول وغيرها من الآفات، والذين يعانون الانحلال الأسري والعائلي والفقر الذي دفع بالكثير من الأطفال للخروج إلى الشارع، بكل ما يحمله من أخطار آفات، ومن ثمة يدخلون عالما آخر لا حدود له. إن ظاهرة الكتابات الجدارية عميقة بعمق أسبابها وشائكة بتداخل عواملها، وعلى العموم فهي تمارس في الأحياء الشعبية والفقيرة لأنها عادة ما تكون بعيدة عن الرقابة الرسمية، فيجد فيها الشباب الملجأ الآمن للقيام بهذه الرغبة تعبيرا عن مشاكلهم أو سخطا على النظام والقائمين به، أو تآزرا مع مشاكل أخرى كما يجري حاليا في قضية فلسطين والحرب على العراق.

1/ مرح البقاعي: عصابات الغرافيتي... والجداريات، سبق ذكره.

وتتواجد الكتابات الجدارية على كل جدران المؤسسات التعليمية أو التكوينية وحتى المهنية، و كذا على جدران الملاعب كتعبير على تأييد فريق ما أو معارضة لغيره، وعلى جدران المسارح كالعبارة التي وجدت على أحد مسارح باريس[1]:"لا يعاقب المرء أبدا إذا أمات أحدا من الضحك"، وأيضا تنتشر في محطات الحافلات مثل العبارة التي وجدت في محطة بيكادلي وهي من أجل التعارف " الزواج مؤسسة رائعة، لكن من يرغب في قضاء حياته في مؤسسة ؟ "، ونجدها على جدران العمارات والجامعات، كعبارة: " السأم أبصر النور يوما في الجامعة " بجامعة السربون الفرنسية، وكذلك الشأن في المقاهي والقطارات كالعبارة التي وجدها "خالد القشطيني" عند زيارته للجزائر حينما كان متوجها إلى صحرائها الكبرى، أين وجد على حائط مقهى هذه الكلمات: " لا تبصق ؟ ربما ستحتاج إلى بصاقك بعد قليل "، ووجدت عبارة أخرى على جدول قطارات ليفربول :" السفر على ظهر سلحفاة أسرع لك". والأمثلة كثيرة جدا بحيث لم تعد ظاهرة الكتابات الجدارية خاصة بمنطقة معينة، بل أصبحت تستحوذ على كل مساحة تصلح للكتابة أو الحفر أو النقش كما نلاحظها على طاولات الدراسة، وكذا في المراحيض العامة وعلى الأسوار الإسمنتية...وغيرها من الجدران.

وبتقدم الكتابات الجدارية واعتبارها فنا قائما بذاته، تطورت الوسائل المستخدمة فيه إلى الدهان والرش بمضخات مخصصة لهذا الغرض والتي تختلف باختلاف الألوان وتعددها، وفي الدول الغربية فإن أسعار تلك المضخات عدلت وقننت حتى يتمكن الشباب من اقتنائها، كما تحولت الكتابات من على الجدران الإسمنتية أو الخشبية إلى الزجاج تبعا للتطور المعماري هناك، حيث تفنن هؤلاء الشباب في تجسيد لوحات فنية تبهر الناظر. وأمام اعتبار الكتابات الجدارية نمط فني قائم بذاته أو باعتبارها عنف مرسل من خلال مضامينها يطرح السؤال نفسه وهو: الكتابات الجدارية فن أم عنف؟.

5-4/ أنـــواع (أصناف) الكتـــابـــات الجداريـــة:

بعد جملة التعاريف التي سبق ذكرها عن الكتابات الجدارية، يمكننا أن نستشف من ذلك عدة أنواع أو أصناف قد تختلط وتتشابك أحيانا، لكنها ربما تأخذ منحنيات أخرى تتمايز فيها عن بعضها البعض، وسنحاول من خلال ما توافر لدينا من معلومات أن نذكر بعضا منها:

أ- حســـب طبيعتـــهـــا [2]:

ويقسمها " Lotman " 1977 إلى نوعين هما: الصنف التصويري والصنف الشفهي، وكلاهما مختلف عن الآخر، فالتصويري يشمل كل الرسومـــات التي تتجسد على الجدران مهما كان حجمها

1/ http://www.kishtainiat-info.info/arabic/books/shearat/sher4.htm
2/ http://www.palestine-info.info/arabic/books/shearat/shear4.htm

ولونها، وحسب رأيه فإن هذا الصنف قد يتخذ قالبا فنيا خصوصا حينما يشغل مساحات كبيرة، كما سنرى ذلك في جداريات نيويورك وغيرها، والحضارة العربية أيضا تزخر بمثل هذا النمط.

أما الصنف الثاني الشفهي، فهو النمط الأكثر شيوعا ويضم كل ما يمكن كتابته من مفردات أو عبارات أو حتى رموز وإشارات، ويتخذ أيضا عدة أبعاد، فبقدر ما هو وسيلة تعبيرية أو إعلامية فهو كذلك أداة عنف يشهرها فاعلوها في وجه العامة، فتضم عبارات الشتم والكلام القبيح والمفردات البذيئة التي تمس وتخدش الحياء الاجتماعي، فتشهر بأشخاص وتذم آخرين ..؛و هو في مجمل دراساتنا عنف رمزي يتضمن السلبيات أكثر من أي شيء.

ب- حســـب مكانهـــا[1]: ويقسمها الباحثون إلى نوعين هما:

* **النوع الأول:** يسمونه بالكتابة العامة، ويشمل كتابة الأسماء والرموز التي تكتب وتحفر أو ترش بالدهان على الجدران الخارجية والأشجار والأسيجة ولوحات الإعلان والأنفاق.

* **النوع الثاني:** ويسمونه بالكتابات الخاصة، وهي التي توجد على جدران المراحيض، ويعتبرونها نمط خاص بل ومتميز من حيث المضمون والشكل، وتقوم بها جماعات أطلقت على نفسها تسمية " أدباء المراحيض "؛ كما اقترح الأنثروبولوجي الأمريكي " الن دنديز " إسما خاصا لهذا النمط: " Latrinatia "، لكن الباحث " آبل إيرنست "انتقده في هذا، ورأى أنه لا حاجة لهذه التسمية الخاصة ما دام مصطلح الكتابات الجدارية شامل لمثل هذا الصنف.

إن الكتابات الجدارية متشعبة ومتداخلة فيما بين أصنافها وهذا تبعا لمكانها وطبيعتها، وكذلك حسب المحتوى أو المضمون والأدوات المستخدمة فيها، ولا نتوقف عند هذا الحد، بل وتبعا لميدانها سواء كان اجتماعي أو سياسي أو رياضي.

ج- حســـب المضمـــون[2]: تضم الكتابات الجدارية نوعين أو صنفين، وإن كانا يتداخلان تحت نفس التسمية، لكنهما يختلفان في طريقة الأداء:

* **الرسم الـــجداري:" Le graff "**: وهو رسم مصور على الجدار ويشكل جزء هاما من مجموع الكتابات الجدارية العامة، وليس بالضرورة أن يأخذ منحى فنيا، بل قد يكون على شكل الكاريكاتور الذي يحمل في طياته العديد من المعاني ذات الأبعاد الاجتماعية والسياسية وحتى الدينية، وهنا نلمح صفة الاستهزاء والمزح، وهي في كثيرها لا تستهدف الأفراد أو المسؤولين فحسب، بل تصيب في معناها العميق جملة البنى الاجتماعية والقيم، وتمس أحيانا بإطارات النظام السائد وقوانينه، كما حدث

1/ Qui sont les graveurs : http://xxi.ac-reims.fr/leon-bourgeois/matiere/tpe/tpepord/eleve/graffitis%202/qui sont%20lesgraffeurs.html

2/ Tag, graffiti ou graff : présentation, http://xxi.ac-reims.fr/leon-bourgeois/matiere/tpe/tpepord/eleve/ graffitis%202 Représentation%202.html

في إيطاليا وبالضبط في مدينة ميلانو، حيث أعلنت السلطات على متابعتها لهؤلاء قانونيا، بل وخصصت جوائـــز قيمة لمن يقبض عليهم، أو حتى يدل على مكانهم، وبغير إيطاليا فالأمثلة كثيرة...

إن الرسم الجداري يتميز من حيث أدائه وغرضه وكذلك الأدوات المستعملة لإنجازه، وهي تتطور تبعا للتقنيات الحديثة، حيث ارتقى حاليا إلى الرسم على الزجاج بعدما كان يمارس في الستينات على البنايات الإسمنتية ثم على العمارات في الثمانينات، وإن كانت باريس قد حظيت بمثل هذا النمط فإن غيرها ولاسيما الدول العربية لا زالت تعيش بدايات الظاهرة كما في الستينات والسبعينات.





نماذج للرســـم الجـــداري.

***النقـــش الجـــداري" Le Tag "** : ويعتبر قاعدة للكتابات الجدارية، فبالعودة إلى الجذور التاريخية لها، نجد أن الشعوب الأولى كانت تحفر الجدران وتنقش عليها أسماء لهم أو لملوكهم وتجسد طريقة حياتهم، ويعتبر هذا النمط بسيط جدا لبساطة الأدوات المستخدمة فيه، وذلك تبعا لبدائية تلك العصور الغابرة، وانتقالا من الكهوف والمغارات التي كان الإنسان يسكنها، انتقلت تلك النقوشات إلى جدران العمارات والبنايات الحالية، وإن كانت على حسب اعتبار الباحثين الأثريين دليل أثري مهم في التقصي عن حقائق تاريخية لمعرفة حياة الشعوب التي عاشت في تلك الفترة، ومنها يستشف الباحثون نمط الحياة الاجتماعية والثقافية والدينية التي كانت سائدة.

إن النقوش الجدارية القديمة كتلك الموجودة في كهوف التاسيلي بالجزائر وفي بلاد الرافدين ودمشق، هي دليل على وجود هذه النزعة في الإنسان منذ القدم لتخليد ذكراه وترك أدلة على وجوده مهما طال الزمن.



نمـــاذج للنقـــش الجـــداري

د- حســـب مواضيعـــهـــا: بالإضافة إلى ما سبق، فإنها تقسم أيضا حسب مواضيعها إلى:

*** المواضيع السياسية:** كتعبيرات معارضة للحكم، وأخرى مؤيدة لحزب معين، مثل عبارة " انتخبوا RND " التي سجلت في انتخابات الجزائر مرات عديدة،والأمثلة كثيرة جدا، غيرها من الدول أين تبرز الكتابات الجدارية بشكل متزامن مع الأحداث السياسية التي يعيشها أي مجتمع.

*** مواضيع اجتماعية:** تبدي هموم وآلام الشعوب ومعاناتهم الاجتماعية بسبب عدم تحقيق مطالبهم، كما تضم الكتابات الجدارية مواضيع أخرى سواء ثقافية أو رياضية مؤيدة لفريق أو مناصرة له، وهي تختلف باختلاف مواضيع الحياة الاجتماعية كافة.

إن الكتابات الجدارية في مجملها سواء كانت شفهية (كتابية) أو تصويرية (رسومات)، أو ذات طابع فني (كما هي في الدول الغربية) فإنها تجسد ظاهرة إنسانية وتاريخية محظة، وحسب اعتقادنا فإنها في مجملها ما بين الكتابات والرسومات قد حققت أوسع الأبعاد ولعل الحضارة العربية غنية جدا بهذا النمط، فباجتماع الخط العربي والرسومات على الجدران وتنوع الأدوات والمواضيع، راح أصحابها يتفننون في تشكيل أروع ما جادت به القريحة البشرية، في فسيفساء (Mosaïque) تبهر العيون والعقول، والشواهد كثيرة أهمها[1]: جداريات مسجد قبة الصخرة بالقدس الشريف، وكذلك محراب الجامع الكبير في قرطبة والجامع الأموي في دمشق، وأروع ما فيه اللوحة المعروفة بلوحة "بردى" (اسم النهر الذي يروي دمشق وما حولها)، وهي لوحة كبيرة موجودة بالركن الجنوبي الغربي من المسجد، تمثل منظر نهر بردى وهو يخترق الفوطة الغناء ويدخل دمشق، ويبلغ طول تلك اللوحة الفريدة من الفسيفساء قرابة 38 متر وارتفاعها 07 أمتار، وهي أكبر مسطح من الفسيفساء كشف عنه حتى اليوم. وغيرها من الشواهد، التي تزخر بها الحضارة العربية و الإسلامية (وهي تفوق بكثير جداريات ايطاليا أو غيرها)، وبالحديث عن الفن التصويري الرائج في الدول الغربية، و غرار باريس وموسكو وكذا نيويورك، فإن هناك العديد من الدول التي قامت بها عدة جمعيات تنشط لصالح الأفراد الذين يقومون بالكتابات الجدارية وذلك للمطالبة بحقهم في التعبير والمشاركة في صنع الأحداث المجتمعية، وكل هذه الاتجاهات إنما هي جواب عن موقع الكتابات الجدارية في المجتمعات.

1/ مرح البقاعي: عصابات الغرافيتي...والجداريات، سبق ذكره.

6-4/ بدايـــة الاهتمام بظاهرة الكتابـــات الجداريـــة عبر مقاربـــات نظريـــة وعلميـــة مختلفـــة:

أ- المقاربـــة اللســـانيـــة (اللغويـــة) [1]:

مع أن الاهتمام بهذه الظاهرة يعود بجذوره إلى السنوات الأولى من هذا القرن، إلا أن أول دراسة أرختها وحللتها ركزت على جانبها اللغوي والاجتماعي، حيث اهتمت بتحليل المفردات اللغوية الواردة في الكتابات الجدارية والتي تجسدت في أول دراسة صدرت في سنة 1928م من طرف الباحث اللغوي الأمريكي " Read "، حيث سمحت له هذه الدراسة بالنظر وبصورة واسعة لكم ضخم من الكتابات على جدران المراحيض في منطقة غرب الولايات المتحدة الأمريكية وكندا، وهذه المظاهر اللغوية المكتوبة جعلته - وهو الباحث اللغوي - يعطيها أهمية ليدرسها في إطارها العلمي، حيث كتب قائلا: " إنها ولّدت الزيارات للأماكن العامة وعكست اهتماما كبيرا، وأن هذه المفردات والكتابات يجب أن تكون موضوعا جيدا للبحث من قبل علماء البحث اللغوي". وهذا لأن جملة الكتابات التي وجدت في ذلك الوقت ما هي إلا مصطلحات لغوية ومفردات تعكس استخدام الإنسان العادي للتراث اللغوي المحلي وتوظيفه للهجة العامية للتعبير عن مفرداته وأقواله الذاتية، وهي في نظر الباحث " Read "تعتبر مصادر هامة للدراسة والبحث والتحليل، ويمكن اعتبار هذه المحاولة كوجهة نظر للمدرسة اللسانية (اللغوية) في تفسيرها لهذه الكتابات الجدارية. وقبل الخوض في بقية العلوم التي تناولت هذه الدراسة يجدر بنا القول أن البحوث الأثرية والحفريات التي تهتم باكتشاف هذا الإرث الإنساني العظيم إنما يطلق عليها " Glyptologie " وهي تعني فن دراسة النقوش الأثرية، بسبب اهتمامها بتلك الآثار وما تحمله من أسرار كامنة حول المجتمعات الغابرة، وتعتبر هذه المساعي الخطوة الأولى في البحث والتنقيب حول هذه الكتابات، لكن فيما بعد ظهرت عدة مدارس بريادة عدد من الباحثين في اختصاصات متعددة، فكل باحث كان ينظر لها من وجهة نظر معينة، وسنأتي على ذكر هؤلاء ولا سيما في مجال علم النفس وعلم الاجتماع.

لكن معظم الدراسات التي صدرت حول هذه الظاهرة تتفق على وجودها منذ آلاف السنين، بدءا من الباحث " Robert Reisener " الذي تناول في كتبه الجذور التاريخية لهذه الكتابات، ومرورا بمحاولات الأثريين الأمريكيين لدراستها في غواتيلاما والمكسيك،وأخيرا في دراسة "بوشنل Bushnell" الذي تطرق إلى الكتابات السوفيتية وتجربة الإنسان السوفياتي في الجداريات التي وجدت في المقـــابر والمعـــابد ...، وكذلك ما ذكـــره "فيكتور هيغـــو Victor Hugo " من كشوفـــات في كاتردائية

1/ المركز الفلسطيني للإعلام: مدخل تاريخي عام للكتابات الجدارية،
http://www.palestine-info.info/arabic/books/sheart/shear4.htm

" نوتردام Noterdam " حيث عزز فيها الجانب الأثري الذي يقوم به المحللين حولها، وحتى نكون أكثر إلماما بها فإننا سنتطرق إلى المقاربة الاجتماعية وكيف تنظر أو تؤول هذه الظاهرة، وكذلك نفس الشيء بالنسبة للمقاربة النفسية على اعتبار أنهما الأقرب إلى مضامينها.

ب- المقـــاربـــة الاجتماعيـــة[1]:

وبقدر ما تعتبر الكتابات الجدارية ظاهرة أثرية وتاريخية، غير أن هذا لا ينفي الجانب الاجتماعي الهام لها، بل يدعم الأطر الاجتماعية التي تحدد مغزى هذه الأخيرة، ولقد برز عدد من الباحثين الذين ركزوا في دراستهم لها من هذا المنظور، وإن كان البعض يرى تداخل الجانب النفسي معه في كثير من مظاهر الكتابات الجدارية، حيث يرى العالم النفسي " Codpaile " أن المركبات (التشكيلات) الفكرية التي مثلتها الكتابات الجدارية لها مغزى اجتماعي باعتبارها تلقي الضوء على المواقف الاجتماعية للصراع النفسي والإنساني...، وهذا يعني أن محتوى الكتابات الجدارية كثيرا ما يعبر عن المشاكل والمواقف الاجتماعية التي يعانيها الفرد في حيزه أو مجتمعه، وكذا الأمر بالنسبة لـــ " M. K. Opler "، حيث حدد درجة الامتلاء في الكتابات الجدارية الخام في مجتمع ما تعكس مشكلاته الاجتماعية، أي أنه بقدر تلك المشاكل وقوتها تكون الكتابات الجدارية قوية وكثيرة ومتنوعة والعكس صحيح.

كما أن لوماس " Lomas " أكد أن: " المعطيات الثقافية الواردة في مجمل الكتابات الجدارية التي دأب العامة على كتابتها والتعبير عنها يتضمن الرسالة الاجتماعية التي تعكس المواقف الاجتماعية والتغيرات العريقة في المضمون الثقافي..."، وهو يتفق مع " Freeman Richard " الذي يقول أن: " الكتابات تعكس طبيعة المجتمع وتحديدات الطابع العاطفي للأفراد الذين يمارسون هذا النوع من التعبير..."، وهذا يعني أن الكتابات الجدارية إنما هي الوجه الثاني لما يحدث في المجتمع من مواقف وحركات، وهي دليل قاطع على المضمون الثقافي والعادات السائدة في تلك الحقبة. وبالعودة إلى الباحث " Robert Reisener " المشهور في الكتابات الجدارية نجده يولي أهمية كبيرة لما هو مكتوب على الجدران معتبرا ذلك بمثابة " الباروميتر" الذي يقيس طبيعة التغيرات الاجتماعية التي تفرض نفسها وتحتل تفكير العامة من المجتمع، وهو يؤكد دوما على أن هذا النوع من الكتابة يخبرنا بما يحدث في مدننا وقرانا.

وهكذا نجد أن علم الاجتماع قد ركز بشكل كبير في دراسته لهذه الظاهرة على سلوكات وأحداث المجتمع التي تطبع في أذهان الأفراد، ومن ثمة تفرغ أو تجد طريقهـــا للخروج من خلال تلك

1/ المركز الفلسطيني للإعلام: المرجع السابق.

الكتابات، وإن كان المضمون الاجتماعي يضم معه كل الإرث الثقافي الذي لا يقل أهمية عليه في تكوين هاته الكتابات، والذي يعتبر أحد العوامل الهامة في قيام أي مجتمع على أساس أن الكتابات الجدارية هي جزء منه.

ج- المقـــاربـــة النفسيـــة[1]:

على اعتبار أن مضمون الكتابات الجدارية هو ما يفكر فيه مجموع أفراد المجتمع، وأن الفرد الذي يجسد هذه الكتابات هو طرف من هذا المجموع، فإن المدرسة النفسية باهتمامها بهذه الظاهرة إنما تهتم بالجانب النفسي للقائمين بتلك الكتابات، وعليه فإن فردية الكتابة وإن عبرت عن رؤى وتحليلات ذاتية إلا أنها ترتبط بالواقع المعاش، وإن كانت تشكل سيرة ذاتية أو جزءا منها " Auto Biography " لمن يكتبها بصفته جزءا في المجتمع، حيث يجسد فيها نفسيته ويجول فيها بآراء متضاربة ورغبات مختلطة وأخرى تود الخروج والتعبير، أو معاناة وآلام لا يحس بها إلا هو، فهي من هذا المنظور أسلوب للتعبير أو بالأحرى للتنفيس عن ذاته، فيكتب ويرسم كل ما يبدوا له محرما وممنوعا بطرق أخرى. وهكذا فإن المدرسة النفسية تهدف إلى التركيز على الدوافع النفسية التي تؤدي بالأفراد إلى الكتابة على الجدران مع مراعاة نمط ونوعية تلك الكتابات، لأنها في الأخير جملة من الرموز والشفرات المقنعة التي تحتاج إلى كثير من الدقة والانتباه لفكها وفهمها هذا من جهة، ومن جهة أخرى نجد أن هذه المدرسة ركزت وبشكل كبير على نوعية الكتابات الممارسة على جدران المراحيض، بل واستخدمت الجدران في تجارب لمعالجة المرضى النفسيين في المستشفيات النفسية، حيث قام بعضهم بتحليل العلاقة ما بين الجدران قبل الكتابة وبعدها مع مراعاة نوعها وشكلها، وكذا دراسة درجة الإثارة والانتباه التي تقنع الإنسان العادي باتخاذ موقف اتجاهها، أو بالأحرى باتخاذ وتشكيل تصور حولها، حيث ارتكزت تلك النظرة على قيمة المباديء الاجتماعية التي تنبع من قدرة الكتابات على تمثيلها على الجدران، وبالتالي أثارت بقية أفراد المجتمع بصورة أو بأخرى، بل وذهب الكثير منهم خاصة الباحث" ABELL" إلى دراسة الظاهرة في الوعي النفسي من خلال مكتسبات علم النفس واستخدام أدواته، وبالذات آراء وأقوال "فرويد" في الأنا والشعور واللاشعور، حيث نلاحظ في إحدى دراسات "ABELL " الإلحاح الشديد على دراسة العلاقة بين رائحة العفن الإنساني الخارج منه في العملية الطبيعية (الإخراج Wast) والدوافع التي تؤدي بالكاتب إلى استخدام جدار المرحاض مثلا للإفراغ والتعبير، وكذلك محتوى (مضمون) المفردات وعلاقتها بمفهوم "Tabo " الحياء والممنوع في المجتمع، حيث اعتمد الباحث على السيرة الذاتية التي كتبها أحد الآمنين على أفكار فرويد" Freud".

1/ المركز الفلسطيني للإعلام: المرجع السابق.

وهكذا نستخلص من كل ما تقدم، بأن المدرسة النفسية حاولت التطرق بالدراسة لظاهرة الكتابات الجدارية انطلاقا من عدة معطيات، وهدفها الأول والأخير هو فهم مغزى وسبب هذه الأخيرة، لكننا في طرحنا لهذه المقاربة، إنما نلمح وبشكل كبير المدى ارتباطها وتفاعلها مع المقاربة الاجتماعية وحتى اللغوية والثقافية.

د- المقـــاربـــة الانثروبـــولوجيـــة (الثقـــافيـــة):

وفي هذه المقاربة الأخيرة لا نبتعد كثيرا عما ذكرناه فيما سبق من المقاربات، لكننا وعلى الأرجح سنركز وبشكل مثير على المضمون الثقافي لهذه الظاهرة التي مازالت تمثل صلب المجتمع، ولأن لاشيء يشكل قوام المجتمعات إلا ما تحتويه من ثقافات وعادات وتقاليد وجملة الطقوس الجميلة منها والبذيئة، لكنها باجتماعها تشكل بطاقة هوية مجتمع وتميزه عن البقية، ولأن لكل مجتمع لغته الخاصة ولهجاته المتعددة بتعدد الأجناس والأعراق، فإن له كذلك مباديء وعقيدة يؤمن بها ويحرص عليها في كل الظروف، ومهما ظهرت التراعات والصراعات في مجتمع معين، لكنه يظل تحت لواء هذه الثقافة المشتركة.

وعليه فإن دراسة الكتابات الجدارية من وجهة النظر الانثروبولوجية، لا يجب أن ينفصل عن كل هذه المعطيات، بل تثمنها بجذورها التاريخية المتأصلة فيها بتأصل تاريخ الجماعة في ذهن أفرادها، فالكتابات الجدارية ما هي إلا خلاصة طبعت عند كل فرد من المجتمع، وإن أجبرته ظروف معينة على إخراج ما يجول في ذهنه وفكره إلى الجدار معبرا أو رافضا أو عدائيا، فإن المضمون والإرث الثقافي يبقى كما هو، بل يرسخ ويجسد بالبند العريض في كل رمز وفي كل حرف؛ هذا ولقد لعبت الاكتشافات الأثرية دورا هاما في معرفة طبيعة المجتمعات والقبائل التي كانت في عصور ماضية فقط عن طريق إرثهم الجداري الذي مازال حاضرا حتى الآن، حيث كانوا قد رسموا بل ونقشوا على الصخور سير حياقم العادية وكذا تطلعاقم وأمالهم، وإن كانت الكتابات الجدارية عريقة بهذا القدم، فإنها كذلك جديدة بجدة الحياة ودروبها، فقد سارت الكتابات الجدارية في منحى العصرنة، وكل حقبة خلت كانت تبعا لبقية الظروف، والأمثلة كثيرة التي تبرز عصرنة الكتابات الجدارية ومواكبتها لتطورات ومتغيرات الوقت والأحداث، وسنأتي في نقاط لاحقة على ذكرها.

وفي نهاية هذا العرض لا بد من الإشارة إلى دور العلم، ورغم ما أولاه من اهتمام لهذه الظاهرة إلا أنه لم يوفها حقها في البحث والتنقيب، وعلى حد تعبير " بوشنل " فإننا لم نحللها التحليل الكافي، فمعظم ما قدم انصب على توثيقها وتصنيفها، ومثال ذلك محاولات " Kilroy " وغيره من المهتمين بالظاهرة في جمع العديد من الكتابات وتصنيفها وتقديمها للقراء دون محاولة دراسة أبعادها الحضارية

ودورها في الفكر الإنساني وكذا دور الفرد العام في صياغة المواقف والاتجاهات في مجتمعه، إلا استثناءات قليلة ممن تناولوها من منظور علمي بحت.

4-7/ الكتـــابـــات الجداريـــة في الـــعـــالم[1]:

في هذا الجزء سنتناول بروز الكتابات الجدارية في عدة نقاط من العالم التي تعد عواصم لها، لكن قبل الخوض فيها نلفت الانتباه إلى أن هذه الموجة التي اجتاحت هذه المناطق حديثة، أما عن محتواها فهناك خلط، فمنهم من يعتبرها مجرد كتابات تحمل المشاكل والمعاناة وتشكل طابع مسيء للمحيط أو عنيف ضده، ومنهم من يعتبرها موجة فنية متصاعدة في طريقها إلى التألق، لكننا سنأتي إلى هذا في جزء آخر يشمل تصنيفاتها، وعليه فإننا سنتطرق إلى عدة نقاط مهمة ساهمت وبشكل مثير في شيوع هذه الظاهرة وهي:

أولا: في الولايـــات المتحدة الأمريكيـــة: حيث أن الكتابات الجدارية تأخذ الطابع الفني بعد مرورها على الطابع الكتابي البسيط في شكل موجات من الانتفاضة والمظاهرات، ولأن الو.م.أ هي مزيج من الأعراق والأجناس وهي على رأس الدول التي شهدت مشاكل عرقية وعنصرية، فإن هذه الظاهرة وجدت فيها الأرض الخصبة لتتبلور وتتشكل في طوابع جديدة، وسنتعرض بالذكر إلى نقطتين مهمتين في الو.م.أ وهما:

- **نيويـــورك :** هي عاصمة الكتابات الجدارية في العالم كما يحلوا للبعض أن يسميها، ويعود الظهور فيها إلى منتصف السبعينات، حيث بدأت مجموعات من شباب المدينة تستخدم الجدران للتعبير عن ذواتهم وإحاسيسهم النفسية وتفوقهم، فجسدوا ذلك في صور وكتابات هزلية ومثيرة للضحك، ولقد ارتبط ظهورها في نيويورك أولا بالأنفاق والقطارات، حيث أن الكتابة عليها كانت بمثابة المغامرة، والجماعات التي تبنت هذا الإتجاه هم الشباب السود والإسبانيين الذين وجدوا في أوضاعهم المادية والاجتماعية منفذا لهم لخلق وإبداع طرائق تفكير مختلفة عن إطار الثقافة العامة، وقد توصلوا عبر تطوير أدواتهم ورسومهم إلى إبداع اتجاه جديد في الكتابة الجدارية وذلك نحو الفن الجداري، لكن الشيء الأساسي الكامن خلف هذا التطور في نيويورك هو مدرسة "HIP- HOP" التي برزت في أوائل الثمانينات وهي التي كانت مسؤولة عن شعبية هذه الجداريات وتطورها، كما أسهمت وسائل الإعلام بشكل كبير في شيوعها، وكذا في بروز العديد من الثقافات والظواهر الأخرى مثل النمط الأمريكي الموسيقي" Rap Music " وكذا الرقص " Break dancing " وغيرها ممن تسمى كذلك بالثقافات الهامشية.

1/ المركز الفلسطيني للإعلام: المرجع السابق.

إن الكتابات الجدارية في مدينة نيويورك يقوم بها عدد أو شريحة من الأفراد الذين أبوا أن تذكر أسماؤهم، بل وراحوا يضعون لأنفسهم أسماء مستعارة معظمها من طبيعة ثقافتهم الأصيلة التي يتوقون إلى العيش في كنفها لكنهم يتواجدون في مجتمع رافض لهم، حيث يتميز بسيادة الأبيض على الأسود، فأسست هذه الشرائح فرقا تعاونت فيما بينها لتكسي مدينة نيويورك بكتاباتها الجدارية رغم اختلافها في العادات والمبادىء، لكنها تجتمع في أحلامها وتطلعاتها وكذا في رفضها لسلطة ذلك المجتمع.

وهكذا أصبحت مدينة نيويورك قبلة للزوار من كل أنحاء العالم لمشاهدة الجداريات الضخمة في كل نواحيها، حتى في الأنفاق والقطارات، وإن طرحت هذه الظاهرة الكثير من الإشكاليات حول علاقة المجتمع وموقفه باعتبارها خطرا على الذوق العام، كما أنها ساهمت في انتقالها إلى نقاط عديدة من العالم. وإن كانت الكتابات في نيويورك تعبر عن التمييز العنصري والمشاكل الاجتماعية والاقتصادية للأقليات والأجانب والطلبة، فإنها في شطر آخر تجسد أحلام الأمريكيين وتطلعاتهم المتفوقة التي عبرت عنها الكتابات الجدارية بأحسن صورة، حيث ظهرت مضامينه عبر استخدام تمثال الحرية وناطحات السحاب والجسور العملاقة والأنفاق والقطارات (ميترو) في الرسوم التصويرية، ثم انتقلت فيما بعد إلى مدن أخرى مثل: سيدني، لندن وشيكاغو...

أما بالنسبة لانتشار وكثرة الكتابات الجدارية في قطارات الو.م.أ، فيرجعها بعض الباحثين إلى الاستخدام المكثف لها أكثر من أي دولة أخرى، وكذلك بسبب صعوبة مكافحة وقمع هذه الظاهرة في تلك الأنفاق من طرف السلطات، نفس الأمر في ألمانيا حيث ترتبط فكرة الكتابات الجدارية بجدار برلين، وهذا بسبب موقعه الجغرافي وكذا التاريخي، وعليه فإننا نلمح اتجاهين اثنين في ظهور هذه الكتابات في نيويورك وهما:

أ- الاتجـــاه الأول: ويضم جملة الأشخاص المتمردين الذين سموا أنفسهم بالفنانين، هؤلاء لم يتخلوا عن المبادئ الأولى للكتابات الجدارية من حيث الأدوات المستعملة وطريقة وزمن إجرائها، لكنهم احتكوا ببقية الموجات الفنية الأخرى، ثم حاولوا تطوير هذه الظاهرة ليجسدوا منها فنا جداريا ضخما، وهم عادة ما يبرزون أعمالهم الفنية تخليدا للحلم الأمريكي.

ب- الاتجـــاه الثـــاني: وهي الفئة التي تمسكت بالمبادئ والأهداف المبدئية للكتابات الجدارية، تشكوا من خلالها مشاكلها وآلامها وتطالب بالعدالة الاجتماعية، كما تضم الفئات المحرومة والمغتربين والعمال والبطالين، وهم يبرزون ذلك في كتابات ورسومات بتقنيات بسيطة.

- سوهـــو مركـــز آخر للكتابـــات الجداريـــة: وهو حي يقع في "هيوستون"، وتعتبر الكتابة الجدارية فيه امتدادا لما في نيويورك، وإن كان هناك بعض الاختلاف، حيث ذكر "ديفيد روبنسون" في

مجموعته عن كتابات سوهو: " أنها امتداد لأعمال حركة " HIP - HOP " في نيويورك مع مؤثرات جديدة "، غير أن القائمين بها مختلفين عنهم في نيويورك من حيث العنصر، ففي سوهو معظمهم ينتمون إلى المجتمع الأبيض الأمريكي، بينما في نيويورك معظمهم من السود، كما أن كتابات سوهو تتميز بالتغير لأن ما يمكن ملاحظته اليوم قد لا تجده غدا، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على وفرة الكتاب الذين يوقعون بأسمائهم الحقيقية على أعمالهم عكس نيويورك، وما نود قوله أن ظاهرة كتابات سوهو كغيرها من الظواهر المنتشرة في الو.م.أ، ما هي إلا امتداد لحركات الشباب الرافض والمقهور لمعطيات وتعابير مجتمعه وسلطته والرغبة في عيش أفضل وحياة أحسن.

ثـــانيـــا: في الدول الأوروبيـــة: يذكر بعض الباحثين أن ظهور الكتابات الجدارية في بعض الدول الأروبية، كان بسبب انتقالها من الو.م.أ وبالضبط من مدينة نيويورك، حيث انتشرت بعدها في عدة عواصم كإيطاليا وبريطانيا وفرنسا وحتى في موسكو، وقد بدأ الاهتمام الأوروبي بهذه الظاهرة عن الطريق السياح الذين كانوا يزورون نيويورك وشاهدوا عن كثب أعمال الشباب التي غطت جدران المدينة وألبستها حلة جديدة، وهكذا بدأ هؤلاء يتحدثون عنها، مما حفز ذوي الاهتمام بنقل هذه العادة وممارستها في دولهم، وكانت كل دولة تضفي معالمها وسماتها الخاصة بها على هذه الظاهرة، وسنحاول أن نجول عبر عدة نقاط ونبدأها بـــ :

أ/ إيطـــاليـــا: كانت بداية هذه الظاهرة في المدن الإيطالية وعلى رأسها مدينة ميلانو التي احتلت الصدارة من حيث كثافة وانتشار الكتابات الجدارية، التي حولت جدرانها إلى خربشات وكتابـــات ورسومـــات، لتطورها فيما بعد إلى اتجاه فني شغـــل كل زوايـــا المدينـــة (ميلانـــو)، وشغل مواطنيها وزوارها في آن واحد، حيث قامت مجموعات من الشباب العاطلين عن العمل من هواة الشغب، الذين اتخذوا في منتصف الثمانينات من جدران المدينة لوحا مفتوحا يدونون عليه شعاراتهم وصرخاتهم، وهي وسيلة للإفصاح والتعبير عن رفضهم ومحاولة خروجهم من شرعية المجتمع وقوانينه السائدة، وهؤلاء الشباب يشكلون حسب الفنانة "جين غولدن" شللا أطلقت على نفسها إسم " عصابات الغرافيتي Graffiti Gang " اتخذت من الليل ستارا لتمارس فوضاها، وتسجل سخطها على الجدران ناشرة الرعب في كل مكان، مما أحال واجهات الأبنية ونواحي الطرقات إلى وثيقة سوداء في تاريخ فيلادلفيا، وهؤلاء الشباب المشاكسين على حد تعبير رئيس بلدية ميلانو ينتشرون في أحياء وشوارع المدن وأنفاق الميترو ومحطات الحافلات.

وأمام تفاقم هذه الظاهرة اتخذت السلطات الإيطالية عدة إجراءات للكف منها وإيقاف زحفها رغم أنها حققت في المسار الفني نجاحات ضخمة كادت توازي نجاحات نيويورك، حيث شكلت

معرضا خاصا لرسومات جدارية للعمارات والوجهات شغلت الكثير ممن أطلقوا على أنفسهم " رسامو السبراي "، وأخرى سمت نفسها بالعصافير الفنيـــة. حيث أن هذه الحائطيات الإيطالية الجميلة التي تنتشر في الأحياء الشعبية، تقود أحيانا إلى أشكال فنية متشابهة حتى تبدو وكأنها لشخص واحد، وذلك لتشابه الأسلوب المحدد بالخطوط السوداء الخارجية الشكل، وكذلك للتشابه في استخدام الألوان القوية التي تشغل مساحات كبيرة، لكن المتمعن فيها والمطلع على تاريخ هذه المدن وثقافتها، يكتشف التطابق بين الأبعاد الفكرية الاجتماعية والإيديولوجية ومعاني تلك الرموز والرسومات، لكن انتشار هذه الظاهرة في إيطاليا شأنها شأن العديد من الدول الغربية (الأروبية) التي ظهرت فيها بشكل متزامن، مع أن الإيطاليين يصرون ويؤكدون بأنها كانت منتشرة منذ بدايات هذا القرن في جزيرة " سردينيا " واتسعت منذ بدايات الحرب العالمية الثانية، ومنها انتشرت في عموم بلدان أوروبا كفرنسا وألمانيا وكذلك بريطانيا وحتى إلى موسكو، لكن إيطاليا سجلت وبشدة تواتر هذه الظاهرة على يد جماعات العصافير الفنية، والتي تكونت بعد ثورة الطلبة، حيث جعلت من جدران المدن تقصيا دقيقا ومتفتحا على المشاكل السياسية والاجتماعية والمطلبية لليسار الإيطالي.

لقد كانت هذه الجدران الإيطالية القديمة تحمل سمات مناضلة، لأنها منفلتة من الرقابة الرسمية لما تحمله من قدرات احتجاجية ورافضة، ولأن الأحياء الشعبية الفقيرة بأزقتها الضيقة وطراز بيوتها القديم عادة ما تكون بعيدة عن هذه الرقابة، لذلك فقد وجدت فيها تلك الجماعات مأمنا لها في طرح مشاكلها دون قمع أو ردع، بينما في الثمانينات وحتى الآن فهي تواجهها حملات ضخمة معارضة لهذا النمط - وسوف نرى ذلك في جزء آخر — الذي ترى فيه بلدية ميلانو خرقا للأعراف وتحطيما للتقاليد المرموقة التي تميزت بها وذلك لما تحتويه من معاني معارضة للسياسة معينة أو مناهضة لجهة ما، كما يرى مسؤولوا ميلانو أن هذه الكتابات إنما تشكل إهانة وتشويها للمدينة، وعلى العموم فقد حاولوا بجدية محاربتها.



تمثل هذه الصورة الاتجاه الفني للكتابات الجدارية في إيطاليا.

ب/ في فـــرنســـا: هناك انتشرت الكتابات الجدارية بشكل متزامن مع إيطاليا وهولندا وغيرها، وقد ازدهرت من خلال الأقليات وأحياء الفقراء السود في المدن الفرنسية، وبشكل كبير في مدينة باريس

وبلدية " Charle Ville - Mézières Recrute و Seine Saint- Denis"[1]، حيث انتشرت في مركزين مهمين هما: الحي الجامعي والأحياء السكنية التي يتواجد فيها العمال الأجانب، حيث يقول المهاجرون إذا أردت أن تتعرف على ما يجري في العالم من أحداث فعليك أن تترل إلى محطة الميترو المقابلة للحي الجامعي حيث يجتمع الطلبة الوافدين من مختلف أنحاء العالم، وستقرأ على الجدران مقالات عن مختلف الأحداث الحساسة التي تجري في العالم. كذلك الأمر بالنسبة للأحياء التي يتواجد فيها المهاجرون سواء كانوا عربا أو غير ذلك من مجموع الذين يعانون الشعور بالعنصرية فيختارون الجدران والكتابة عليها تعبيرا عن سخطهم لذلك التمييز العنصري، وإلى جانب هذا هناك تيار مضاد لهذه الشريحة حيث يرد عليهم بكتابات جدارية أخرى تمقتهم وتحتقرهم أكثر، ويرى الأستاذ: حسان تليلي في حديثه عن "المقال الجداري" ضمن نظرية الاتصالات: " أن الكتابات الجدراية في فرنسا تعكس آراء عدد من الشرائح و الأقليات التي لا يتسنى لها التعبير عنها عبر القنوات التقليدية كالصحف و التلفزة...، كما أن هناك قاسم مشترك في الأفكار والآراء لاسيما وأن بلدا كفرنسا يحوي العديد من الجنسيات الغريبة وحتى المتبناة والتي هي بشكل أو بآخر تعاني مرارة العنصرية، ظف إلى ذلك تصاعد الحركات القومية في فرنسا "، ولكن يجدر بنا ذكر ما أحدثته تجربة الطلاب الفرنسيين سنة 1966 التي كانت مؤشرا جديا في الثقافة الثورية، واستخدامها للكتابة على الجدران ساهم و بجزء كبير في انتشار هذه الظاهرة. لقد تميزت ظاهرة الكتابات الجدارية في فرنسا بطابعها الكتابي (الشفهي) وليس التصويري (الرسومات) كما في نيويورك وسوهو، وهذا بسبب التناقضات الضخمة التي يحتويها المجتمع الفرنسي، ورغم ذكرنا لبعض الأطراف الفعالة في هذه العملية إلا أنها تأسست بفضل شباب الأوساط الشعبية الذين يسكنون في أحياء أو سكنات جماعية وشعبية وهم الأفراد الذين أطلق عليهم تسمية "الشعبة المقموعة" [2].

كما أن هذه الظاهرة تزامنت مع العديد من الظواهر الثقافية الأخرى ولا سيما "Hip-hop " و" Rap " و" Break dancing "، وهي كلها تعكس ما يسمى بالثقافة الحضرية بما فيها الكتابات الجدارية التي شكلت جدلا كبيرا على اعتبار أنها تظم عدة تيارات أهمها المعـــارض لها والذي يعتبرها عنفا أو جنحة وربما جريمة يعاقب عليها القانون، فهو يعتبر تلك الشريحة التي تمارسها إنما هي متمردة هدفها الأول هو تشويه قوائم الدولة ومبادئها وعاداتها العريقة، ولأن فرنسا كغيرها من الدول تسعى دوما لإبراز هذا الجانب الإنساني والتراثي، فقد عمدت السلطات الفرنسية وخاصة بلدية

1/ Alain Vulbeau : Les gravitis ou l'émergence de l'incisif , les inscriptions de la jeunesse, Paris, L'Harmattan, coll, dêbats, 2002.

2/ CF. parmi d'autres articles des même genres, les nouveaux procèdes pour éliminer les graffitis, la gazette, 27/05/2002, pp. 53 - 54.

باريس كغيرها من الدول - التي تعاني من هذه الظاهرة المستفحلة - إلى التصدي لها عبر وضع عدة حلول وكان هذا في التسعينات. هذا عن الجانب أو التيار المعارض، لكن بالمقابل هناك تيار آخر يساند هذه الحركة ويدعمها بل ويعطيها الحق على اعتبارها طريقة للتعبير الذي لم تنله بطرق أخرى مشروعة، وعلى أساس أنها تجسد مشروعية التعبير حتى ولو كان عنفا، وهذا التيار السائد سعى في فرنسا كما في نظيراتها من الدول إلى التكتل وإنشاء جمعيات خاصة للدفاع عن حقوق هذه الشريحة وأولى حقوقها هي شرعية التعبير.

ج/ في بريطـــانيـــا: في التجربة البريطانية يختلف الإطار نوعا ما، إذ أن معظم الأدبيات المكتوبة ركزت على الطابع الكتابي، والتي انتشرت في مناطق كثيرة من مدنها وشوارعها ومحلاتها التجارية، وشغلت لوحات الإعلان ولافتات النوادي... ، وقد غطت نواحي اجتماعية واقتصادية وسياسية، وتناولت في مجموعها التيارات الجديدة في المجتمع، كما ركزت على مشكل الجنس والحركات الأنثوية، وذهبت بعيدا في البحث عن الكتابات الجدارية في المدن البريطانية المختلفة وإيرلندا وتوثيقها وتصنيفها والبحث عن الجانب الجمالي والمضحك فيها، وتضمنت بعض الرسومات واللوحات الجدارية والإعلانية التي اعتاد عليها الشارع البريطاني، كما طرحت إشكاليات الدين والعلمانية بصور متعددة ومختلفة، حيث يجد فيها المهتم تعليقات وأفكار وحكم كثيرة حرص الشارع العام على كتابتها بصورة بيانية وتلاعب بالألفاظ، تدخلت فيها لهجات المدن التي نشأت فيها، وقد تميزت مدينة" ملبورن وسيدني" بنوع مشابه للكتابات والرسوم التصويرية التي طبعت أعمال لندن، وعليه فإن الكتابات الجدارية في بريطانيا تميزت بنفس الخصائص تقريبا كما في إيطاليا وفرنسا، وإن اهتمت بالكتابات والرموز عكس التصوير كما في إيطاليا والو.م.أ، وكذلك الأمر بالنسبة لمحتواها الذي تراوح ما بين المواضيع والأحداث السياسية إلى المشاكل الاجتماعية والعرقية.

في مـــوسكـــو (روسيـــا): لقد كانت البداية الحقيقية لانتشار الكتابات الجدارية في موسكو بفضل العصابات التي اخترعت أساليبا ورموزا بدأت أولا على السيارات التي تلونت وتشكلت الأطر الخارجية لها بعبارات كثيرة باللغات الروسية والإنجليزية تحديدا. وبالعودة إلى تاريخ الكتابات الروسية نجد الباحث " جون بوشنل" John Bushnell" أحد المهتمين بكتابة التطورات الاجتماعية السوفياتية، وقد أتاحت له فرصة أبحاثه التي أجراها على الكتابات في موسكو تقديم رؤية ودراسة نوعية في هذا الاتجاه، وهذه الأخيرة ابتعدت عن الجانب الجمعي وركزت على تحليل وربط الكتابة في موسكو بمثيلاتها في التجربة العالمية، حيث ربط ذلك بتاريخ الشعوب السوفياتية، مدعما إياها بالمكتشفات الأثرية التي وجدت في مغاور " كييف " والمعابد والبيوت القديمة، وفي مجمل دراسته فإن" بوشنل "

ركز بالبحث عن دوافع وأسباب هذه الظاهرة وعن مصادرها الثقافية التي نشأت في كنفها، وراح بالبحث حتى إلى جذور الثقافة الشعبية الغربية، موظفا في ذلك الفلكلور الثقافي من موسيقى وطقوس...، كما حاول في بحثه هذا إيجاد العلاقة ما بين المدينة والكتابة الجدارية ليؤكد أن الارتباط حاصل بينهما بصورة واسعة وعميقة، وإن كان هذا لا ينفي أبدا تطابق الإنتاج الكتابي السوفياتي مع غيره.

إن الكتابات الجدارية الروسية أو السوفياتية في مجملها حملت معها نفس المنحنى الفني الذي أخذته بعض الدول الأوروبية، وبالعودة إلى أهم الدوافع التي ساهمت في ازدهارها ظروف القمع الشيوعي للفكر، وكذا مدى الحرية التي منحتها الثقافة الرسمية لحزب الشعب للتعبير والتنفيس في أجواء خاصة بعيدة عن الأطر والمنظومات الإيديولوجية التي أوجدها النظام كقنوات لتكريس ثقافة ليست بالضرورة تمثل ثقافة الشعب.

وككل دول العالم فإن الكتابات الجدارية في موسكو، ما هي إلا نتاجات الشباب المعدومين والجيل الجديد الذي يبحث عن قنوات للتعبير، وإن اعتبرت الكتابات الجدارية خارجة عن القانون ومخلة بقيم وتقاليد المجتمع، فإن هؤلاء الشباب شكلوا عصابات سمت نفسها بأسماء كثيرة مثل: "Fanaty" و" Metalist " التي يلبس أفرادها الحديد ويحملون الخناجر، وكذا فرق" الروك آند رول " وغيرها من الأسماء، وكانت تلك الجماعات تنقل عن بعضها البعض التعبيرات والرموز والتشفيرات وغير ذلك من أدوات التعبير اللغوي الخاصة بها.

لقد لعبت الظروف السياسية والاجتماعية في المجتمع الروسي دورا هاما في بروز الكتابات الجدارية، ولا سيما التي أخذت طريقها في أواخر الثمانينات لتؤدي إلى انهيار عالم كان يعرف بالاتحاد السوفياتي، بالإضافة إلى كل تلك التطورات الاجتماعية ونشوء المجتمعات الجديدة حول المدن بسبب الهجرة، ساهم كل ذلك في نشوء الظاهرة وتفاقمها.

وعليه من خلال عرضنا لهذه التجربة في الو.م.أ، وفي الدول الأروبية، ورغم إشارتنا السريعة إلى هذه التجارب الثرية والفعالة، إلا أن هناك العديد ممن شبهها بتجربة ألمانيا المسيطر عليها طابع جدار برلين كما هو طابع الميترو والقطارات في الكتابات الجدارية في نيويورك...، وكذا تجربة بلغاريا والتشيك وغيرها وكل كتابة في هذه الدول إنما لها طابعها الخاص بالنمط الجغرافي والحضاري والثقافي وحتى السياسي، وإن كانت كلها تتشابه وتتزامن مع بعضها.

ورغم إشارتنا المتواضعة إلى جذور هذه الظاهرة عبر عدة نقاط من العالم، فإن ما يمكننا استخلاصه أن الكتابات الجدارية إنما هي تراث إنساني قديم قدم البشرية ومستجد بجدة الحياة

العصرية، وإن كنا قد تطرقنا بالحديث عن الو.م.أ، أو عن إيطاليا وفرنسا وحتى هولندا وكذا روسيا، فإن هذه الكتابات في العالم العربي مهمشة جدا بسبب قلة الدراسة فيها أو لغيابها أصلا، ولكن ما يجمع عليه بعض الباحثين أن الكتابات الجدارية في الدول العربية هي الآن في أولى خطواتها البسيطة، حيث تضم عبارات ومفردات متناثرة وبعض التعبيرات البسيطة، كما أن الجانب التصويري بسيط جدا، إضافة إلى الاستخدام البسيط للتقنيات المتوفرة في هذه المجتمعات، ولعل أبرز التجارب هي المتزامنة مع ما وجدناه في الانترنيت من تجربة لبنان وفلسطين، حيث برزت وبدأت في الانتشار في عام 1987 وإن كانتا متشابهتين في الطابع السياسي والثوري ضد الاحتلال الإسرائيلي، حيث يرد الباحث "خليل أحمد خليل " في دراسة له حول الكتابات الجدارية، أنها بدأت بعد أحداث 75 و76 في لبنان لكننا لم نتمكن من جمع معلومات أوفر عنها.

وخلاصة القول أن قلة البحوث في الكتابات الجدارية في الدول العربية، هي الحافز المهم الذي شجعنا على إجراء هذه الدراسة رغم قلة الموارد النظرية فيها.

4-8/ الكتابـــات الجدارية فـــن أو عنـــف؟ :

تعد الكتابات الجدارية ظاهرة اجتماعية، إنسانية نشأت في المجتمع وتعود إليه، فهي بسيطة ببساطة السكان البدائيين حينما كانوا يحفرون على جدران المغارات والكهوف ليتركوا أثارا تدل على تواجدهم يوما بتلك البلاد، ولأن التاريخ لا يهضم حق فاعليه فإن تلك الشواهد لا زالت لحد اليوم قائمة بل وشامخة، لكن تطورات العصر تفرض التغيير في كل طبوعه، فكذلك الأمر بالنسبة للكتابات الجدارية حيث لازمتها تلك التغيرات وتحولت إلى المدن وبالضبط إلى ضواحيها، أين يكثر عدد السكان وتكثر معهم المشاكل والبطالة والفقر، وتنتشر معه المخدرات والكحول، لتصبح الكتابات الجدارية وسيلة للتعبير في خضم السياسات القاهرة، فكانت بأدواتها البسيطة وسيلة للتنفيس والتعبير.

إن الشباب الذين يمارسونها بسطاء ببساطة الطبقات الشعبية، وهم في معظمهم معدومين (لم يتلقوا أي جانب فني)، لكنهم أنجزوا أشياء سمحت في كثير من الأحيان من تغيير الوضعيات، ولعل الكتابات التي شهدتها إيطاليا خير دليل على ذلك وبالضبط في مدينة فيلادلفيا سنة 1984، حينما تعدت الكتابات الجدارية حدود المعقول وراحت تجهز على كل شيء جميل في المدينة، حيث تحول وجهها إلى أشكال ورسومات تثير الرعب والإساءة في شعور المواطنين، فقام عمدة هذه المدينة "ويلسن غوود " بتأسيس شبكة مكافحة أعمال الغرافيتي، واستدعى الفنانة التشكيلية"جين غولدن" من ولاية كاليفورنيا، لإدارة هذه الشبكة في محاولة لإنقاذ هذه المدينة من خطر الغرافيتي الذي بات يهدد أمن سكانها؛ وفي هذه الحالة إنما نلمح مدى العنف المجسد لهذه الظاهرة، وهو رمزي ترسله تلك

الكتابات والرسوم إلى أعين كل أفراد المجتمع دون تمييز وربما للسلطات على وجه الخصوص، فما كان من عمدة المدينة إلا محاربتها ومكافحتها، ومن أجل هذا الهدف شكلت مؤسسة اجتماعية برنامجها هو فن الجداريات وترأسته تلك الفنانة برعاية دائرة الترفيه في مدينة بنسلفانيا، وأوكلت المهمة لها من أجل إنقاذ سمعة المدينة وما تحويه من مقومات ثقافية وجمالية، وهذه المهمة تختصرها في محاولة إعادة تأهيل هؤلاء الشباب وترويضهم وجعلهم ينخرطون في حركة جماعية تهدف إلى صهر أفكارهم الناقمة والسلبية وتحويلها إلى فعل جماعي إنمائي خلاق، من خلال تحويل الخربشات الحائطية إلى لوحات فنية جمالية وتزيينية معبرة، ولأن هذه المهمة صعبة بسبب هؤلاء الأفراد فإن " جين غولدن" تقول: " في البدء كان الأمر يبدوا نكتة بالنسبة لسكان فيلادلفيا وكان غير مشجع على الإطلاق، حيث كيف يمكن استقطاب هؤلاء الشباب المتمردين وترويض أفكارهم المتطرفة ومن ثمة توظيفها في خدمة القضايا العامة؟..."، لكن "غولدن" سرعان ما بدأت مشوارها الصعب انطلاقا من الحديث مع هؤلاء الشباب وتعريفهم بمدى فوضوية ما يقومون به، بالإضافة إلى الاستنكار المجتمعي لهم ولعملهم وتحويل ذلك إلى نشاط مستحب ومقبول مع احتفاظهم بهدفهم المنشود، خصوصا وأنهم يعانون من التمييز العنصري والاضطهاد الطبقي، وبصعوبة حققت "جين" ذلك وأصبح هؤلاء يستقطبون رفاقهم من كل مكان لمتابعة الندوات وحلقات البحث والتدريب التي كانت تنتظم في المركز للتعريف بتاريخ الرسوم الجدارية وأدواتها ودورها التاريخي والمتجدد في خدمة المجتمع وبث الأفكار عن طريق المنظور الجمالي، وهكذا ولدت فكرة هذا البرنامج في سنة 1984 وتحولت تلك العصابات إلى مبدعين في اللون والرسم، وانطلقوا في نشر أفكارهم وتطلعاتهم نحو العدالة الاجتماعية، وليس نحو اللغة الساخطة والفوضى بل في لوحات فنية عملاقة.

ومنذ ذلك الوقت قام هذا البرنامج بتأسيس حوالي 2100 لوحة جدارية يقوم بها كل أبناء المدينة، بل وأصبحت حافزا لتأسيس الحوار الجاد بين أبناء المجتمع الواحد بعيدا عن العنصرية والطبقية، هذا المثال بالنسبة لمدينة فيلادلفيا، ورأينا كيف كانت الكتابات الجدارية عنف ضد المجتمع بأكمله، وكيف تحولت إلى فن مقبول وموافق عليه.

أما بالنسبة لبقية دول العالم فهي تتراوح ما بين الاعتراف بها كفن، و رفضها كنمط للعنف، وفي مدينة "أطلنطا" عاصمة جورجيا فإن الكتابات الجدارية تفاقم حجمها وصارت تملأ كل جدرانها وضاق بها سكانها ذرعا، مما دعا مجلس المدينة إلى تطبيق غرامات مالية وعقوبات بالسجن قد تصل إلى 6 أشهر وراء القضبان يقضيها كل من يتساهل من أصحاب العقارات في إباحة هذه الكتابات على جدران أبنيتهم.

أما في مدينة ميلانو الإيطالية[1]، فقد قدّم أحد أعضاء المجلس البلدي اقتراحا تمت الموافقة عليه بالإجماع، ويقضي بالبدء بمحاربة هذه الظاهرة، حيث تم تخصيص ميزانية خاصة لهذا الغرض، وذلك من خلال إعفاء من يقوم بتنظيف الجدران من الضرائب، كما استحدثت البلدية هاتفا مجانيا للتبليغ عن (رسامي الجدران)، و قامت الشركة المختصة بالتنظيفات باستخدام مستحضرات خاصة شفافة يتم من خلالها طلاء جدران المدن، بحيث لا تلتصق وتترسخ على سطوح الجدران أصباغ من أي نوع كانت.

وكذا مدينة باريس [2]، فقد وضعت مجموعة من المتطوعين لشركات التنظيف بغية إزالة وتنظيف الجدران من تلك الكتابات، وكان هذا في 15 أكتوبر 1999، وهؤلاء المتطوعين ينتمون إلى 3 مؤسسات تنظيفية توزعت عبر المدينة لأجل هذا الغرض، وقد كلفتها مبالغ مالية ضخمة جدا، رغم أن هذه الخدمة قدمت مجانيا للسلطات، إلا أنها لم تنه هذه الظاهرة، حيث عمدت السلطات المحلية إلى محاولة إيجاد حل آخر يتمثل في خلق مساحات للكتابة الجدارية بوضع أو بالأحرى حجز جدران رسمية خصيصا لهؤلاء الشباب لممارسة كتاباتهم، مع تحديد الوقت وتوفير الإنارة العمومية والأمن، بالإضافة إلى هذا وضعت استراتيجية وقائية تمثلث في التعديل في أسعار المضخات الخاصة بالطلاء أو الدهن.

أما في بقية الدول الأروبية[3] فإن السلطات اتخذت عدة إجراءات لمحاربة هذه الظاهرة والسيطرة عليها والكبح من جماحها ووضعها في إطار الكتابة الرسمية الثقافية أو القضاء عليها، وقد صرفت مبالغ مالية خيالية من طرف المنظمات والهيئات الحكومية على الجماعات القائمة بهذه الكتابات بغية الكف عنها أو الحد من انتشارها، وفي هذه المساعي نلمح العنف الذي تكتسيه الكتابات الجدارية وأثرها السلبي على الذوق والأمن العامين.

أما في نيويورك فقد شكلت السلطات المحلية فرقا لمسح وتنظيف الشوارع والأنفاق من هذه الرسومات، حيث أنفقت أموالا كثيرة عليها، لكن ذلك لم يمنع من ممارسة مثل هذه النشاطات، وهكذا لجأت السلطات المحلية مرة أخرى للعفو عن القائمين بها، فانقسم الشارع إلى صنفين: منهم من اتخذ طابع فني كما في الدول الأخرى، ومنهم من ظل يشوه الإطار الاجتماعي والجمالي للمدينة.

1/ http://www.albayan.co.ae/albayan/culture/2000/issue33/thaskeel/2.htm

2/ David Manise : Animale étrange et sauvage, Internet.

3/ http://www.palestine-info.infi/arabic/books/shearat/shear4.htm

وفي بريطانيا فقد خلقت السلطات أجواء جيدة لمثل هؤلاء، حيث خصصت لهم أماكن للقيام بأعمالهم وأقامت لهم مشاغل زودتها بكل الأدوات، ومع ذلك لم تقض على الظاهرة وإن أضفت عليها بعض الصفات الرسمية، فالشوارع والمحلات العامة مليئة بهذه الكتابات والرسوم، كما أن بعض الأكاديميات قدمت مواد ومتطلبات يبدي فيها الطلاب كيفية إزالة هذه الكتابات من الشوارع، ومن جهة أخرى فقد نشأت عدة جمعيات مؤيدة لهذه الظاهرة وللقائمين بها مثلما ذكرت "Jell Posner " في كتابها " SPRAY IF LOUD " سنة1982.عن جمعية في استراليا للدفاع عن فناني الغرافيتي بسبب الحكم القانوني " جريمة بتهمة تدمير الممتلكات العامة "، التي تمارس ضد الأفراد الذين يقبض عليهم متلبسين بالقيام بهذه الكتابات وهذا في القانون الاسترالي، وكذا الأمر في روسيا. وهكذا فإن كل هذه النماذج المهمة إنما هي دليل على أن الكتابات الجدارية ظاهرة منفلتة من الرقابة الرسمية، وأنها مطاردة تحت أي ظرف، وإن كانت بعض الدول تبنت الاتجاهات الفنية للغرافيتي، فإن الكثير منها يعتبرونها عنفا وتدميرا للقيم الجمالية والعمرانية يهدد أمن السكان ويخلق القطيعة بين أفراد المجتمع الواحد، وهو أيضا أسلوب عصيان وتمرد الحكومات والأنظمة.

وبين هذا وذاك يمكننا القول أن الكتابات الجدارية في الدول العربية لا زالت في خطواتها الأولى ولم ترتق إلى الفن الجداري، بل وإن البيئة والثقافة العربية بما تحويه من قيم وعادات جد محافظة على عكس الدول الغربية، التي هي أكثر عرضة لعنف هذه الظاهرة المهددة لكيانها وعقيدتها.

وفي مجمل دراستنا لهذه الظاهرة فإن الكتابات الجدارية في لبنان أو الجزائر أو السعودية، إنما هي مؤشر على تفرقات في البناء الاجتماعي والثقافي، ودليل على تواجد طائفي وسياسي يحاول جاهدا تفكيك الأمة وإضعاف ترابطها ببعضها.

4-9/ الكتابـــات الـــجدارية في الجزائـــر:

تشهد الجزائر حاليا على غرار بقية الدول العربية موجة الكتابات الجدارية التي راحت تعم أحيائها وبالأحرى تملأ جدرانها، ولكنها تبدو وبشكل كبير في العاصمة وضواحيها، وكذا بقية المدن الكبرى: كوهران وقسنطينة، عنابة، سطيف، تيزي وزو وغيرها من الولايات، حيث الكثافة السكانية مرتفعة وجملة العوامل الاقتصادية والسياسية متفاقمة. وهي في الجزائر شأنها شأن بقية دول العالم، تنتشر في أزقة الأحياء الفقيرة والشعبية منها على وجهة الخصوص، ولكي نحاول الإلمام أكثر فإننا في عجالة سنذكرها خلال مراحلها الزمنية.

10-4/ الكتابـــة الجداريـــة ما بين الماضي والحاضـــر في الجزائـــر:

إن الكتابات الجدارية في الجزائر بغض النظر عن عصور ما قبل التاريخ، فإنها ارتبطت وبشكل مباشر بجملة الأحداث والظروف التي كانت سائدة، ولكن بدايتها ظهرت خلال فترة الاستعمار وإن اتخذت في ذلك الوقت طابع رياضي تبعا للتنافس الذي كان بين الأندية الرياضية، والذي امتد إلى تنافس بين الأنصار في الشوارع والأحياء، حيث يخلد كل طرف النتائج التي حققها فريقه خاصة مع بروز الأندية المسلمة " Les Clubs Musulmane " بداية بنادي مولودية الجزائر الذي تأسس ليلة المولد النبوي الشريف عام 1921 حيث اشتق اسمه من تلك الليلة، وكان يدعمه عرب وبربر العاصمة، الذين دونوا على الجدران نتائجه الساحقة التي قهر بها الأندية الأوروبية، وكانت تلك الكتابات تذكيرا لخصومهم بتفوقهم، وقد فسر المؤرخون ذلك التصرف على أنه فعل وطني كان يعبر عن التمييز والاعتزاز بالذات وبالقدرة على قهر من استعمر البلاد لمدة عقود وحكمها بالحديد والنار وأذل أهلها وسلب خيراتها، كما كانت أسماء الملاكمين الجزائريين الذين تفوقوا على الأوروبيين تملأ الجدران والأماكن العمومية لتذكير الأوربيين بهزائمهم، وحين بدأت الأحزاب الوطنية الجزائرية تشارك في الانتخابات البرلمانية المحلية التي كانت تنظمها سلطات الاحتلال، غدت الكتابة على الجدران وسيلة تعبئة شعبية إما في المشاركة في العملية الانتخابية أو لمقاطعتها، وهذا يعني أن الكتابات الجدارية كانت ملازمة للأحداث السياسية آنذاك، حيث كانت أول من أخبر الجزائريين باندلاع الثورة المسلحة بعد تزوير الإدارة الاستعمارية نتائج الانتخابات العامة التي جرت عام1947 وفازت بها الأحزاب الوطنية على الأحزاب الفرنسية، وبعدها برزت كتابات مجهولة المصدر تشير إلى عدم جدوى العمل السياسي وحتمية تغيير التعامل مع الفرنسيين "، وأن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة ".

وتزامنا مع اندلاع الثورة في الفاتح من نوفمبر 1954 انتشرت الكتابات في كل المدن التي أخذت طابعا تعبيريا عنها، وكذلك طابعا إعلاميا عن انطلاقها، فظهرت هذه الكتابات في عبارات عديدة منها " اسم جبهة التحرير الوطني" وكذلك " الجزائر مسلمة " كرد فعل على عبارة " الجزائر فرنسية ". وبتطور الثورة التحريرية وحجب جميع الصحف التي كانت تصدر بأقلام جزائرية، تحولت جدران المدن إلى مساحات إعلامية يكتبها أطفال صغار حملوا قضية كبيرة وأرهقوا الإدارة الفرنسية بتصرفهم هذا وبعنادهم، فخصصت فرق كاملة لملاحقتهم ومحو ما يكتبونه يوميا، كما خصصت جوائز لمن يلقي القبض عليهم وسجنت عددا كبيرا من الأطفال لمجرد الاشتباه بهم واكتشاف لون الطلاء على أيديهم بتهمة الانتماء إلى " كتاب الجدران"، حيث كانت وقتها جنحة يعاقب عليها القانون الفرنسي بالسجن، لكن هذه المكافحة ليست بدافع الحفاظ على رونق المدن والطراز المعماري

كما رأينا ذلك في الدول الغربية حاليا، وإنما بتهمة تأليب الناس على الحكم والإخلال بالنظام العام، واعتبارها محرضا ومشجعا للثوار على الاستمرار في ثورتهم، وفي هذه النقطة إنما نلمح الجانب أو الطابع الثوري والسياسي الذي لعبته الكتابات الجدارية وبشكل إيجابي لصالح الدولة وحرية الوطن، وهو الشيء الذي نلمحه حاليا في فلسطين والعراق وأفغانستان. وتزامنا مع الكتابات الجدارية للثوار فإن الفرنسيين أصبحوا بدورهم يكتبون مواقفهم المعارضة لسياسة الجنرال " شارل ديغول " حيال الجزائر، والتي كانت تتجه نحو التفاوض مع الثوار؛ فانتشرت الكتابات الجدارية المعارضة للمفاوضات ولاستفتاء تقرير المصير، ثم برزت كتابات بعبارات: " نعم" و"لا" على الجدران كإعلام للمواطنين الذين كان معظمهم أميون، فجاءت لتسهيل عملية الانتخاب باختيار كلمة "نعم " للتصويت على استفتاء تقرير المصير.

وهكذا لعبت الكتابات الجدارية دورا مهما في حركية الثورة التحريرية، حتى قادها الشعب المغوار إلى الحرية والنصر على المستعمر الفرنسي، وكانت هذه لمحة عنها خلال فترة الاستعمار.

أما بعد الاستقلال، وبانتهاء الحرب التحريرية انتهت الكتابات الجدارية في المدن الجزائرية، لأنها كانت تخدم الثورة فقط و لم يعد لها حاجة بعد الاستقلال فتلاشت و لم يبق منها إلا الشيء القليل، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الكتابات الجدارية ليست واحدة من طقوس وعادات الشعب الجزائري، فغابت الكتابات قدرا من الزمن ثم عاودت البروز من جديد، وتلك حقبة أخرى من تاريخ الجزائر هي فترة عاشت فيها جملة من الاضطرابات في أواخر الثمانينات ما بين التيارات والأحزاب السياسية المعارضة لبعضها البعض، فكانت مجسدة لهذا التضارب حيث حملت عبارات سياسية، وبعد أحداث العنف التي وقعت في أكتوبر 1988 التي عمت كل مناطق القطر ضد سياسة النظام القائم مما أفضى إلى تغيير الدستور وإعلان التعددية السياسية وإطلاق حرية الصحافة، برزت الكتابات الجدارية من جديد بعبارات مطالبة برحيل رجال السلطة الحاكمة آنذاك، وكانت تحمل دلالات علمانية وإسلامية وتؤكد في مجملها على فساد النظام السابق وعدم أهليته لقيادة البلاد، وبعد أول انتخابات محلية في البلاد في 12 جويلية 1990 والتي أسفرت عن الفوز الساحق لجبهة الإنقاذ الإسلامية، عبر أتباعها عن فرحتهم بعبارات مثل: " بلدية إسلامية" التي كتبت عشرات المرات في البلديات التي أعطتهم أغلبية الأصوات. وبعد اعتقال قيادة جبهة الإنقاذ في جويلية 1991 والتي كانت تمثل أكبر القوى السياسية، ظهرت الكتابات الجدارية بشكل عنيف في معظم المدن تطالب بالإفراج عنهم، وإن كانت تبدوا في معظمها منظمة، حيث تكررت العبارات نفسها في معظم المدن مثل: " إما الانفراج أو الانفجار"، وهو تهديد باستخدام العنف في حالة عدم إذعان السلطة للضغوط وإفراجها عن القيادة

المحبوسة، كما ظهرت عبارات التشجيع مثل: " ياعلي ياعباس الجبهة دائما لا باس" في إشارة إلى علي بلحاج وعباسي مدني أكبر قيادي الإنقاذ نفوذا وشعبية، كما ظهرت رموز للحزب نفسه باللغة الأجنبية في كل مكان " Fis "، وفي شتاء العام نفسه ومعارضة لحزب الإنقاذ برزت كتابات جدارية أخرى مطالبة بتطبيق النظام العسكري الذي كان في ذلك الوقت بقيادة رئيس الجمهورية " الشاذلي بن جديد" لردع هذا الحزب وإيقاف نشاطه، ومن بينها كتابة: " لا لإيران ثانية في الجزائر" وكذلك: " أوقفوا زحف الفاشية "، و" أنقذوا الديمقراطية".

وقبل شهر من يوم الاقتراع صرح الرئيس بأنه على استعداد لاستنساخ التجربة الفرنسية - الرئيس فرونسوا ميتيران يساري والبرلمان والحكومة يمينيان -، وهذا فقط لطمأنة أنصار جبهة الإنقاذ الخائفين من أن تكون نتيجة الانتخابات نقمة عليهم، فرد عليه الشارع بالكتابات الجدارية التي وصفته بالجاهل الذي يلعب بالنار، ثم بعدها برزت العديد من الكتابات المتزامنة مع موجة الإرهاب التي لم تسلم منها أي مدينة من المدن الجزائرية، وظهرت عبارة مدونة بالخط العريض " أنقذوا الجزائر"، ورغم حظر التجول المفروض إلا أنه كانت هناك مجموعات من الشباب تخرج ليلا وتكتب عبارات التهديد والوعيد التي تندد برئاسة اليمين زروال للبلاد وبتنظيمه للانتخابات الرئاسية في 1995 فكتب هؤلاء " يا زروال يا طاغوت ستموت ستموت " وغيرها. وفي هذه الفترة التي ارتفعت فيها موجة الإرهاب حيث بلغ نشاطها ذروته من تقتيل وذبح للمواطنين الحد الذي يكفي للتعبير عن حقدهم، وراحت المجموعات الإرهابية تتفنن في التنكيل بالضحايا وجثثهم من قطع الرؤوس وتعليقها على مداخل المدن بغية زرع الرعب والهلع في نفوس المواطنين، وضمن جملة التمثيلات التي عاشها المواطن الجزائري ما حدث في حوش جرو بمنطقة بوفاريك، حيث هاجمت مجموعة إرهابية أكواخ فقيرة فذبحت حوالي 13 شخص دفعة واحدة معظمهم من الأطفال والنساء، ووقعت جريمتها بدم الضحايا على الجدار، فكتبت إسم " الجماعة الإسلامية المسلحة السنية السلفية الموحدة"، وكانت المرة الأولى التي تظهر فيها الكتابة الجدارية بالدم البشري، وهي نقلة غير مسبوقة ثم أصبحت فيما بعد أمرا عاديا.

صورة رقم: 04

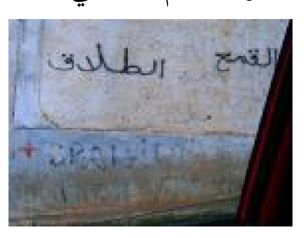
كما عرفت الجزائر موجة من المشادات وأحداث الشغب المدنية مثلما حدث عام 2001 في مواجهات بين قوات الدرك الوطني لمنطقة القبائل وبين السكان، وبالضبط في بلدية" بني دوالة" حيث قتل شاب برصاص جندي وكانت إصابته بليغة فتعذر نقله لشدة المواجهات وقبل لفظ أنفاسه، كتب في المكان الذي سقط فيه بدمه على

الجدار عبارة: " Vive La Liberté " تحيا الحرية "، وكانت هذه الواقعة التي اهتز لها الشارع الجزائري مرة ثانية، حيث برزت الكتابات الجدارية بهذا النمط بعد عشرية الإرهاب.

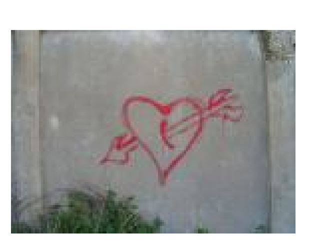
لقد حاولنا فيما سبق أن نستعرض أهم النقاط التي برزت فيها الكتابات الجدارية، مع ذكر ظروفها التي أدت إلى ظهورها، وإن كانت العشرية الدموية التي عاشتها الجزائر أكثر تميزا عن مثيلاتها في الدول الأخرى.

وما يمكننا استخلاصه أن الكتابات الجدارية في الجزائر، إنما ظهرت خلال فترة الاحتلال فجاءت كأداة للتعبير والتوعية وطلب الوحدة لأجل الحرية والنضال، ثم غابت بعد ذلك نهائيا و لم يعد لها أثر، لكن وبمجرد الانقلابات السياسية والأحداث العنيفة التي عرفتها الجزائر، رجعت وبشكل عنيف جدا وحملت في سماتها أبعاد العنف والمأساة التي عاشها الشارع فكتبت بدم ضحايا الإرهاب، ثم بعد الهدوء النسبي عادت بسبب أحداث الشغب والمواجهات القبلية التي عاشتها البلاد، وخصوصا في المناطق القبائلية (أحداث العروش).

وبين هذه وتلك فإن الكتابات الجدارية حملت عدة أبعاد سياسية واجتماعية وحتى ثقافية، كما برزت بمعاني أخرى للتعبير عن أحلام الشباب ومشاكلهم التي تميز حياتهم، فاختلفت مواضيع الكتابات من أحلام الهجرة إلى الخارج، إلى معاناة من البطالة والفقر، إلى المشاكل الاجتماعية كالطلاق والتفكك الأسري، وغيرها من العوامل التي تدفع بهؤلاء الشباب إلى تجسيد تطلعاتهم وشكاويهم في كتابات مختلفة اللون والأداء، حيث جسدت معاناتهم كما في الصورة رقم 05 التي



تعبر عن القمع والطلاق في آن واحد، وكذلك عبارات الحب المنتشرة في كل مكان، كأنهم يريدون الخروج من الدوائر الخفية إلى العلنية مجسدة في رسومات لقلب يخترقه سهم كما في الصورة رقم (06)



أو عبارات باللغة الأجنبية مجسدة برسومات كما في الصورة رقم (07) تعبر في مجملها عن أنماط سلوكية عنيفة.



إضافة إلى مواضيع أخرى تحمل معاني الهجرة وطلب العمل، كالعبارة التي وجدت على جدار لبناية في طور الإنجاز ببلدية جسر قسنطينة في ضواحي العاصمة " اذهبوا إلى بريطانيا فإن بها ملكة لا يظلم عندها أحد"، ويبدوا أن من كتبوها تأثروا بوصية الرسول صلى الله عليه وسلم

لأصحابه بأن: " اذهبوا إلى الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد "، وأصبحت بريطانيا في السنوات الأخيرة قبلة لأعداد متزايدة من الشباب الجزائريين لسهولة إجراءات الإقامة وتوفر فرص العمل بها.
وفي بلدية الثنية شرق العاصمة توجد كتابات بالخط الكبير بالعربية والفرنسية والانجليزية تشيد بلندن منها عبارة: " لندن جنة فوق الأرض "، و" في لندن تتلقى أجرك قبل أن يجف عرقك "، وأيضا " لندن بلد الحرية " وغيرها من العبارات المغرية التي صورت سهولة الحياة والرغبة في بلد الضباب بريطانيا، والصور التي سنراها تبرز جملة المواضيع المختلفة التي تناولتها الكتابات الجدارية، لكننا لسنا بصدد فرز محتواها ورموزها، وإنما بشكل آخر أوردنا المواضيع التي عبرت عنها هذه الكتابات.

الخــــلاصـــــــة

لقد أصبحت الكتابات الجدارية في الجزائر في الوقت الحالي متداولة ومنتشرة شأنها شأن بقية الدول العربية، - بينما أخذت عند الدول الغربية منحنيات فنية – حيث تشهد هذه الكتابات أولى بداياتها، وهي تنتشر بشكل مثير في كل المرافق العمومية وفي المراحيض العامة، وعلى أسوار وجدران المؤسسات التعليمية والمهنية وحتى التكوينية، وهي بشكل متزامن في معظم ولايات الوطن من العاصمة إلى سطيف وقسنطينة محل دراستنا إلى ووهران وعنابة وحتى بعض الولايات الجنوبية، ولكننا لسنا بهذا الصدد لإحصاء عددها أو مواضيعها، بقدر ما نحن بصدد البحث عن جملة التصورات الاجتماعية حولها كظاهرة. لذلك فقد اعتمدنا في هذا الجانب النظري إلى إبراز الجزء الأول الخاص بالتصورات الاجتماعية، مرورا بالجزء الثاني الخاص بالعنف الرمزي، وكيف أن الكتابات الجدارية هي عنف ضد مرافق الدولة والمواطنين على حد سواء، ولأننا حاولنا بقدر الإمكان الإلمام بهذا الموضوع الجد متشعب، فإننا لا نخلوا من الأخطاء ، غير أننا سنحاول في الجزء الثاني " التطبيقي" إبراز همزة الوصل ما بين الفصول الثلاثة مستعينين بجملة الصور السابق ذكرها، وهذا فقط لنبرز هدف هذه الدراسة وأهمية بحثنا.

الفصـــــــــــل الثـــــالــــــــــث